

دكتور متشهيكو هاتشيا

يوميات هيروشيما

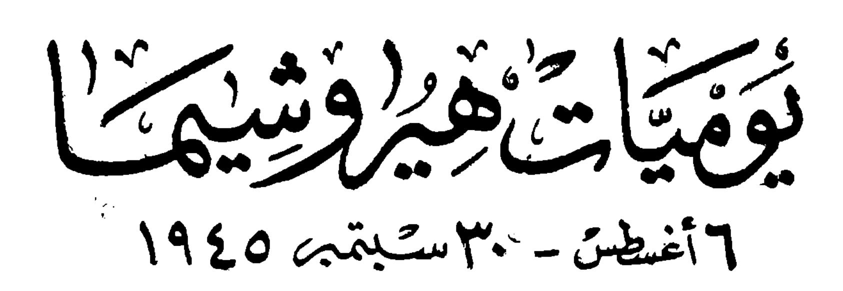
٦ أغسطس - ٣٠ سبتمبر ١٩٤٥

تعريب وتقديم

دكتور رءوف عباس حامد

الناشر
مكتبة الخانجي بمصر

دكتور متشهيكو هاتشيا



تعريب وتقديم

دكتور رؤوف عباس حامد

المحتويات

تقـــديم

كانت مأساة هيروشيما إيذاناً ببداية عصر جديد تلعب فيه الأسلحة الذرية دوراً هاماً في حسم الصراع بين القوى الكبرى ، وبداية لتسابق من نوع جديد يهدف إلى امتلاك أسرار هذا السلاح الرهيب وتطويره لتوفير الردع النووى من جانب كلا المعسكرين اللذان برزا وجهاً لوجه فى عالم مابعد الحرب العالمية الثانية ، وهما : المعسكر الاشتراكى بزعامة الاتحاد السوفياتى من جهة ، والمعسكر الامبريالى بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية من جهة أخرى .

وهذا الكتاب الذى يسعدنى تقديمه إلى قراء العربية يمثل وثيقة تاريخية إنسانية تصور أبعاد المأساة والآثار التى ترتبت عليها ، وهى عبارة عن يوميات حرص على تدوينها شاهد عيان عاصر الحادث منذ بدايته صباح السادس من أغسطس ١٩٤٥ من موقع المسئولية كمدير لمستشفى مصلحة المواصلات بالمدينة حتى آخر سبتمبر من نفس العام حين تسلمت إدارة المستشفى لجنة طبية أمريكيـة .

وصاحب اليوميات هو الدكتور متشيكوهاتشيا ، وقد نشرت اليوميات أول مانشرت باللغة اليابانية بمجلة طبية كانت تصدرها الإدارة الطبية بوزارة المواصلات اليابانية تحمل اسم « تى شن ايجا كو » ، ثم جمعت فى كتاب نشر باليابانية وطبع عدة طبعات ، كما قام الدكتور وارنر ولز عضو اللجنة الطبيـــة الأمريكية التى تسلمت إدارة المستشفى من الأطباء اليابانيين والأستاذ بجامعة نورث كارولينا الذى كان يجيد اليابانية بترجمة الكتاب إلى الانجليزية ، وكان قد نجح فى كسب ثقة المؤلف وصداقته فحصل على موافقته على الترجمة وأطلعه على كل جزء منها حتى جاءت صورة مطابقة لما نشره المؤلف باللغة اليابانية .

وقد طبع الكتاب بالإنجليزية بعنوان « يوميات هيروشيما » فى عام ١٩٥٥ على نفقة جامعة نورث كاروالينا ، ثم صدرت منه بعد ذلك خمس طبعات باللغة ذاتها ، وهذه الترجمة التى أقدمها إلى قراء العربية تعتمد على الترجمة الانجليزية .

وترجع صلتي بالقضية إلى عام ١٩٧٢ حين دعيت إلى اليابان كزميل زائر بمعهد اقتصاديات الدول النامية بطوكيو ، وجامعة طوكيو للدراسات الأجنبية لمدة عام ونصف العام ، فذهبت إلى هناك بنفس مثقلة بهموم هزيمة ١٩٦٧ التى منينا بها فى مواجهة مع ربيبة الامبريالية العالمية : إسرائيـــل . وكان من الطبيعى أن أيمم وجهى شطر هيروشيما ونجاساكى لأشهد آثار بصمات الامبريالية هناك . وعلم برغبتي بعض الرفاق من أساتذة دراسات الشرق الأوسط بجامعة هيروشيما فوجهوا الدعوة إلى لزيارة المدينة . وهناك لم أشهد من آثار ذلك الحادث التاريخي الجلل سوى « متحف السلام » الذى يقع بالقرب من محطة سكة حديد هيروشيما وعلى غير بعد من نهر أوتا ، كما شهدت أطلال المبنى الذى أبقى عليه من مبانى المدينة القديمة وهو مبنى متحف العلوم والصناعة الذى يطل على النهر ويحمل بصمات الدمار الذى حاق بالمدينة .

وهزت وجدانى الآثار التى رأيتها بمتحف السلام ، ووقع فى يدى كتاب « يوميات هيروشيما » فربطت — بحس دارس التاريخ — بين شهادة المؤلف وآثار المأساة الماثلة أمامى ، وعقدت العزم على نقل هذه الوثيقة الإنسانية التاريخية إلى قراء العربية . فزرت هيروشيما ثلاث مرات خلال وجودى باليابان ، طوفت خلالها بأرجاء المدينة لأستطلع معالم المسرح الذى دارت عليه حوادث الكتاب . وإن كانت هيروشيما التى رأيتها عندئذ مدينة جديدة بنيت على أنقاض ماخلفته القنبلة الذرية من دمار ، غير أنها أعانتنى على تصور جو الحوادث ، بقدر ما أعطتنى زيارة مركز مرضى الإشعاع الذري الذي يضم أنصاف الأحياء أو قل — إن شئت — أنصاف الموتى من ضحايا المأساة انطباعاً عن الأثر الذي تركه الحادث فى الناس .

أما عن الكتاب الذى أضعه بين يدى القراء العرب فقد دونه مؤلفه الدكتور هاتشيا على شكل يوميات كان يكتبها يوماً بيوم أحياناً ، أو يكتب حوادث بضعة أيام فى وقت واحد أحياناً أخرى إذا حالت مسئولياته الجسام كمدير لمستشفى المواصلات دون التماس فضل من الوقت للكتابة . ويؤكد المؤلف أنه كان أميناً فى نقل الروايات التى سمعها فلم يزد عليها حرفاً ، وفى التعبير عما شاهده دون مبالغة . واهتم بصفة خاصة برصد المشكلات الطبية التى واجهته والعاملين معه من الأطباء والممرضات بعد الحادث ، فأفرد سطوراً عديدة من يومياته لأعراض مرض الإشعاع الذرى التى كانت مجهولة له ولمساعديه فى ذلك الحين ، فهو يقدم من هذه الزاوية مادة هامة للمهتمين بهذا الموضوع . ولكنه يهتم من ناحية أخرى بالتعبير بصدق بالغ عن التمزق النفسى الذى عاناه الشعب اليابانى بعد الهزيمة ، ويلقى أضواء من النقد المرير على نظام الحكم الفاشى الذى ورط اليابان فى الحرب ، ويعبر عن أمل الشعب اليابانى — فى ذلك الوقت — فى مستقبل أفضل ، وهو من هذه الزاوية يقدم مادة بالغة القيمة للمؤرخ والسياسى على حد سواء .

ولم أشأ أن أقدم نص الكتاب دون أن أمهد ذهن القارىء العربى للموضوع فعقدت فصلا بعنوان « الطريق إلى هيروشيما » بينت فيه الظروف الاقتصادية والاجتماعية التى أفرزت النظام الفاشى فى اليابان ، والأطماع الامبريالية التى ورطت اليابان فى الحرب العالمية الثانيـــة ، والآثار التى ترتبت على الهزيمة ، ومبررات استخدام الولايات المتحدة الأمريكية للقنبلة الذرية فى الحرب ضد اليابان بالذات رغم انهيار المقاومة العسكرية اليابانية فيما عرف بمعركة الباسفيكى ، حتى تتضح معالم الصـــورة وتجلو أمام القارىء جوانب هذه المأساة التاريخية .

ولما كان الكتاب قد حفل بالمصطلحات التى تتصل بالعادات والتقاليد

اليابانية ، فقد حرصت على شرحها بهوامش الكتاب فى مواضعها فى حدود ماتوفر لى من معرفة بالتراث اليابانى من خلال الدراسة والمعايشة .

وأضفت إلى النص الأصلى للكتاب ملاحق ضمنتها شهادات بعض شهود العيان الذين عاصروا الحادث ترجمتها عن كتاب بالإنجليزية أصدرته فى عام ١٩٧٢ لجنة تقصى الحقائق فى هيروشيما ونجا ساكى المنبثقة عن مجلس السلام اليابانى واستكمالا للفائدة .

وقد حفل الكتاب بالمصطلحات العلمية والطبية ، واهتم مؤلفه بمعالجة أمور تتعلق بالدورة الدموية بما لايتصل بمجال دراسة المؤرخ ، ولكنى وجدت من الزميل الدكتور عز الدين حرب أستاذ الكيمياء بكلية التربية بقطر وكلية العلوم بجامعة الأزهر كل عون ، كما استفدت من علم صديق الدكتور فتحى سعود أستاذ علم الحيوان بكلية التربية بقطر وكلية العلوم بجامعة عين شمس الشىء الكثير ، فكم دارت بيننا أحاديث طويلة حول الدورة الدموية وتركيب الدم ودور الأعضاء المكونة الدم فى جسم الانسان وغيرها من النقاط التى أجاب عن أسئلتى حولها بصبر جميل وعلم غزير ، فأعانى ذلك على نقل ما كتبه المؤلف بأمانة ودقة ، فإلى هذين الزميلين الكريمين أتوجه بالشكر والتقدير عرفاناً بالفضل .

ولايسعنى إلا أن أتقدم بالشكر والامتنان لجامعة هيروشيما التى استضافتنى مرتين خلال رحلاتى الاستطلاعية التى قمت بها لزيارة الأماكن التى أوردها الدكتور هاتشيا فى هذا الكتاب ، وأخص بالشكر قسم التاريخ بتلك الجامعة وأساتذة دراسات الشرق الأوسط الذين لم يدخروا جهداً فى تيسير مهمتى والاجابة عن الأسئلة التى طرحتها عليهم برحابة صدر . كما أتوجه بالشكر إلى

معهد اقتصاديات الدول النامية بطوكيو الذى يسر لى سبيل الزيارة الثالثة للمدينـة .

وإذا كنت قد وفقت فى إخراج هذا الكتاب فى ثوب قشيب ، فمرد ذلك إلى جميع من تفضلوا بتقديم العون لى ، أما إذا كانت ثمة مآخذ أو هنات فلا يؤخذ بجريرتها سواى .

الدوحة فى ١٩٧٧/٥/٣٠

د . رءوف عباس حامد

الطريق إلى هيروشيما

بدأ تحول اليابان إلى دولة حديثة فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، وما كاد القرن ينصرم حتى برزت اليابان كدولة صناعية امتدت أطماعها إلى البلدان الأسيوية القريبة منها ، فاجتاحت كوريا واستعمرتها وحققت نصراً عسكريا على روسيا القيصرية فى عام ١٩٠٤ كان له دوى كبير ، ثم تطلعت إلى الصين فبدأت تدق أبوابها منذ نهاية العقد الأول من القرن العشرين وامتد نفوذها إلى منشوريا ومنغوليا . غير أن اليابانيين ووجهوا بمقاومة عنيفة من جانب حكومة الصين الوطنية ، واضطر قادة القوات اليابانية هناك إلى التصرف بصورة إيجابية — على مسئوليتهم الخاصة — فى مواجهة المقاومة الصينية ، ونجحوا فى تثبيت أقدام بلادهم فى منشوريا باحتلالها فى عام ١٩٣١ ، فضربوا بذلك المثل أمام الشعب اليابانى الذى رأى فى هؤلاء العسكريين أمله المنشود فى إصلاح ما أفسدته حكومات الأحزاب التى تعاقبت على الحكم منذ نهاية الحرب العالمية الأولى فى ظل الدستور اللبرالى القائم .

قيام الفاشية فى اليابان :

فقد تأثر الاقتصاد اليابانى تأثرا بالغاً بالكساد العالمى الكبير ، فى وقت كان السكان يتزايدون فيه بمعدل مليون نسمة كل عام ، وعجزت الحكومة عن توفير المواد التموينية الضرورية للسكان وإيجاد حل لمشكلة البطالة التى تفاقمت منذ عام ١٩٣٠ فكان ينضم ما يقدر بأربعمائة ألف نسمة سنوياً إلى جيش العمال العاطلين ، أما الفلاحون فكانوا يقعون فى ربقة الديون التى أثقلت كواهلهم ، وأصبح ريع الأرض لا يكفى لسد حاجة عائلاتهم وسداد ديونهم ، وأفلس صغار التجار ، وأخذ رأس المال يتركز فى أيدى عائلات محدودة

تحكمت فى اقتصاديات البلاد، واحتكرت القطاع المالى والصناعى، ووقفت وراء حكومات الأحزاب التى تبادلت مقاعد السلطة، واختلفت أسماؤها ولكنها اتفقت فى تعبيرها عن مصالح البورجوازية اليابانية وأصحاب المصالح الزراعية الواسعة .

وعجزت الحكومة عن إيجاد حل لمشكلة الكساد الاقتصادى، فبدأت صادرات اليابان فى التناقص منذ عام ١٩٢٩ مما زاد من حدة المشاكل الداخلية والخارجية التى واجهت السلطة، وارتفعت الأصوات بانتقاد الفساد الذى استشرى فى عهد الحكومات الحزبية منذ العشرينات، ونعت على هذه الحكومات تراخيها فى مواجهة المقاومة الصينية للوجود اليابانى فى منشوريا ومنغوليا . وأصبح المسرح السياسى مهيئا لأولئك الذين كانوا يشككون فى صلاحية نظام الحكم الحزبى القائم على أسس الليبرالية الغربية، والقائلين بحاجة اليابان إلى قيادة وطنية تعيد الأمور إلى نصابها .

وازدادت خطورة المعارضة فى عام ١٩٣١، ولكن الشعارات التى رفعتها لم تكن غريبة على الساحة السياسية فى اليابان، فجذورها تمتد إلى عصر مايجى (١٨٦٧ — ١٩١٢) الذى وضعت خلاله أسس اليابان الحديثة . وتركزت هذه الشعارات على الولاء المطلق للامبراطور، والاعتقاد بأن الشعب اليابانى يتميز على سائر شعوب آسيا، فاليابان تعد — فى نظرهم — أعظم بلاد العالم قاطبة لأن الآلهة صنعتها قبل صنعها لبقية بلدان العالم، فهى بمثابة الابن البكر للآلهة، وهى أرض لها قداستها واحترامها، ومن ثم وجب على أبنائها أن يعملوا على جعلها أعظم بلاد الدنيا، ولما كان أباطرة اليابان ينحدرون من نسل الآلهة فالولاء لهم واجب مقدس يفرض على كل يابانى التضحية بالنفس من أجل الوطن والامبراطور .

وقامت العديد من الجمعيات بالترويج لهذه الأفكار المستمدة من التراث

اليابانى التقليدى ، ولكن عددها حتى العشرينات كان محدودا ، وفى أواخر العشرينات انتشرت فى جميع أرجاء البلاد ، واتسع نشاطها فى الريف — بصفة خاصة — حيث تلقى مثل هذه الأفكار رواجا بين جماهير الفلاحين ، وقدر عددها عند نهاية العشرينات بما يربو على ستمائة جمعية ، غير أنها كانت محدودة الأثر فى المجال السياسى ، فلم تؤثر بشكل فعال على صنع القرار والمؤسسات الحكومية والدستورية فى البلاد ، حتى كان حادث منشوريا فى عام ١٩٣١ الذى كانت تقف وراءه إحدى هذه الجمعيات المتطرفة ، فرجحت كفة هذه الاتجاهات الشوفينية على ما عداها .

وحين اتسعت قاعدة أصحاب هـــذه الاتجاهات سلموا زمام قيادتهم إلى العسكريين الذين كانوا يضيقون ذرعا بالديمقراطية الليبرالية ، ويميلون إلى سياسة التوسع العسكرى . وكان ضباط الجيش والبحرية — وخاصة صغارهم — يتعاطفون مع هذه الجمعيات ، وانضم بعضهم إلى عضويتها ، واعتنقوا مبادئها ، ورأوا فى نظام الحكم الليبرالى — الذى عاشته اليابان فى أعقاب الحرب العالمية الأولى وتركزت فيه السلطة فى يد البرجوازية وأصحاب المصالح الزراعية الواسعة — السبيل إلى انهيار البلاد وضياع هيبتها بين شعوب آسيا ، وأيدت جماهير الفلاحين المسحوقة هذا الاتجاه . ولما كان الفلاحون عصب الجيش ، وينحدر صغار الضباط من أصول ريفية ، فقد بدأ ضباط الجيش منذ عام ١٩٣١ يلعبون دور قادة الجماهير الريفية الذين يدافعون عن مصالح الفلاحين فى مواجهة البرجوازية وخاصة الرأسمالية الكبيرة . فاعتبر العسكريون « الطليعة الوطنية الحقيقية » التى تستطيع تصحيح المسيرة السياسية للبلاد باسم الامبراطور سليل الآلهة ، وتحقيق سيادة الشعب اليابانى على شعوب آسيا ، وبناء كيان « اليابان العظمى » .

ويتمثل هذا الاتجاه الوطنى المتطرف بوضوح فى شخصية الجنرال آراكى ساداؤ الذى انحدر من أصل متواضع ، واشتغل قبل انخراطه فى الجيش

عاملا بأحد معامل صاصة الصويا، وترقى فى الجيش حتى وصل إلى مراتب الضباط، وأصبح وزيراً للحربية فيما بين ١٩٣١ — ١٩٣٤ ولم يكن مظهره الرقيق المتواضع ينبيء عن أفكاره العسكرية الصارمة، وإيمانه الشديد بالتضحية بكل شيء من أجـــل اعلاء شأن الامبراطور، والتفانى فى خدمة الأسرة الامبراطورية سليلة الآلهة . وبذلك أصبح آراكى المتحدث الرسمى باسان هذا الإتجاه السياسى الجديد فى اليابان، الذى مهد الطريق لقيام الحكم الفاشى، وجاب للبلاد عداء شعوب آسيا والمصالح الامبريالية الطامعة فى تلك البلاد باتجاهه سياسة التوسع على حساب شعوب آسيا. ووضع آراكى الإطار السياسى لهذا الإتجاه فأرجعه إلى العقيدة اليابانية التقليدية التى تدعوا إلى سلوك طريق الامبراطور (Kado)، والالتزام الوطنى (Kokutai) الذى يعنى عندهم وحدة جميع القوى الشعبية على التراب الوطنى وتحت سماء بلاد الآلهة على طريق الامبراطور، تلك الوحدة التى تمتد — فى رأيهم — منذ بدء الخليقة حتى الأبدية . وقد فسر ذلك على أن اليابان تلتزم برسالة عالمية هدفها ارساء دعائم السلام فى العالم، وهذا الالتزام يجعل اليابان مرتبطة بمسئولية خاصة تجاه شعوب شرق آسيا، فعليها أن تنقذ هذه الشعوب من الحكومات الضعيفة التى تعجز عن تحقيق الرفاهية لشعوبها، والحكام الذين أتاحوا للغرب فرصة استغلال شعوبهم، ولا يتم ذلك إلا بمد سلطة امبراطور اليابان على هذه الشعوب من أجل خيرها والنهوض بها .

وتولت مهمة الترويج لهذه الايديولوجية منظمات خاصة مثل « جمعية ترقية الشعور الوطنى Yuzonsha »، وبعض المفكرين الذين بشروا بها مثل كيتا اككى وأوكاوا شومى اللذان تركزت كتاباتهما حول ضرورة قيام حكم مطلق بزعامة الامبراطور يعمل على تدعيم القوة العسكرية للبلاد، وطالب بعض المفكرين الآخرين بعودة البلاد إلى الإقتصاد الزراعى ونبذ الصناعة. وبالإضافة إلى هؤلاء كان يقف إلى يمين هذا الاتجاه الارستقراطية اليابانية ذات الأصول

الإقطاعية القديمة ، وكبار ضباط الجيش ، وأقطاب البيروقراطية ، وأصحاب رءوس الأموال الذين فضلوا التمسك بدستور عصر ماينجى لأنه يحقق — فى رأيهم — المضى على طريق الامبراطور ، ويركز السلطة فى يد طبقة معينة تتوفر لها النيابة الطبيعية عن الأمة اليابانية وتتمع بمركز رب الأسرة فى البيت اليابانى ، وبقاء السلطة فى يدهم يضمن استمرار التقاليد اليابانية العريقة ويحقق الاستقرار للبلاد ، ويجنبها نشوب القلاقل والثورات : ولكن مقاليد الأمور انتقلت إلى الفريق الأول من صغار الضباط أبناء الطبقة المتوسطة الصغيرة أصحاب الاتجاهات الفاشية الذين أخذوا ينشرون مبادئهم من خلال المناهج التعليمية بهدف تنشئة جيل جديد يؤمن بهذه المبادىء ويحرص على تطبيقها .

وقد بدأ الفاشيون زحفهم التدريجى إلى السلطة فى مطالع عام ١٩٣٢ عن طريق العنف فاغتالوا وزير المالية فى آخر حكومة حزبية ، وبذلك سقطت الحكومة ، وسلم الامبراطور زمام الحكم إلى الاميرال سايتو ما توكو الذى كان ينتمى إلى الطبقة الأرستقراطية ويتمتع باحترام الجيش بقدر ما يتمتع بثقة كبار رجال البلاط وكبار أصحاب رؤوس الأموال،فشكل حكومة ائتلاف وطنى حاولت أن تشق لنفسها طريقا وسطا بين دعاة الاعتدال وأنصار التطرف وسار خليفته الأميرال أوكاداكى سوكى على نفس الدرب ولكن الحكومات التى أعقبته كانت أكثر تمثيلا للاتجاه الفاشى فوزعت معظم الحقائب الوزارية فيها على العسكريين من أصحاب هذا الاتجاه .

ولكن الانتخابات العامة التى أجريت فى فبراير ١٩٣٦ جاءت مخيبة لآمال هؤلاء ، فأسفرت عن فوز اللابراليين المعتدلين ، وبعد أربعة أيام من إعلان نتيجة الانتخابات قام صغار الضباط من أنصار الفاشية بانقلاب فى ٢٦ فبراير فى محاولة فاشلة للإستيلاء على السلطة أغتيل خلالها بعض أقطاب النظام، ورغم فشل الانقلاب روعى فى تشكيل الحكومة الجديدة (٩ مارس) جانب

الجيش الذى ازداد ثقله فى الحياة السياسية ، فاستشير وزير الحربية فى إختيار الوزراء من بين الشخصيات العسكرية والمدنية المعروفة بالاعتدال ، وغير حزب الأحرار موقفه من العسكريين فأخذ يظهر التأييد لهم، كما حدث تطور هام جديد تمثل فى تحمس البيوت الرأسمالية الكبيرة وعلى رأسها بيت متسوى للاتجاهات الفاشية المتطرفة، وخاصة الدعوة التى أطلقها أصحاب هذه الاتجاهات للتوسع على القارة الأسيوية ، لما قد تسفر عنه هذه السياسة من خدمة مصالح الرأسمالية اليابانية . ونتج عن ذلك اتجاه الحكومة إلى تركيز السلطة فى يدها ، وتجاهلت المجلس النيابى (الدايت) الذى تقلص نفوذه وخفت صوته ، فوافق على الاعتمادات الضخمة التى خصصتها الحكومة فى الميزانية للانفاق على الأغراض العسكرية وخاصة البحرية . وازداد تدخل الجيش فى الحكم عندما سقطت الحكومة فى يناير ١٩٣٧، فرفض الموافقة على شخص وزير الحربية الذى عين فى الوزارة الجديدة ، فاستبدل به الأمير كونوبى فومى مادو الذى يمت بصلة القرابة إلى البيت الامبراطورى ، فارتضى به الجيش باعتباره يرمز إلى سلطة البيت الامبراطورى الذى يقود الأمة إلى الوحدة الوطنية .

واستمر الفاشيون فى تهيئة المسرح السياسى لتقبل حكمهم وتحقيق أملهم المنشود فى إقامة دكتاتورية عسكرية ، فمارسوا الإرهاب ضـــد خصومهم السياسيين ، وساعدت الاغتيالات السياسية على تلاشى المعارضة التى كانت تقف حجر عثرة فى طريقهم إلى السلطة ، ودعمت الانتصارات العسكرية التى حققها الجيش فى الصين موقفهم ، وكسبت لهم تأييداً جماهيرياً واسعاً ، واضطرت الأحزاب السياسية أن توقف نشاطها تحت ضغط العسكريين فى عام ١٩٤٠ .

ولكن الفاشية اليابانية كانت تختلف فى البداية عن نظيرتها فى أوربا ، فعلى الرغم من نجاحها فى تصفية الأحزاب السياسية اللبرالية عجزت عن إقامة تنظيم سياسى يرث تلك الأحزاب ، كما افتقـــدت الشخصية القوية التى تلعب دور الدكتاتور ، لأن انفراد شخص واحد بالسلطة يتنافى مع الأيديولوجية التى قام

عليها النظام والتى تعتبر الحكم حقاً خالصاً للامبراطور ، وتعتبر الحكومة أداة الامبراطور فى إدارة دفة البلاد . وعلى حين كانت المناصب الوزارية قسمة بين البيروقراطية والجيش ، ظلت الرأسمالية الاحتكارية تسيطر على اقتصاديات البلاد فى صورة مجموعات احتكارية تعمل لحسابها الخاص دون تنسيق ، وكانت أبرز هذه المجموعات متسوى وزايبا تسو غير أنها اتفقت فى الدفاع عن مصالحها ضد اتجاهات تدخل الدولة فى الاقتصاد ، ولم تحاول الحكومات المتعاقبة التى شكلها البيروقراطيون والعسكريون فيما بين عامى ١٩٣٧ — ١٩٤١ أن تفرض سياسة التدخل الاقتصادى أو الأخذ بالتخطيط الاقتصادى ، رغم تمتع تلك الحكومات بسلطة مطلقة ، فأدارت أمور البلاد من خلال المراسيم الامبراطورية والقرارات الوزارية التى كانت تصدرها ، وحولت المجلس النيابى إلى هيئة استشارية منزوعة السلطات ، وتوسعت فى تعيين أعضائه والخروج على قاعدة الانتخاب . وكانت رئاسة الحكومة خلال تلك الفترة فى يد البيروقراطية ، وان لعب العسكريون دوراً بارزاً فى تسمية رئيس الحكومة .

واختل هذا التوازن الدقيق بين البيروقراطية ورجال الجيش حين تورطت اليابان فى الحرب العالمية الثانية ، فاحتل العسكريون مكان الصدارة فى الحكم ، وشكل الجنرال طوجو هيديكى الوزارة فى أكتوبر ١٩٤١ واستمر فى السلطة حتى أكتوبر ١٩٤٤ وجمع فى يده ثلاث حقائب وزارية هى : الحربية ، والداخلية ، والإنتاج الحربى ، بالإضافة إلى رئاسته للوزارة والأركان العامة . وحتمت ظروف الحرب فرض القيود على النشاط الاقتصادى ، وتحويل معظم القطاعات الصناعية لخدمة المجهود الحربى ، وأشرفت الدولة إشرافاً مباشراً على إدارة الإنتاج خلال الحرب عن طريق وزارة الإنتاج الحربى . ولم ترفع الاحتكارات الرأسمالية أصبع المعارضة فى وجه هذه الاجراءات ، لأن الحرب التى خاضتها اليابان كانت دفاعاً عن الوجود اليابانى فى شرق آسيا ومصالح هذه الاحتكارات الرأسمالية فى تلك البلاد .

التوسع اليابانى فى شرق آسيا :

فجر الغزو اليابانى لمنشوريا فى عام ١٩٣١ الصراع بين الصين واليابان فعلى الرغم من محاولة اليابان إحياء حكم آخر الأسرات الامبراطورية فى الصين فى الدولة الجديدة التى قامت على أسنة الحراب اليابانية باسم دولة منشوكو بدعوى قيام حركة انفصالية صينية فى الإقليم ، عجزت اليابان عن إقناع حكومة الصين الوطنية والدول الأوربية صاحبة المصالح فى الصين بالوضع الجديد ، وانسحبت من عصبة الأمم رداً على قرار عدم الاعتراف بالنظام الجديد فى منشوريا الذى اتخذته العصبة (مارس ١٩٣٣) واستمرت المقاومة الصينية حتى عام ١٩٣٧ ، ولكن تحولا كبيراً حدث فى موقف اليابان منذ ذلك التاريخ الذى يحدد أيضاً بداية تزايد نفوذ العسكريين فى السلطة ، وحرصهم على اتباع سياسة التوسع العسكرى لكسب مزيد من الأرض على الساحة السياسية فى البلاد ، فبدأت حرب دامية غير معلنة بين الصين واليابان بما عرف باسم حادث جسر ماركوبولو (يوليو ١٩٣٧) ، ما لبثت أن التحمت بالصراع العالمى الكبير فى عام ١٩٤١ بعد حادث بيرل هاربر .

وبرر النظام الفاشى اليابانى سياسة التوسع فى الصين وجنوب شرق آسيا بالحاجة إلى توفير الأمن للبلاد ، فالصين تنازع اليابان زعامة شعوب آسيا ، والشيوعية المعادية للنظام الامبراطورى تنشر لواءها فى سيبريا ، والولايات المتحدة الأمريكية تبنى أسطولا قوياً فى المحيط الهادى ولا تخفى اهتمامها بالمنطقة فتبدى تحفظها على تقسيم الصين على الطريقة اليابانية . والسبيل الوحيد لتحقيق الأمن للبلاد إنما يكون بالسيطرة التامة على الصين وبلاد جنوب شرق آسيا ، لتوحيد المنطقة كلها تحت زعامة اليابان فى مواجهة الزحف الغربى ، ومن ثم كان احتفاظ اليابان بقوة عسكرية كبيرة ضرورة تفرضها اعتبارات الأمن القومى .

وبعد حادث جسر ماركوبولو الذى تحرشت فيـــه قوة يابانية بالحامية الصينية هنـاك فى ٧ يوليو ١٩٣٧ ، احتل اليابانيون إقليمى « بى بنج » و « تين تسن » ، ثم توغلت قواتهم فى منغوليـا فاحتلت « كالجان » لتقطع بذلك خطوط المواصلات الرئيسية بين الصين وروسيا السوفيتية ، وزحفت قوة يابانية كبيرة إلى « شنسى » و « شانسى » لتوجيه ضربة قاضية إلى القوات الشيوعية الصينية هنـــاك ، غير أن الغزاة قوبلوا بمقاومة عنيفة من جانب الشيوعيين الذين شنوا ضدهم حرب عصابات أنهكت قواهم ، وعندما دخلت الولايات المتحدة الأمريكية الحرب ضـد اليابان عند نهاية عام ١٩٤١ كانت خطوط اليابانيين فى هذا الإقليم متجمدة عند الحد الذى بلغته فى عام ١٩٣٨ .

وسيطر اليابانيون كذلك على وادى اليانجتسى ، ثم قدموا شروطهم لحكومة الصين الوطنية (الكومنتانج) التى تضمنت الاعتراف بسيطرة اليابان على المواقع الاستراتيجية الهـامة ، والاعتراف بمنتشـوكو ، وتكوين جبهة اقتصادية تضم اليـــابان والصين ومنتشوكو ، فرفض شيانج كاى شيك هذه الشروط جميعاً .

وحين يئس اليابانيون من إملاء شروطهم على حكومة الصين الوطنية ، تجاهلوها وحاولوا إقامة حكومات صينية فى الأقاليم الخاضعة لهم على نسق حكومة منتشوكو ، فأعلنوا قيـام « جمهورية الصين » فى بكين (ديسمبر ١٩٣٧) ، ولكنها ووجهت بحرب ضروس شنتها العصـــابات التى نظمها الشيوعيون فى الشمال ، فشكل اليابانيون حكومة أخرى فى نانكنج برئاسة « وانج تشنج وى » أحد رفاق صن يات صن وعضـو الكومنتانج المنشق ، وانضم إلى الحكومة عدد من أعضاء الكومنتانج المنشقين . وأعلنت هـذه الحكومة أنها الممثل الوحيـد للشعب الصينى ، وأنها ترى أن من مصلحة

الصين أن تتعاون مع اليابان ، وعقدت معاهدة فى نوفبر ١٩٤٠ مع اليابان للدفاع المشترك ضد الشيوعية والتعاون فى مجال التنمية الاقتصادية ، واعترفت ألمانيا وإيطاليا وأسبانيا ورومانيا وغيرها من دول أوربا الفاشية بحكومة وانج فى يوليو ١٩٤١ .

وضمت المنطقة الواقعة تحت الاحتلال اليابانى أقاليم غنية بالموارد الطبيعية تمتد من وادي اليانجتسى فيما بين شنغهاى وهانكو جنوباً حتى بى بنج وتشاهار شمالا ، امتدت إليها سلطة حكومة وانج وخضع لها نحو ٢٠٠ مليون نسمة من السكان . وبدأت اليابان استغلال المنطقة اقتصادياً ، فتكونت شركات للتجارة والصناعة والتعدين امتلك اليابانيون نصف أسهمها ، وروجت الدعاية لتهدئة السكان وتصفية شعور العداء نحو اليابانيين .

ورغم فقد الصين لنصف أراضيها وأغنى أقاليمها بالموارد الطبيعية ، فإن الوطنيين والكومنتانج أعادوا تنظيم صفوفهم فى المناطق الداخلية ، وأقاموا عاصمة مؤقتة فى تشنج كنج ، ونقلوا إلى هذه المنطقة الاقطاعية المتخلفة المصانع والمدارس والجامعات استعداداً لحرب طويلة الأمد ضد الغزاة . وقاد الحزب الشيوعى الصينى المقاومة فى الشمال الغربى،فاستطاع أن يرد اليابانيين على أعقابهم فى أول هزيمة منوا بها حين طردهم من شانسى إلى سهل الصين الشمالى ، ونظم الحزب الشيوعى إدارة الأقاليم الواقعة تحت يده . وما كاد يحل عام ١٩٤١ حتى كانت المنطقة المحررة التابعة للحزب الشيوعى تضم حوالى ٥٠ مليون نسمة ولكن الكومنتانج بدأ يتشكك فى نوايا الشيوعيين رغم تحالفه معهم ، وفى مدى صلاحية استراتيجية النفس الطويل وحرب العصابات التى لجأوا إليها ، كما رفض الشيوعيون أن يسلموا الكومنتانج زمام أمورهم السياسية والعسكرية ، وأثمرت بذور الشك هذه انشغال كل من الطرفين عن مقاومة اليابانيين واصطدامهما — أحياناً — ببعضهما البعض .

وحاولت بريطانيا أن تقنع الولايات المتحدة الأمريكية بالقيام بعمل مشترك فى الصين لإيقاف التدخل اليابانى ، ولكن الأخيرة كانت مشغولة بمعالجة آثار الكساد العالمى ، تخشى التورط العسكرى فى المنطقة ، وتفضل الركون إلى الأساليب الدبلوماسية ، وفشلت عصبة الأمم فى إصدار قرار بفرض عقوبات على اليابان بسبب تميع موقف الولايات المتحدة وإيطاليا .

وأدى فشل الجهود الدولية لوضع حد للتدخل اليابانى فى الصين إلى تشجيع اليابان على التماس حليف على القارة الأوربية ، فوقعت مع ألمانيا معاهدة دفاع مشترك « ضد الخطر المتزايد للشيوعية » فى نوفمبر ١٩٣٦ ، ثم مالبثت أن وقعت نفس المعاهدة مع إيطاليا ، وبذلك ضمنت عدم تدخل الاتحاد السوفياتى ضد الوجود اليابانى فى الصين ، وازدادت القوات اليابانية ضراوة فى مواجهة المقاومة الصينية التى لم تلن قناتها . ولجأت اليابان إلى انتهاج سياسة جديدة اعتباراً من نوفمبر ١٩٣٨ أطلقت عليها اسم « النظام الجديد لشرق آسيا » مؤداها إقامة تنسيق بين اليابان ومنشوكو والصين المحتلة فى الأمور الاقتصادية . وفى إطار هذه السياسة شنت اليابان حرباً ضد المصالح الأجنبية غير اليابانية فى الصين ، فحاصرت مناطق الامتيازات الفرنسية والانجليزية فى « تين تسن » وأخذت تفتش علانية الأوربيين الداخلين إلى هذه المناطق أو الخارجين منها لتبرهن للصينيين على حقيقة الدعاية اليابانية التى تقول بأن عصر السيطرة الأوربية قد ولى ، وأن اليابان حررت شعوب آسيا من السيطرة الغربية . ولم تسلم من هذه الإجراءات المناطق التابعة لألمانيا حليفة اليابان ، وكذلك مناطق الامتيازات التابعة للولايات المتحدة الأمريكية مما أضر بالمصالح الرأسمالية الأمريكية ودفع الولايات المتحدة إلى إعلان إلغاء معاهدة التبادل التجارى مع اليابان .

وعندما شب أوار الحرب العالمية الثانية فى أواخر صيف ١٩٣٩ أعلنت اليابان حرصها على عدم التورط فى ذلك « الصراع الأوربى » وأنها ستبذل

قصارى جهدها لحل المسألة الصينية . غير أن تلك الحرب الأوربية أثرت على الوضع السياسى فى آسيا ، فرغم وقوف الولايات المتحدة الأمريكية على الحياد — من الناحية الرسمية — كانت تمد الدول الديمقراطية فى أوربا بالأموال والسلاح،وسقطت هولندا وبلجيكا وفرنسا فى يد الألمان فى شهرى مايو ويونيو ١٩٤٠ ، وبدأت بعد ذلك معركة بريطانيا . وأدت هذه التطورات إلى إطلاق يد اليابان فى آسيا ، فقد تغاضى الانجليز عن الإمدادات اليابانية التى كانت تنقل إلى الصين الوطنية عبر هونج كونج وبورما ، كما حصلت اليابان على حق استخدام مطارات الهند الصينية الخاضعة لحكومة فيشى الفرنسية فى مهاجمة جنوب غرب الصين ، وأرسلت بعثة تجارية يابانية إلى جزر الهند الشرقية الهولندية فى محاولة فاشلة للحصول على المزيد من إمدادات البترول ، وبذلك حاولت اليابان استغلال الظروف الصعبة التى كانت تواجهها دول أوربا الغربية فى تدعيم مركزها الاستراتيجى ، وتوجيه ضربة قاضية إلى المصالح الاقتصادية لتلك الدول عن طريق مستعمراتها الغنية بالبترول والمطاط والبوكسيت والحديد فى جنوب شرقى آسيا .

وكان العسكريون اليابانيون يضغطون على حكومتهم منذ مارس ١٩٣٩ لعقد معاهدة تحالف كامل مع ألمانيا ، وأبدت ألمانيا استعدادها للتجاوز عما لحق بمصالحها الاقتصادية فى الصين من أضرار على يد اليابان من أجل عقد هذا التحالف الذى يدعم مركزها فى أوربا ، غير أن معاهدة التحالف لم توقع نهائياً إلا فى سبتمبر ١٩٤٠ وانضمت إليها إيطاليا باعتبارها شريكة ألمانيا فى الحرب . وأصبح واضحاً أن الحلف اليابانى — الألمانى — الإيطالى يستهدف الولايات المتحدة الأمريكية بالذات ، فقد عاقت ألمانيا الآمال على هذا التحالف للحد من تدفق الإمدادات الأمريكية على بريطانيا . أما اليابان فاعتبرت الحلف بمثابة إنذار موجه إلى الولايات المتحدة الأمريكية إذا ما فكرت فى التدخل ضد التحركات التى كان الجيش اليابانى يزمع القيام بها .

ولكن الولايات المتحدة الأمريكية لم تكن وحدها الشغل الشاغل لليابان، لأن الاتحاد السوفياتي قد يتدخل في شمال الصين إذا نقلت اليابان نشاطها العسكري إلى جنوب شرقي آسيا ، وخاصة أن الأخيرة فقدت الأمل في بقاء الاتحاد السوفياتي على الحياد على تلك الجبهة منذ وقع صدام بين جيش كوانتونج الياباني والجيش السوفياتي على حدود منغوليا في أغسطس ١٩٣٩ خسر فيه اليابانيون ١٨ ألف جندي بين قتيل وجريح ، وتجددت بذلك الاشتباكات بين الطرفين ، فأصبح من المحتمل أن يوسع السوفيات نشاطهم على الجبهة الصينية إذا شغل اليابانيون بالتوسع في جنوب شرقي آسيا . وبدأت الدبلوماسية اليابانية نشاطها من أجل ضمان حيدة الاتحاد السوفياتي خلال توسع اليابان في جنوب شرقي آسيا ، فدارت مفاوضات بين الطرفين حول المناطق المتنازع عليها على الحدود الصينية الشمالية ، نجح خلالها ماتسوكو سايونجي وزير الخارجية الياباني في عقد معاهدة عدم اعتداء مع موسكو في ٣ أبريل ١٩٤١ ، وبذلك ضمنت اليابان سلامة مؤخرتها ، وتفرغت للبحث عن سبيل لشل حركة الولايات المتحدة أثناء قيامها بتنفيذ سياستها التوسعية في جنوب شرقي آسيا وتصفية المقاومة الصينية .

وكانت سياسة الولايات المتحدة في المحيط الهادي ترمي إلى مقاومة الأطماع اليابانية ، ففرضت حكومة الرئيس روزفلت عقوبات اقتصادية على اليابان حظرت بمقتضاها تصدير البنزين والحديد الخردة والصلب إليها اعتباراً من يوليو ١٩٤٠ . وتدهورت نتيجة لذلك العلاقات اليابانية — الأمريكية ، وفشلت المفاوضات غير الرسمية التي دارت بين الطرفين لرفع القيود التي فرضها الأمريكيون على التجارة بين البلدين ، ولكن الشروط التي قدمتها الولايات المتحدة كانت تعني الحد من التوسع الياباني في شرقي آسيا ، وكل ما أثمرته هذه المفاوضات إتاحة الفرصة أمام الطرفين للاستعداد للحرب .

وحين بدأت ألمانيا غزو الاتحاد السوفياتي في ٢٢ يونيو ١٩٤١ دون أن

يكون لدى حليفتها اليابان علم مسبق بتدابير الغزو ، ترك هذا الحدث أثراً فعالا على الموقف الياباني ، فعقد المجلس الامبراطورى اجتماعاً فى ٢ يوليو تقرر فيه اختيار مدى فاعلية معاهدة عدم الاعتداء مع السوفيات عن طريق التوسع فى الهند الصينية ، والاشتراك فى الحرب الأوربية للاستفادة من نتائج هزيمة السوفيات أمام ألمانيا التى بدت — عندئذ — وشيكة الوقوع . فطالبت اليابان حكومة فيشى الفرنسية بمنحها قواعد جديدة فى الهند الصينية وحين تلكأت الأخيرة قامت باحتلال المستعمرة الفرنسية ، وأعدت الخطط العسكرية للاستيلاء على الملايو وجزر الهند الشرقية والفلبين ، وكانت البحرية اليابانية وقد بدأت منذ مطلع عام ١٩٤١ تدريباتها على ضرب بيرل هاربر القاعدة البحرية الكبرى فى المحيط الهادى .

غير أن أمريكا لم تقف مكتوفة الأيدى إزاء هذه التطورات ، فوجه الرئيس روزفلت ضربة إلى المصالح المالية اليابانية حين أصدر مرسوماً بتجميد الأموال اليابانية فى بنوك أمريكا كرد على غزو اليابان للهند الصينية . وحاول رئيس الحكومة اليابانية أن يجتمع بالرئيس روزفلت لتلافى وقوع الحرب بين البلدين ، ولكن الحكومة الأمريكية لم توافق على اللقاء المقترح إلا إذا أوقفت الجيوش اليابانية تقدمها فى الهند الصينية ، وأصدرت اليابان إعلاناً واضحاً عن نواياها فى المنطقة ، ففشلت بذلك محاولات تأجيل الصدام بين البلدين ، وانتقل مركز الثقل داخل الحكومة اليابانية إلى جانب العسكريين فشكل طوجو هيديكى وزير الحربية حكومة عسكرية فى ١٨ أكتوبر ووافق المجلس الامبراطورى فى ٥ نوفمبر على تقديم مقترحات جديدة إلى الولايات المتحدة لتسوية الموضوعات المتنازع عليها ، على أن تقبل الأخيرة هذه المقترحات فى موعد أقصاه ٢٥ نوفمبر وفى حالة رفض الولايات المتحدة لهذه المقترحات يتم الهجوم على بيرل هاربر ومانيلا وسنغافورة . وعندما رفضت أمريكا الاذعان لهذه المقترحات شن

اليابانيون هجومهم المشهور على بيرل هاربر فى ٧ ديسمبر ، فأعلنت الولايات المتحدة وبريطانيا الحرب على اليابان فى اليوم التالى ، مما دعا ألمانيا وإيطاليا إلى إعلان الحرب على الولايات المتحدة الأمريكية فى ١١ ديسمبر ١٩٤١ .

ويذهب بعض المؤرخين الأمريكيين إلى أن حادث بيرل هاربر كان من تدبير حكومة الرئيس روزفلت التى سعت إلى إقناع الشعب الأمريكى بالدخول فى الحرب إلى جانب دول غرب أوربا الديمقراطية ضد دول المحور ، فتراخت فى اتخاذ الاحتياطات اللازمة لاتقاء الضربة اليابانية الأولى ، رغم تمكن المخابرات الأمريكية من حل الشفرة اليابانية ، وعلمها المسبق بمخططات اليابان العسكرية . ولا يقدم أصحاب هذا الرأى دليلا مقنعاً على صحة وجهة نظرهم ، فلو كان الحادث من تدبير الحكومة الأمريكية حقاً لجاءت خسائره محدودة ، ولما ترتب عليه شل حركة الأسطول الأمريكى تماماً فى المحيط الهادى حتى تمكنت اليابان من جنى ثمار تلك الضربة المفاجئة ، فاستولت على هونج كونج وفورموزا والملايو والفلبين وجزر الهند الشرقية ، ولم تبدأ أمريكا هجومها المضاد ضد التوسع اليابانى فى جنوب شرقى آسيا إلا فى نوفمبر ١٩٤٣ .

التورط فى الحرب وسقوط الفاشية :

وقابلت الولايات المتحدة اكتساح اليابان لجنوب شرقى آسيا بخطة عسكرية التزمت حدود الدفاع حتى تتفرغ مع حلفائها لمواجهة هتلر وتعيد بناء قواتها فى المحيط الهادى وتنسيق خططها مع الحلفاء فى مجال الاستراتيجية والإنتاج الاقتصادى . ثم انتقلت بعد ذلك من موقف الدفاع إلى الهجوم ، فشنت غارات جوية من حاملات الطائرات الأمريكية على الأسطول اليابانى (٧ ، ٨ مايو ١٩٤٢) نجحت خلالها فى إحباط محاولة اليابانيين قطع خطوط

الإمدادات الأمريكية لاستراليا عبر جنوب المحيط الهادى ، وحققت أول انتصار على الأسطول اليابانى فى معركة ميدوى Midway التى أغرقت خلالها قاذفات القنابل الأمريكية ٢١ سفينة حربية يابانية (٤ ، ٧ يونيو ١٩٤٢) ، وبذلك حالت دون احتمال وقوع جزر هاوائى فى يد اليابانيين .

وبدأ مد الانتصارات التى حققها اليابانيون فى الانحسار اعتباراً من عام ١٩٤٣ حين شن الأمريكيون هجوماً شاملا على المستعمرات اليابانية فى المحيط الهادى فيما عرف باسم « معركة الباسفيكى » التى امتدت حتى منتصف عام ١٩٤٥ ، وتمكن الحلفاء خلالها من دحر القوات اليابانية فى مجموعة الجزر المتناثرة فى المحيط الهادى ، وانتزاع بورما وسنغافورة والفلبين وغنيا الجديدة وأوكيناوا من أيديهم ، وأنهكت الغارات الجوية والغواصات الأمريكية الأسطول اليابانى ، فأغرقت ما يقدر بسبعمائة سفينة يابانية حتى نهاية عام١٩٤٤ الذى بدأ الأمريكان عند منتصفه غاراتهم الجوية على المناطق الخاضعة لليابان فى شمال الصين ومنشوريا . وأخذت قاذفات القنابل الأمريكية منذ مطلع عام ١٩٤٥ نقصف المراكز الصناعيةاليابانية الهامة فى الجزر اليابانية ذاتها مثل طوكيو وناجويا وأوساكا وكوبى وغيرها ، كما دمرت العديد من المطارات فى جزيرة كيوشو . وانضم الانجليز إلى حلفائهم الأمريكيين فى عمليات القصف الجوى للمدن اليابانية اعتباراً من يوليو ١٩٤٥ ، فقدرت الطلعات الجوية على المدن اليابانية بأكثر من ألفين طلعة فى اليوم الواحد ، وفقدت اليابان فى الشهور الأخيرة من نفس العام ما قدر بثلاثة آلاف طائرة و ١٦٠٠ سفينة بين حربية وتجارية . وما كاد يحل أول أغسطس ١٩٤٥ حتى كانت اليابان قد فقدت القدرة على القتال فى الجو والبحر .

وحين توالت الهزائم على اليابان قرر المجلس الامبراطورى فى يوليو ١٩٤٤ تنحية الجنرال طوجو هيديكى من السلطة وتشكيل حكومة عسكرية جديدة لمواجهة الموقف ، ولكن هذه الحكومة عجزت عن تغيير دفة

النكسات العسكرية التى لحقت بالبلاد ، وتلتها حكومتان عسكريتان أخريان لم تحرزا أى تقدم فى هذا المجال ، فشدد الحلفاء هجماتهم المكثفة على اليابان . وكانت خسارة اليابان للحرب أمراً مسلماً به ، فجرت اتصالات بين الحكومة اليابانية والروس فى ١٣ يوليو ١٩٤٥ تنشد من السوفيات التوسط لدى الأمريكان والانجليز لعقد معاهدة سلام وإنهاء حالة الحرب ، غير أن السوفيات التزموا الصمت ، فقد تعهد ستالين فى مؤتمر يالتا (فبراير) بالهجوم على منشوريا وكوريا فى أغسطس لاستنزاف الطاقة العسكرية لليابانيين ومنعهم من الاستفادة بقواتهم هناك فى تدعيم الدفاع عن اليابان ذاتها ، ولذلك تلكأ السوفيات فى الرد على اليابانيين حتى ٨ أغسطس بعد تعرض هيروشيما للقصف الذرى بيومين اثنين رغم أن استخدام هذا السلاح الجديد تم دون علمهم ، فلم يطلعهم حلفاؤهم الأمريكيون على ما يفيد امتلاكهم لهذا السلاح . وجاء الرد السوفياتى على طلب اليابان فى صورة بلاغ من الحكومة السوفياتية أعلنت فيه دخولها الحرب ضد اليابان اعتباراً من اليوم التالى للبلاغ ، وقطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين . وبعد هذا البلاغ السوفياتى بساعات قصفت مدينة نجاساكى وقاعدتها البحرية بقنبلة ذرية أمريكية ثانية ، وشن السوفيات هجوما كبيراً على القوات اليابانية فى كوريا ومنشوريا ، فتحطمت آمال العسكريين اليابانيين فى عقد سلام مشرف ، واضطروا إلى القبول بشروط الحلفاء والتسليم لهم نهائيا فى ١٤ أغسطس ، ووقعت معاهدة التسليم غير المشروط فوق ظهر السفينة الحربيـــة الأمريكية ميسورى التى ألقت مراسيها فى خليج طوكيو (٢ سبتمبر ١٩٤٥) .

ولم يكن قرار التسليم غير المشروط ناتجا عن تعرض مدينتين من أكبر مدن اليابان وقاعدتين من أعظم قواعدها البحرية للقصف الذرى ، أو عن دخول السوفيات الحرب ضد اليابان واجتياحهم كوريا ومنشوريا ، ولكنه كان نتيجة تصدع النظام العسكرى الفاشى منذ نهاية عام ١٩٤٤ بعدما خسرت اليابان معركة

الباسفيكى وفقد النظام مبررات وجوده ، وكان قرار التسليم للحلفاء يتوقف على انهيار الحكم العسكرى ، وقد أقدم الامبراطور على اتخاذ هذه الخطوة فأعلن بنفسه قرار التسليم بلا قيد ولا شرط فمارس بذلك سلطته لأول مرة فى ظل نظام طالما اتخذ الولاء للامبراطور سبيلا لتدعيم سلطته، وأدار سياسة البلاد نيابة عن الامبراطور الذى لم يكن يتمتع بسلطة حقيقية ، وكان المجلس الامبراطورى الذى يخطط للسياسة العليا للبلاد ويضم أقطاب البيروقراطية وكبار العسكريين ورؤساء الحكومات السابقين يصدر قراراته وفق هوى الطغمة العسكرية الحاكمة ، وبنزول قوات الحلفاء إلى اليابان ألقى القبض على أقطاب النظام العسكرى الحاكم ، وقدموا للمحاكمة باعتبارهم مجرمى حرب ، وشكلت فى ٢٢ أبريل ١٩٤٦ حكومة برئاسة شيديهارا كيجيرو آخر من بقى على قيد الحياة من الشخصيات الليبرالية التى لعبت دورا بارزا فى الحياة السياسية قبل انجراف اليابان فى تيار الفاشية ، ووقع على كاهل حكومته عبء إصلاح ما أفسدته الحرب وإعادة بناء اليابان وفق أسس جديدة خطط لها الأمريكيون ونفذها الساسة الليبراليون .

قصة القنبلة الذرية :

وإذا كان الكتاب الذى بين أيدينا الآن يعالج حصاد سياسة التوسع على حساب شعوب جنوب شرق آسيا والصراع الامبريالى فى المنطقة الذى انتهى بهزيمة ساحقة ودشن سلاحا رهيبا جديدا استخدم لأول مرة هو القنبلة الذرية، يجدر بنا أن نقف على أطراف قصة هذا السلاح ودوافع استخدامه .

بدأ اكتشاف الذرة فى معامل معهد القيصر ولهلم فى برلين عام ١٩٣٨ نتيجة دراسات قام بها العلماء الألمان لمتابعة تجارب فى هذا المجال كان قد سبقهم إليها عالم إيطالى هـــو انريكو فيرمى فى عام ١٩٣٤ ، ووصلت أنباء هذا الاكتشاف الجديد إلى أمريكا مع بعض العلماء الألمان الذين فروا من

الاضطهاد النازى فى ألمـانيا ، وأبلغ أينشتين العالم الأمريكى الشهير هذا النبأ إلى الرئيس روزفلت فى ١١ أكتوبر ١٩٣٩ ، فلم يعر الأمر اهتماما ، ولكنه ما لبث أن اقتنع بضرورة أخذ المسألة مأخذ الجد حين علم بالقوة الهائلة التى تنجم عن الطاقة الذرية وأن استخدامها كسلاح فى الحرب قد يقلب موازين القوى فى العالم، فحرص على توفير السبل التى تحقق لأمريكا التوصل إلى إمتلاك هذا السلاح قبل ألمـانيا .

وشكلت على الفور لجنة من العلماء والعسكريين كانت تتبع الرئيس الأمريكى مباشرة أحيط نشاطها بالسرية التامة، وحملت أسم «مشروع مانهاتن». وخصص الرئيس الأمريكى جانبا من المصروفات السرية الخاصة بالبيت الأبيض للانفاق على هذا المشروع الذى اشترك فيه انريكوفيرمى العالم الايطالى سالف الذكر فأقيمت ثلاث معامل لأبحاث الذرة فى ثلاث مناطق منعزلة بولايات نيومكسيكو وتنسى ، وواشنجتون .

وفى الثانى من ديسمبر عام ١٩٤٢ توصلت اللجنة إلى نتائج مؤكدة حول إمكانية استخدام هذه الطاقة الجديدة فى صنع قنبلة ذرية، وبدأ الخبراء العسكريون وضع تصميمات القنبلة بالتعاون مع العلماء ، ووضعوا خطة لانتاج نوعين من هذه القنبلة أعطى أولهما اسما رمزيا هو « الولد الصغير » أما الآخر فأطلق عليه « الرجل السمين » وفى نفس الوقت أعيد النظر فى تصميم الطائرة القاذفة (ب ٢٩) بحيث تصبح مهيأة لحمل هذا السلاح واستخدامه ، واختير فريقان من مهرة الطيارين المقاتلين للتدريب على هذه الطائرات فى ظروف طبيعية مختلفة .

وتم إنتاج القنبلة فى مطلع عام ١٩٤٥ ، ووقع الاختيار على جزيرة تن يان لتصبح قاعدة لانطلاق أول عملية قصف نووى فى التاريخ ، وتقع هذه الجزيرة علي بعد مائة ميل إلى الشمال من جزيرة جوام ، وعلي بعد نحو ١٥٠٠ ميل إلى

الجنوب من جزيرة هنشو وكبرى جزر اليابان التى تقع هيروشيما فى جنوبهـــا الغربي . وأرسلت المجموعتان اللتان تدربتا على عملية القصف الذرى إلى جزيرة تن يان مع سربين من طائرات (ب ٢٩) وقنبلتان ذريتان فى ٢١ يونيو ١٩٤٥ ، وأثناء وجودهما بتلك القاعدة تمت تجربة أول تفجير نووى فى التاريخ بصحراء نيومكسيكو فى ١٦ يوليو ، واطمأنت القيادة الأمريكية الى فاعلية السلاح الجديد ، وبدأ منذ ذلك التاريخ العد التنازلى لاستخدام القنبلة « الولد الصغير » فى قصف مدينة هيروشيما ، والقنبلة « الرجل السمين » فى فى قصف مدينة نجاساكى .

وأقلع السرب الأول الذى يحمل « الولد الصغير » فى صبيحة السادس من أغسطس متجهاً صوب هيروشيما ، وكان يتكون من ثلاث طائرات (ب٢٩) تحمل إحداها القنبلة ، أما الثانية فتحمل بعض العلماء الذين اشتركوا فى المشروع لتسجيل النتائج العلمية للقصف ، وحملت الطائرة الثالثة آلات التصوير وبعض الفنيين ، وفى الساعة الثامنة والربع و ١٧ ثانية ألقت الطائرة الأولى القنبلة فوق هيروشيما المدينة التى كان يسكنها عندئذ نحو نصف مليون نسمة ، وهبطت القنبلة بمظلتين ليتاح لها فرصة الانفجار فى الجو ، وكان وزنها يبلغ خمسة أطنان وألقيت على المدينة من ارتفاع ١٨٧٠ قدماً ، وبلغت قوة انفجارها مايعادل ١٣٥٠٠ طناً من مادة الـ (NT) شديدة الانفجار .

وفى صباح التاسع من أغسطس أقلع السرب الثانى من قاعدة تن يان يحمل القنبلة « الرجل السمين » والعلماء والأجهزة الفنية وآلات التصوير قاصـــداً نجاساكى التى تقع غرب جزيرة كيوشو ، وكان يسكنها مايربو على ربع مليون نسمة ، وألقيت القنبلة على المدينة فى الساعة الثامنة والنصف صباحاً فانفجرت على ارتفاع ١٥٤٠ قدماً لتلحق بالمدينة دماراً شاملا .

لقد مر بنا أن اليابان خسرت معركة المحيط الهادى تماماً مع نهاية عام ١٩٤٤ ،

وحاولت أن توسط الاتحاد السوفياتى فى عقد صلح مع الحلفاء فى ١٣ يوليو ١٩٤٥ ، أى قبل قصف هيروشيما بنحو ثلاثة أسابيع ، وأن تصدع الحكم العسكرى جعل الامبراطور يفكر جدياً فى التسليم ، هذا بالإضافة إلى أن الأمريكيين كانوا يملكون مفتاح الشفرة اليابانية ويعرفون حقيقة الأوضاع فى اليابان ، فلماذا إذن أقدموا على استخدام السلاح النووى الرهيب ضدها ؟

لقد كانت الحرب توشك على الانتهاء ، ويشرف العالم بانتهائها على عصر جديد ، وأصبح من الواضح أن انجلترا وفرنسا فقدتا زعامتهما التقليدية للعالم الديمقراطى الغربى لصالح الولايات المتحدة الأمريكية التى انقذت الغرب من الانحدار أمام الفاشية ، فكان من المتوقع أن ترث الولايات المتحدة المكانة التى تمتعت بها انجلترا وفرنسا من قبل ، كما ترث قدرا من المصالح الامبريالية فيما وراء البحار يتكافأ مع حجم الدور الذى لعبته فى تدعيم مركز الديمقراطيات الغربية فى مواجهة الفاشية ، كما أصبح واضحا كذلك أن الاتحاد السوفياتى قد اكتسب قوة وفعالية على مسرح السياسة الدولية نتيجة الصراع مع الفاشية ، وأنه سوف يصبح القطب المقابل للولايات المتحدة الأمريكية باعتباره — عندئذ — القوة الاشتراكية الكبرى الوحيدة فى العالم التى تتزعم البلدان الاشتراكية الأخرى والتى تختلف مبادئها ومصالحها مع الامبريالية ، فكان ثمة احتمال حدوث مواجهة بين الطرفين المتناقضين فى عصر ما بعد الحرب ، لذلك حرصت الولايات المتحدة الأمريكية أن تلفت نظر الاتحاد السوفياتى بصورة عملية إلى ما لديها من قوة رادعة تجعله لا يفكر فى تحدى أمريكا المتحدة بلسان المصالح الامبريالية فى عالم ما بعد الحرب ، فكان قصف هيروشيما ونجاساكى خطابا موجها إلى حليف اليوم الذى قد يصبح عدو الغد . كما أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت بحاجة إلى ميدان حى لتجربة السلاح الجديد ، لمعرفة مدى فعاليته ، والتأثيرات التى تنتج عن الاشعاع الذرى فى البيئة والإنسان ، فكان استخدام المدن اليابانية حقل تجارب للتفجير النووى

يحقق لأمريكا هذه الغاية ، كما يوفر عنصر الردع الذى يترك أثرا نفسيا بالغاً على شعب تحدى الولايات المتحدة ، وحطم هيبتها ذات يوم ، وتربى على تقبل سياسة القوة وتشبع بالروح العنصرية المستمدة من تراثه التقليدى .

ومهما كان الأمر ، فان استخدام القنبلة الذرية فى ضرب هيروشيما ونجاساكى فتح الباب على مصراعيه لعصر جديد ، تسابقت فيه القوى الكبرى على إمتلاك الأسلحة النووية وتطويرها حتى أن قوة قنبلة هيروشيما على ما سببته من دمار تشبه عود الثقاب بالنسبة للأتون الملتهب ، اذا ما قورنت بالتطور الذى أصبحت عليه الأسلحة الذرية الآن ، ولعبت الذرة دورا كبيرا فى الدبلوماسية الدولية وفر جانب الردع ، وشجع العملاقان الذريان على انتهاج سياسة الوفاق . كما انضمت لعضوية النادى الذرى فى السنوات الأخيرة فرنسا والصين والهند ، وتتطلع بعض الدول النامية الأخرى كالباكستان وإيران إلى الانضمام إليه .

مصادر يمكن الرجوع اليها

1. Alperovitz, Gar : Atomic Diplomacy, Hiroshima and potsdam New York 1965.
2. Amrine, Michael : The Great Decision, The Secret History of the Atomic Bomb, New York 1969.
3. Herbrt Feis : The Road to Pearl Harbor, USA 1950
4. James David : The Rise and fall of the Japanese Empire, London 1951.
5. Maruyama Masao : Thought and Behavior in Modern Japanese Politics, ed by Ivan Morris, USA 1963.
6. Richard Storry : The Double Patriots, A study in Japanese Nationalism, USA 1957.
7. Seiji G Hishida : Japan Among the Great Powers, USA 1940.
8. Stonier, Tom : Nuclear Disaster, New York 1933.
9. Togo, Shigenori : The Cause of Japan, New York 1956.
10. William Craig : The Fall of Japan, USA 1967.
11. Yale. C Max n : Control of Japanese Foreign Policy, A Study of Civil—Military Rivaly 1936—1945, USA 1957.

يوميات هيروشيما

يوميات هيروشيما

يوميات هيروشيما

لما كان الدكتور هاتشيا قد بدأ يومياته دون أن يتطرق إلى ذهنه فكرة نشرها، فلم يعن بوصف المستشفى الذى كان مسرحا لتلك اليوميات أو إعطاء فكرة عن العاملين به الذين يمثلون الشخصيات الرئيسية فى تلك اليوميات. أما المستشفى فهو مستشفى المواصلات بهيروشيما الذى كان يقوم على علاج موظفى وزارة المواصلات بمنطقة هيروشيما، وهم يشملون موظفى البريد والبرق والتليفونات. ولما كانت هيروشيما تضم نصف مليون نسمة، وتعد عاصمة لمحافظة هيروشيما التى بلغ عدد سكانها عندئذ مليونان، فان هذا المستشفى كان يتمتع بأهمية ملحوظة وكان عدد العاملين به يبلغ نحو عشرين عضوا بين طبيب وممرض وبلغ عدد أسرته عندئذ ١٢٥ سريرا، ولكن هذه الطاقة لا تعطى تحديدا دقيقا لحجم الخدمة التى يؤديها المستشفى فان عدد المرضى الخارجيين الذين كان يقوم على خدمتهم كبير جدا لا يقارن بعدد أولئك الذين تستدعى ظروف مرضهم استبقاؤهم بعض الوقت بالمستشفى.

وكان هذا المستشفى ملحقا بالمبنى الرئيسى لمصلحة المواصلات وكلا المبنيان كان شامخاً مشيداً بالخرسانة المسلحة، وبعد حادث قصف هيروشيما تحول مبنى المصلحة إلى مبنى ملحق بالمستشفى، وكان كلاهما يقع على بعد ١٥٠٠ متر من مركز تفجير القنبلة الذرية شمال شرق حدود المنطقة العسكرية الكبرى التى كان يطلق عليها إسم «ثكنات هيروشيما العسكرية» والتى تحطمت تماما نتيجة القصف، أما منزل الدكتور هاتشيا (صاحب اليوميات) فقد كان يقع على بعد بضع مئات من الأمتار بالقرب من المستشفى.

وحتى حادث القصف بالقنبلة الذرية لم تكن هيروشيما قد تعرضت للقنابل

خلال الحرب ، ولكن السلطات العسكرية رأت أن تعد العدة لاحتمال تعرض المدينة لغارات جوية فقامت بهدم آلاف المنازل حتى تقيم مكانها طرقا متسعة تساعد على مرور سيارات الإطفاء فى حالة الطوارىء وتم إجلاء الآلاف من سكان هذه المنازل. وتمشياً مع هذه الإجراءات أخلى الدكتور هاتشيا المستشفى من مرضى القسم الداخلى وحولهم إلى مرضى خارجيين حتى إذا تعرضت المدينة لقصف جوى كان المستشفى خالياً تماماً ومستعداً للطوارىء .

وفيما يلى قائمة بأسماء العاملين بالمستشفى بالإضافة إلى بعض الشخصيات التى تبدو من حين لآخر بهذه اليوميات :

الدكتور آكى ياما ، رئيس قسم الولادة وأمراض النساء .

الدكتور تشودو ، طبيب بقسم الأسنان .

الدكتور فوجى ، رئيس قسم الأسنان .

الدكتور هاتشيا ، مدير المستشفى وصاحب هذه اليوميات .

الدكتور هانا أوكا ، رئيس القسم الداخلى .

الدكتور هارادا ، صيدلى .

الآنسة هينادا ، ممرضة بالمستشفى .

الدكتور هينوئى ، رئيس الصيادلة .

السيد ايجوتشى ، سائق بمصلحة المواصلات .

السيد ايماتشى ، موظف إدارى بالمستشفى كان يقوم فى نفس الوقت بعمل كبير الطهاه .

السيد ايسونو ، أصبح رئيساً لمصلحة التليفونات بهيروشيما بعد مقتل السيد يوشيدا .

الآنسة كادو ، الممرضة الخاصة للدكتور هاتشيا .

الدكتور كاتسوبى ، رئيس قسم الجراحة .

الدكتور كيتا جيما ، رئيس الإدارة الصحية بمدينة هيروشيما .

السيد كيتا أو ، موظف إدارى بالمستشفى .
الدكتور كوياما ، مساعد رئيس قسم العيون بالمستشفى .
السيد ميزو جوتشى ، كاتب سابق بالمستشفى قام خلال الأحداث بالإشراف على الحى وبدور المدير الإدارى للمستشفى وموظف العلاقات العامة والرجل الذى يتصدى لكل الملمات .
الدكتور مورى سوجى ، طبيب بالقسم الداخلى .
السيد أوكاموتو ، رئيس قسم غرب هيروشيما بمصلحة المواصلات .
الدكتور أوكورا ، طبيب أسنان .
السيدة سائيكى ، وهى مصنفة كفراشة (تمورجية) بالمستشفى ولكن هذا التعريف لا ينصف السيدة سائيكى لأن هذه السيدة التى حرمت من أبنائها الثلاثة وزوجها الذين ماتوا جميعاً فى الحرب ذات الشخصية القومية الممتلئة بالحزن ، والتى تكافح شظف العيش والفقر ، كانت تقوم بمهمة الصديق والمستشار للجميع ، وتضفى من أمومتها الكثير على العاملين بالمستشفى والمرضى والزوار ، فكان الجميع يطلقون عليها اسم « الجدة العزيزة » .
السيد ساساكى ، جار الدكتور هاتشيا وصديقه .
الدكتور ساسادا ، رئيس قسم الأطفال بالمستشفى .
السيد سيرا ، رئيس مكتب العمل بالمستشفى .
السيد شيوتا ، موظف بمكتب العمل .
الآنسة سوسوكيدا ، رئيسة الممرضات .
الآنسة تاكاؤو ، ممرضة الجراحة الخاصة بالدكتور كاتسوبى .
الدكتور تاماجاوا ، أستاذ التحاليل بكلية الطب بهيروشيما .
السيد يوشيو ، رئيس الشئون العامة بالمستشفى .
السيدة يائيكو ، زوجة الدكتور هاتشيا .
الآنسة ياما ، رئيسة الممرضات بقسم الجراحة .
السيد ياما زاكى ، موظف بمكتب العمل الذى تولى الاشراف على محرقة الجثث
السيدة يوشيدا ، زوجة الرئيس السابق لمصلحة التليفونات بهيروشيما .

٦ أغسطس ١٩٤٥

كان الوقت مبكراً ، لازال الصباح دافئا جميلا ، انعكس ضوء الشمس على أوراق الشجر، وبدت السماء صافية فعكست الظلال على حديقة منزلى بينما كنت أحملق شارداً فى السماء عبر الأبواب الواسعة فى اتجاه الجنوب .

كنت لا أرتدى سوى الفانلة والسروال القصير ، مستلقيا على الأرض بغرفة المعيشة منهك القوى حيث عدت من المستشفى بعد أن سهرت ليلة كاملة قمت خلالها بالعمل كمراقب للغارات الجوية بمستشفاى .

وفجأة لمع بريق ضــــوء أمام عينى ، ثم تكرر نفس المنظر ، ولا أكاد أتذكر ما حدث على وجه الدقة ، كل ما أذكره أن الفانوس الحجرى الذى كان موجودا فى الحديقة أصبح مضيئا ، ولم أدر ما إذا كان هذا الضوء نتيجة اشتعال مغنسيوم أم نتيجة شرارات صدرت عن الترام الذى يمر بجوار منزلنا.

اختفت ظلال الحديقة وتحول الجو الذى كان منذ قليل صحوا مشمسا إلى مظلم معتم ، ورأيت خلال الغبار الذى ملأ المكان الدعامة الخشبية التى قام عليها أحد أركان منزلى تميل بصورة تهدد بانهيار السقف .

بدأت التحرك بذهول محاولا الهرب ولكن الأنقاض عاقت سبيلى ، وتمكنت بعد جهد جهيد من أن أصل إلى الشرفة وأهبط الدرج إلى الحديقة ، وأخذ الوهن يدب فى جسدى فوقفت حتى أستجمع قواى لأكتشف بدهشة بالغة أننى عار تماما . ما أقبح هذا ! أين سروالى وفانلتى ؟ وماذا حدث ؟

كان جنبى الأيمن مثخنا بالجراح ينزف دما وثمة شظية كبيرة تبرز من جرح متهتك فى فخذى، وشيء دافيء أحس به فى فمى أما خدودى فقد تمزقت وتحسست وجهى بحذر لأكتشف أن شفتى السفلى قد شجت شجاً واسعاً ، وعلى رقبتى

كانت هناك شظايا متناثرة من الزجاج أخذت أزيحها بصعوبة بالغة وأتفحصها بذهول والدماء تخضب يدى .

ترى أين زوجتى ؟

فجأة أخذت أصيح بانزعاج شديد مناديا عليها « ياكيكو أين أنت ؟ »

واستمر الدم ينزف بغزارة ، ترى هل قطع شريانى السباتى ؟ وهل سيظل دمى ينزف حتى أموت ؟ ووجدت نفسى أصيح بخوف وفزع : « أنها قنبلة وزنها خمسمائة طن ، ياكيكو أين أنت ؟ لقد سقطت قنبلة وزنها خمسمائة طن » . وبرزت ياكيكو مكفهرة الوجـــه خائفة ممزقة الثياب والدم ينزف من جروحها ، برزت من تحت حطام المنزل تتحسس كوعها ، وحين رأيتها هدأ روعى وحاولت أن أهدئ من روعها ،فقالت : « سيصبح كل شىء على ما يرام ، كل ما علينا أن نفعله الآن أن نخرج من هنا بأسرع ما يمكن » . فأومأت برأسها وأشرت لها أن تتبعنى . وكان الطريق الأقصر إلى الشارع يمر عبر باب منزلنا الخلفى ولذلك اضطررنا أن نمر عبر المنزل ، نجرى ونتعثر ونسقط ثم نجرى مرة أخرى حتى بلغنا الطريق . وأثناء فرارنا أحسست أننى أدوس شيئا ممدداً فى الشارع وحين نظرت إلى موضع قدمى اكتشفت أننى دست على رأس إنسان فصحت بجنون : « عفوا يا سيدى عفوا ! » ولكننى لم أتلق إجابة ، كان الرجل ميتا ، وكانت الجثة لضابط شاب سحق جسده تحت بوابة حديدية ضخمة .

وقفنا فى الشارع فزعين خائفين حتى شاهدنا المنزل المقابل لبيتنا يتداعى دفعة واحدة وتتناثر أنقاضه عند أقدامنا ، وبدأ بيتنا يتهاوى بدوره وخلال دقيقة واحدة انهار أيضاً تاركا سحابة من التراب وأخذت بقية المنازل تتقوض وتتساقط ثم اشتعلت النيران وزاد من لهيبها اشتداد الرياح التى بدأت تهب بقوة .

وأخيراً تبادر إلى أذهاننا ألا نظل فى الطريق هكذا وأن نواصل السير حتى

المستشفى ، فقد فقدنا منزلنا وأصبحنا نعانى من الجراح ، ونحتاج إلى العلاج ، وفوق كل ذلك فان واجبي يحتم على أن أكون بين الذين يعملون معى فى المستشفى ، ولكن هذا الخاطر قطعه إحساس بما أنا فيه . ترى كيف أستطيع أن أؤدى واجبي وأنا مصاب إلى هذا الحد ؟ !

وبدأنا السير نحو المستشفى ، ولكنى توقفت بعد أن قطعت نحو عشرين أو ثلاثين خطوة ، فقد بدأت أنفاسى تتقطع ، وأخذت دقات قلبي تخفت ، وعجزت قدماى عن حملى ، وتملكنى إحساس شديد بالعطش ، فرجوت ياييكو أن تبحث لى عن ماء ، ولكنها لم تجد ماء حولنا ، واسترجعت قواى بعد قليل وبدأنا نسير من جديد .

كنت لا أزال عاريا تماما ، ولكنى لم أشعر على الرغم من ذلك بالخجل ، وأزعجنى أن أكتشف أن التواضع قد ذايانى ، فعند منعطف من الطريق ،وجدنا جنديا يقف فى الشارع مذهولا لا يدرى ماذا يفعل ، وكانت معه منشفة كبيرة فوق كتفيه ، فطلبت منه أن يعطينى إياها لأستر بها عورتى ، فناولنى الجندى المنشفة دون أن ينطق ببنت شفة ، وبعد ذلك بقليل فقدت هذه المنشفة ، فخلعت زوجتى ياييكو مريلة المطبخ ولفتها حول فخذى .

كنا نتجه نحو المستشفى ببطء شديد حتى تيبست قدماى وعجزتا تماما عن حملى ، وفقدت القوة والرغبة فى متابعة السير ، فطلبت من زوجتى التى كانت إصاباتها أيضاً بالغة أن تذهب إلى المستشفى وحدها فرفضت ، ولكن لم يكن أمامنا خيار آخر ، فذهبت وحدها عساها تجد هناك من يستطيع حملى إلى المستشفى . نظرت ياييكو إلى وجهى لحظة ثم أخذت تجرى نحو المستشفى دون أن تنبس بكلمة واحدة ، نظرت إلى أثناء جريها مرة واحدة ولوحت بيدها ولكنها اختفت تماما وسط الظلام ، فقد كان الجو مظلما عندئذ ، وبعد أن ذهبت زوجتى شملنى إحساس شديد بالوحدة .

ويبدو أنني فقدت الوعي بعد ذلك لأن كل ما أذكره أنه بينما كنت أرقد في الطريق اكتشفت أن جرح فخذي عاد ينزف بغزارة وضغطت بيدي على مكان الجرح فتوقف النزيف وأحسست ببعض التحسن .

ترى هل أستطيع المضي في طريق ؟

وحاولت السير ، كان ذلك كله بالنسبة لي بمثابة كابوس مزعج تختلط فيه مناظر جراحي مع الظلام مع الطريق ، كان تحركي بطيئا أما ذهني فكان يعمل بسرعة فائقة .

بعد وقت وصلت إلى ساحة واسعة كانت المنازل قد أزيلت منها لفتح طريق لسيارات الإطفاء ، وخلال الضوء الخافت استطعت أن أتبين ملامح مبنى مصلحة المواصلات حيث تقع المستشفى بجواره ، فارتفعت معنوياتي بعدما تأكدت أنه من السهل العثور علي ، وحتى إذا قدر لي أن أموت فلابد ان يعثروا على جثتي .

وتوقفت لأنال قسطاً من الراحة ، وأخذت الأشياء من حولي تتضح رويداً رويدا ، كانت أشباح الناس تبدو لناظري : بعضهم يسيرون كالأشباح ، وبعضهم الآخر يتأوهون من الألم وقد رفعوا أذرعهم بعيداً عن أجسامهم . وقد تدلت سواعدهم وتأرجحت أكفهم فبدوا مثل خيال المقاته ، فاحترت في تعليل سلوكهم هذا حتى تبينت فجأة أن أجسادهم محترقة وأنهم يرفعون أذرعهم ليتجنبوا آلام احتكاك الجروح مع بعضها البعض ، وبدت أمامي سيدة عارية تماماً تحمل طفلا عارياً ، فغضضت البصر وقلت لنفسي : « ربما كانا في الحمام العام عندما وقع الحادث » . ولكنني رأيت بعد ذلك رجلا عارياً ، كما أنني نفسي كنت عارياً ، فأيقنت أن ثمة شيء غير عادي أدي إلى فقد الناس لثيابهم . وإلى جانبي كانت هناك سيدة عجوز ترقد وقد

انطبع على وجهها تعبير الألم دون أن يصدر عنها أى صوت . كان الجميع يشتركون فى شىء واحد هو الصمت المطبق .

وكل قادر على الحركة كان يتجه نحو المستشفى ، فانضممت إلى هذه المسيرة الحزينة عنــدما استعدت بعض قواى حتى بلغت أخيراً بوابة مصلحة المواصلات .

أحاطت بى الوجوه المألوفة ، فقد كان هناك السيد أيجوتشى ، والسيد يوشى هيرو وصديقى القديم السيد سيرا رئيس مكتب العمل ، الذين هبوا لنجدتى وقد اختفت سمات البشر من وجوههم تاركة مكانها لتعابير الحزن والانزعاج عندما رأونى مصاباً ولكنى كنت سعيداً برؤيتهم وبمشاركتهم المسئوليات الملقاة على عاتقهم . .

لم نضيع وقتاً فى تبادل التحيات فمددونى على محفة وحملونى إلى داخل مبنى مصلحة المواصلات ، وتجاهلوا ادعائى القدرة على المشى، وبدأت أعلم أن المستشفى قد امتلأ بالمصابين مما دفعهم الى استخدام مبنى المصلحة كمستشفى للطوارىء ، واكتظت الحجرات والممرات بالمصابين الذين تعرفت على بعضهم فقد كانوا من جيرانى ، وبدا لى أن جميع سكان الحى موجودون فى هذا المكان .

دفعنى أصدقائى عبر إحدى النوافذ إلى حجرة الفراش التى كانت قد تحولت إلى نقطة إسعاف وكانت الحجرة تعج بالفوضى ، فقد سقط ملاط حوائطها ، وتحطم أثاثها وملأت الأنقاض أرضيتها ، وتشققت حوائطها ، وبدت نافذتها المصنوعة من الحديد الثقيل تتأرجح وكأنها على وشك السقوط ، فعجبت كيف يصبح هذا المكان ملائماً لمداواة جراح المصابين .

وكان من المدهش أن يكون أول من تقع عليه عينى ممرضتى الخاصة

الآنسة كادو والسيد ميزو جوتشى والسيدة سائيكى العجوز ، وأخذت الآنسة كادو تفحص جروحى دون أن تنطق بكلمة واحدة ، لم يتكلم أحد ، وطلبت منهم قميصاً و بيجامة فأحضروهما لى دون كلام ، لماذا يلتزم كل الناس بالصمت ؟

فرغت الآنسة كادو من فحص جراحى وفجأة أحسست بالنار تشتعل فى صدرى فقد بدأت تضع صبغة اليود على الجراح فلم يكن هناك دواء آخر باستطاعته أن يوقف النزيف ، ولذلك كان على أن أتحمل آلام صبغة اليود ، وحاولت أن أتغلب على الألم بالنظر عبر النافذة .

كان المستشفى يقع مقابل المبنى ويبدو لى طابقه الثالث وسقفه بوضوح ، وبينما كنت أنظر إلى مبنى المستشفى لمحت شيئاً أنسانى آلام جروحى ، فقد كان الدخان يتصاعد من الطاقة الموجودة بالسقف ، لقد كان المستشفى يحترق فصحت : « النار ... النار ... النار ... المستشفى يحترق » . ونظر أصدقائى عبر النافذة ليجدوا أن ملاحظتى صحيحة ، فقد كان المستشفى يحترق بالفعل ، ودقت أجراس الإنذار ، وأخذ الناس يتصايحون هنا وهناك ، وكان صوت السيد سيرا موظف مكتب العمل يعلو فوق الجميع ، ويبدو أن صوته هو أول الأصوات التى سمعتها فى ذلك اليوم ، وتلاشى حاجز الصمت وتحول مجتمعنا الصغير إلى خلية للشياطين .

تذكرت أن الدكتور ساسادا رئيس قسم الأطفال عادنى وواسانى ولكنى لم أستطع الاستماع إليه بوضوح فقد كانت أذنى صماء ، سمعت صوت الدكتور هينوتى ثم صوت الدكتور كوياما ، كان كلاهما يصدران الأوامر بإخلاء المستشفى وبدت أصواتهم فى أذنى مثل صيحات قوية تستحث من يتقاعسون عن العمل .

أضاءت ألسنة اللهب المتصاعدة من المستشفى السماء ، وأصبح مبنى المصلحة

ذاته مهدداً بالحريق ، فأصدر السيد سيرا أوامره بإخلاء المبنى ، ونقلوا محفتى إلى طرف الحديقة حيث وضعوها تحت شجرة كريز قديمة ، وصفوا بقية المرضى فى الحديقة حتى اكتظت المنطقة وأصبح لا يوجد فيها مكان إلا لمن اتسمت حالاتهم بالخطورة . لم يتكلم أحد وكل ما كان يسمع وسط هذا الصمت المطبق هو أنين الكثير من الناس الذين أخذوا يتأوهون من الألم ويجزعون من الخوف ينتظرون ما قد يحدث من الخطب .

امتلأت السماء بالدخان الأسود وبالشظايا المشتعلة ، وارتفعت ألسنة اللهب، وتحول الجو إلى جحيم نتيجة هبوب الرياح التى كانت من القوة بحيث أطاحت بصفائح الصاج التى كانت تغطى بعض الأسطح ، فكانت النيران تزمجر وتدور فى كل اتجاه ، وتطايرت قطع الخشب المشتعل وأخذت تتساقط من حوالنا ، وبينما كنت أحاول أن أبتعد عن النيران سقطت جذوة ملتهبة على ركبتى وكان ذلك كل ما استطعت عمله لتفادى الموت حرقاً .

وبدأ مبنى المصلحة يحترق ، وأخذت النوافذ تتحول إلى مربعات من اللهب الواحدة تلو الأخرى حتى غطت النيران المبنى كله وأخذ يعلو صوت طقطقة الحريق وتحول المنظر إلى جحيم كامل .

تساقطت النوافذ من حولنا لتقذف بالتراب والرماد فى أعيننا وأنوفنا ، وجفت حلوقنا بسبب الدخان الذى ملأ رئتينا ، ولم يعد باستطاعتنا التحكم فى السعال وكان من الممكن نقلنا من المكان لولا أن بعض الثكنات الخشبية العسكرية بجوارنا بدأت فى الاشتعال وتحولت إلى أتون ملتهب .

أصبحت الحرارة تفوق قدرتنا على الاحتمال ولم يكن أمامنا مفر من مغادرة الحديقة ، فنجا أولئك الذين إستطاعوا الفرار ، وإحترق من عجزوا عن الفرار . ولولا أصدقائى الأعزاء لكنت هالكا لا محالة ، ولكنهم أنقذونى مرة أخرى وحملوا محفتى إلى البوابة الرئيسية على الجانب الآخر من

مبنى المصلحة حيث تجمعت مجموعة من الناس وجدت من بينهم زوجتى ثم لحق بنا دكتور ساسادا والآنسة كادو .

شبت النيران فى كل مكان حولنا نتيجة هبوب عاصفة زادت النار لهيبا وجعلتها تنتقل من مبنى إلى آخر ، وما هى لحظة حتى كانت النيران تحيط بالمكان من كل جانب ، وتحولت الأرض المقابلة لمبنى مصلحة المواصلات إلى واحة وسط صحراء من النيران، وعندما أخذت ألسنة اللهب تقترب منا ازدادت حرارة المكان ، وإذا لم يكن بيننا من يقوم بتغطية أجسادنا بالماء لما بقى منا أحد على قيد الحياة .

بدأت أفقد الوعى بسبب الحرارة الفظيعة، وكاد قلبي يتوقف ،واختلطت المناظر من حولى ، فأخذت أتمتم بصوت خافت من شدة الألم : « لقد شوى جسدى » .

وتناهت إلى مسامعى أصوات تبدو وكأنها قادمة من بعيد ففتحت عينى لأجد الدكتور ساسادا يجس نبضى ترى ماذا حدث ؟ حقنتنى الآنسة كادو وبدأت أستعيد قواى تدريجيا ، يبدو أننى كنت فى حالة اغماء .

وأخذ المطر يتساقط وكانت قطراته كبيرة بشكل ملحوظ وظن البعض أنها عاصفة مرعدة هبت لتطفىء النيران ، ولكن ذلك المطر كان متقلبا فلم يستمر طويلا حتى أمسكت السماء عن الجود به .

تحول الطابق الأول بمبنى المصلحة إلى كتلة من اللهب وبدأت ألسنة النار تتجه نحو واحتنا الصغيرة بجوار البوابة ، فأدركت أنه لا حيلة لنا لتفادى هذه النيران .

وسقط بجوارنا إطار حديدى خلعته النيران من موضعه بالبناء واتجهت

كرة نارية نحوي واستقرت بجواري فأمسكت النار بثيابي ومرة أخرى أغرقني أصدقائي بالماء، ولبثت بعض الوقت لا أدري ما يدور حولي.

وكل ما أذكره أني رأيت الدكتور هينوئي الذي حركني من مكاني فاشتعل جسدي بالألم نتيجة هذه الحركة.

وما أذكره أيضا منظر مساحة واسعة حولي، يبدو أن النيران قد خمدت وأنني لا زلت أعيش، لقد نجح أصدقائي في انقاذي مرة أخرى، وأفقت لأسمع صوت السيدة سائيكي العجوز الذي لا يمكن أن تخطئه الأذن تقول: «ابتهج يادكتور سيصبح كل شيء على ما يرام لقد حرق الجانب الشمالي من المدينة بأكمله ولذلك لن نخشى أن تتهددنا النيران مرة أخرى».

وكانت الطريقة التي تواسيني بها السيدة العجوز تجعلني أحس وكأنني ابنها وكانت فعلا على حق فقد احترق الجانب الشمالي من المدينة بأكمله وكانت السماء لا تزال داكنة، ولكني لا أستطيع أن أتبين ما اذا كان الوقت مساء أو ظهرا أو أن اليوم قد انقضى، فقد فقد الزمن معناه بالنسبة لي، وكل ما مر بي من ظروف يتزاحم أمام رأسي بشكل رتيب رتابة الأبدية.

كان الدخان لا زال يتصاعد من الطابق الثاني من المستشفى ولكن النار خمدت فلم يكن ثمة شيء قابل للحريق لم تأت عليه النيران، ولكني علمت فيما بعد أنه قد تم انقاذ محتويات الدور الأرضي من الدمار بفضل جهود الدكتور كويا ما والدكتور هينوئي.

أما الشوارع فكانت خالية إلا من الموتى، وبدا بعضهم وقد جمد الموت حركته وهو في موضع الفرار، بينما البعض الآخر يفترشون الأرض وكأن ماردا قذف بهم من علو شاهق.

أما هيروشيما فلم تعد مدينة، لقد تحولت إلى ساحة واسعة محترقة واستوى

كل شيء على الأرض شرقاً وغرباً ، وبدت الجبال التى تطل على المدينة أكثر قرباً من ذى قبل وأخذت تلال « أوشيتا » وغابات « نيجتسو » تبدو واضحة من خلال الدخان تشبه موقع الأنف والعيون من الوجه ، وأصبحت هيروشيما صغيرة المساحة بعد أن اختفت منازلها .

تغير اتجاه الريح وامتلأت السماء بسحب الدخان وفجأة سمعت شخصاً يصيح: « طائرات .. طائرات العدو ! » .

هل كان من الممكن أن يحدث هذا حقاً ؟ هل تركت القنبلة التى قذفت بها المدينة شيئاً لمثل هذه الغارة الجوية الجديدة ؟ وقطع أفكارى صوت أليف لدى، كانت إحدى الممرضات تنادى الدكتور كاتسوبى ، وصاحت السيدة سايكى : « إنه الدكتور كاتسوبى ، إنه بعينه » . وبدت البهجة فى نبرات صوتها وهى تستطرد قائلة : « جاء الدكتور كاتسوبى » .

كان الدكتور كاتسوبى هو كبير الجراحين بالمستشفى ولكن يبدو أنه لم يدر بوجودنا ، فقد كان المصابون يتزاحمون عليه ، ونسينا كل شيء عن طائرات العدو ، فقد كانت سعادتنا بالغة حين رأينا الدكتور كاتسوبى سليما معافى بيننا .

حملنى أصدقائى إلى المستشفى ، وكانت المسافة بين موضعى وبين المستشفى لا تزيد على مائة متر ، ولكنها كانت كافيـــة لتجعل قلبى يكاد يتوقف وتزيد إحساسى بالألم ثم تصيبنى بالإغماء ، إننى أذكر المنضدة الصلبة التى كنت أنام عليها والألم الشديد الذى أحسست به عندما خاط الدكتور كاتسوبى شفتى السفلى ، ولكنى لا أذكر شيئاً عن الجروح التى جاوز عددها الأربعين والتى قام الدكتور كاتسوبى بخياطتها تلك الليلة ، ثم نقلونى إلى غرفة مجاورة وأذكر أننى أحسست بالراحة وبالرغبة فى النوم ، وكانت الشمس تغرب مخلفة وراءها سماء داكنة محمرة ،

فقد كانت ألسنة اللهب الحمراء تتصاعد من أحياء المدينة المحترقة إلى عنان السماء، وأخذت أنظر إلى السماء حتى غلبني النوم .

٧ أغسطس ١٩٤٥

يبدو أنني نمت نوماً عميقاً لأنه عندما فتحت عيوني كانت الشمس ساطعة تماماً والجو حاراً ، فلم تكن هناك نوافذ أو ستائر تحجب الضوء ، وأصمت أنات المرضى أذني . وكان كل شيء غارق فى الفوضى ، فقد غطت الأنقاض الأرض ، وكانت الحوائط والسقوف محترقة وبدت وكأنها مكسوة ببذور السمسم تبدو عليها آ ثار الزجاج المتطاير وأطر حديد النوافذ المتطاير أيضاً . وبجوار النافذة كان هناك دولاب للأدوات الطبية مقلوب رأساً على عقب وبجواره مقعد محطم خاص بعيادة الأنف والأذن والحنجرة ، وقد سقط فوقه المصباح الكهربائى الذى كان يستخدم فى الكشف على المرضى . وخلاصة الأمر أن العين لم تكن تقع على شيء سليم أو مرتب .

وكان الدكتور ساسادا الذى تحمل عبء رعايتى بالأمس يرقد على يسارى وظننت أنه قد سلم من الأذى ، ولكنى اكتشفت الآن أنه أصيب بحروق بالغة ، كانت الضمادات حول رأسه ويديه ، وقد تورم وجهه الذى كان يحمل الكثير من براءة الطفولة حتى أنه كان يصعب على أن أتعرف عليه إلا من صوته . أما زوجتى فكانت ترقد على يمينى وقد غطى وجهها مرهم أبيض جعلها تبدو كالشبح . وكان ذراعها الأيمن معلقاً فى رقبتها . أما الآنسة كادو فقد أصيبت بجراح طفيفة ، وكانت ترقد بيني وبين زوجتى وتولت تمريضنا طوال الليل .

وحين لاحظت زوجتي أنني استيقظت من نومى قالت لى : « يبدو أنك

عانيت الكثير ليلة أمس » . فوافقتها الآنسة كادو على ذلك وقالت : « إنني لا أذكر عدد المرات التي قمت فيها بفحص تنفسك » .

وشاهدت زوجة الدكتور فوجى تجلس بلا حراك على أريكة بجوار الحائط ، كان وجهها يعبر عن الجزع واليأس ، فالتفت إلى الآنسة كادو وسألتها عما حدث فأجابت بأن السيدة فوجى لم تصب إصابة بالغة ولكن طفلها مات خلال الليل ، فسألتها عن الدكتور فوجى فأخبرتني أن إبنتهم الكبرى فقدت فخرج فى الليل يبحث عنها ولم يعد حتى الساعة .

جاء الدكتور كوياما ليستطلع أحوالنا ، ولكن منظره وقد أحاطت برأسه الضمادات وتعلق ذراعه برقبته أثار أشجانى وجعل الدموع تطفر من عينى ، فقد ظل يعمل طوال الليل ، ولا زال حتى الآن يعتنى بالآخرين دون أن يهتم بنفسه .

كان الدكتور كاتسوبى جراحنا وممرضته الآنسة تاكاءو يقفان إلى جانب الدكتور كوياما الذى أصبح الآن مديراً للمستشفى بالنيابة وكان يبدو على الجميع الإعياء والتعب وبدت ثيابهم البيضاء متسخة وملطخة بالدماء ، وعلمت منهم أن السيد إيجوتشى سائقنا استطاع تشغيل مصابيح الطوارىء مستخدماً فى ذلك بطارية السيارة ومصابيحها الأمامية واستطاعوا بذلك أن يجروا العديد من العمليات الجراحية حتى خفتت الإضاءة قبيل طلوع النهار ، وحين لاحظ الدكتور كوياما حرصى على الاطمئنان على سير العمل قال لى : « يا دكتور كل شيء على ما يرام » .

وفحصنى الدكتور كاتسوبى ، وبعد أن اطمأن على النبض قال لى : « لقد كانت جراحك متعددة ، ولكن لحسن الحظ كانت جميعها بعيدة عن الأماكن الحساسة بالجسم » . وشرح لى حالة الجراح التى أصابتنى والطريقة التى عولجت

بها ، ودهشت حين علمت أن كتفى كان مجروحا جرحا بالغا ، ولكنى ارتحت كثيراً لتفاؤله من إمكانية شفائى .

وسألت الدكتور كوياما عن عدد المرضى الموجودين بالمستشفى ، فأجاب بأنهم يبلغون نحومائة وخمسين مصابا ، وأن عدد من توفوا بالأمس كان محدوداً ولكن هناك الكثير من المصابين لدرجة يصعب معها أن يجد المرء لقدمه موضعا، وهم يفترشون الأرض فى كل مكان حتى فى دورات المياه . واستطرد الدكتور كاتسوبى قائلا : « إن هناك نحو ستة يرقدون تحت السلم ، ونحو خمسين يرقدون فى حديقة المستشفى الأمامية » . وتناقش الجميع فى طريقة تنظيم المستشفى أو على الأقل إخلاء الممرات من المرضى .

لقد أصبحت المستشفى خلال ليلة واحدة مكدسة بالمرضى الذين ملأوا المكان ، وقد أصيبت غالبيتهم بحروق بالغة وقليل منهم كانوا يعانون جراحا خطيرة ، وكان الكثير من هؤلاء المصابين فى وسط المدينة عندما حدث القصف فلم تستطع أقدامهم أن تحملهم إلا إلى مستشفى المواصلات ، أما أولئك الذين كانوا يعيشون بالقرب من موقع المستشفى فقد قصدوه من أجل العلاج أو بحثا عن مأوى ، لأنه كان المبنى الوحيد فى المنطقة الذى ظل قائما بينما تحطمت جميع المساكن المحيطة به ، فجاءوا إلى هذا الحطام مما أدى إلى ازدحام المبنى بالناس، ولم يكن ثمة صديق بجوارهم يقوم على خدمتهم أو يعد لهم طعامهم[1] ، وبذلك كان كل شىء فى المستشفى فى حالة فوضى ، وزاد الحال سوءاً انتشار القىء والإسهال بين المرضى ، كما أن أولئك الذين لم يكن فى استطاعتهم المشى كانوا يتبولون ويتبرزون فى أماكنهم ، أما أولئك الذين كان باستطاعتهم المشى فالتمسوا موضعا لقضاء حاجتهم خارج المبنى . ولذلك كان الأشخاص الذين

---

(١) جرت العادة فى اليابان على أن يقوم مرضى القسم الداخلى فى المستشفيات بتدبير من يتولى خدمتهم ولإعداد طعامهم ومثل هذا الشخص يكون فى العادة أحد أفراد أسرة المريض .

يدخلون المستشفى أو يتركونها يدوسون الأوساخ التى إنتشرت فى أرجاء المبنى ، وخلال تلك الليلة امتلأ المدخل الأمامى للمستشفى بالبراز ولم يكن باستطاعة هيئة التمريض مواجهة هذه الحالة لعدم توافر القصريات التى يمكن استخدامها فى الفراش ، وحتى إذا وجدت فلم يكن هناك من يحملها إلى المرضى .

كان التخلص من جثث الموتى أسهل كثيراً من عملية تنظيف الحجرات والممرات من البراز والأوساخ والقىء الذى كان من الصعوبة بمكان .

أما أولئك الذين أصابهم الحريق ، فقد عانوا الأمرين لأن جلودهم كانت مسلوخة ، وتعرضت حروقهم لحرارة الجو وللتلوث بالأقذار ، ولكن كانت هذه هى الظروف التى على المرضى أن يعيشوا فيها ، لقد كانت الحال على درجة بالغة من السوء ، ولكننا لم نكن نملك وسيلة لإنقاذ الموقف .

كان هذا هو الوضع الذى علمته من خلال حديثى مع أولئك الزملاء بينما كنت أرقد مريضاً ، وهو أمر ليس من السهل مواجهته ، فسألت الدكتور كاتسوبى : « متى أستطيع أن أقوم من مرقدى لعلى أقـــدر على معاونتكم » ، فأجاب : « لن يكون ذلك قبل فك خياطة جروحك ، ولن يتم ذلك قبل أسبوع على الأقل » ، ثم تركنى الجميع وانصرفوا قبل أن أنبس بكلمة واحدة ، ولكنهم لم يتركونى لأفكارى فقد كان العاملون بالمستشفى يأتون الواحد تلو الآخر لرؤيتى يبدون إهتمامهم بجراحى ويتمنون لى عاجل الشفاء ، وقد تأثرت لرؤية بعض هؤلاء الزوار وقد نالهم من الإصابات قدر لا يكاد يقل عما نالنى ولكنهم تحملوا مشقة الحضور لرؤيتى ، فجاء الدكتور نيشى مورا رئيس الجمعية الطبية بأوكاياما من بلدته التى تقع على بعد ٩٠ ميلا من هيروشيما ليرانى ، فقد كان زميلا لى فى كلية الطب ، كما كان رئيس فريق التجديف بالكلية الذى كنت عضواً فيه ، وما كاد يرانى حتى أغرورقت عيناه بالدموع ثم قال : « اننى أراك بخير يا صديقى الحميم ، يا لها من مفاجأة سارة ! كيف حالك ؟ » ودون أن

ينتظر إجابة منى استطرد قائلا : « لقد سمعنا ليلة الأمس أن هيروشيما هوجمت بسلاح جديد،وأن الدمار كان محدوداً ، هكذا قالوا لنا ولكنى رأيت أن أحضر بنفسى لأتأكد مما حدث ، فقد يكون باستطاعتى مدكم بما تحتاجونه من الأطباء، فركبت سيارة نقل وجئت إلى هنا . يا لفظاعة ما شاهدناه عندما وصلنا ! هل أنت متأكد أنك على ما يرام ؟ » . ومرة أخرى قبل أن أجيب استطرد يقص على المناظر التى تحطم القلب والتى وقعت عليها عيناه عندما دخلت سيارة النقل المدينة ، وكانت هذه أول التفاصيل التى وصلت إلى مسامعنا جميعاً ولذلك استمعنا إليه بإنتباه .

وكل ما كنت أفكر فيه — أثناء الاستماع إليه — المخاوف التى قد تساور أمى العجوز التى كانت تعيش فى الريف بالقرب من أوكاياما ، فلعلها تصلى الآن من أجلنا ، وما كاد الدكتور نيشى مورا يفرغ من روايتــــه حتى طلبت منه أن يتفضل بطمأنة أمى وكذلك أختى التى تعيش فى أوكاياما ، وإبلاغهما أننى وزوجتى بخير . فأكد لى أنه لابد فاعل ذلك ، ووعدنى قبل أن ينصرف بإعداد فريق من الأطباء والممرضات لمعاونتنا بمجرد الفراغ من جمعهم .

كما جاء الدكتور تابو تشى صديقى القديم من يوشيتا ، وكانت الحروق قد أصابت وجهه ويديه إصابات طفيفة وبعد تبادل التحيات ، سألته عما إذا كان يعرف حقيقة ما حدث ، فقال انه كان فى الفناء الخلفى لمنزله يقلم بعض أغصان الأشجار عندما حدث القصف ، وأن أول ما لاحظه ضوء شديد أبيض اللون يخطف الأبصار ثم موجة من الحرارة الهائلة التى أصابت خديه ، ثم حدث انفجار رهيب جعله يطيح أرضاً ، ولكنه لحسن الحظ لم يصب بسوء ، كما أن زوجته نجت من الإصابة ، أما بيته فقد انهار ، كما تداعت المنازل الأخرى فى المنطقة من حوله ، ولكنهم رغم ذلك كانوا سعداء بالنجاة من الموت ، كما أن

إبنه ريوجى نجا بدوره ، وعرض على الدكتور تابوتشى أن أذهب معه إلى بيته قائلا : « ان منزلى لم يعد حقاً صالحاً للسكنى ، ولكنه أحسن من هنا بكثير » . وكان من الصعب على أن أقبل عرضه الكريم ، فحاولت الإعتذار بطريقة لا تجرح شعوره قائلا : « يا دكتور تابوتشى أشكرك على هذا العرض الكريم ، ولكن الدكتور كاتسوبى حذرنى من الحركة ، وأوصانى أن أظل على هذا الوضع حتى تلتئم جراحى » ، فقبل الدكتور تابوتشى إعتذارى بتردد ، ثم تهيأ للإنصراف فقلت له : « لا تذهب قبل أن تخبرنا بما تعرفه عن تفاصيل ما حدث بالأمس » .

قال الدكتور تابوتشى : « لقد كان منظراً مخيفاً ، كان المئات من الجرحى الذين يحاولون الهرب إلى التلال يمرون أمام بيتنا ، وكان منظرهم لا تطيق العين رؤيته ، فقد احترقت وجوههم وأيديهم ، وتورمت وسلخت مساحات واسعة من جلودهم ، وتدلت من أجسامهم ، وكانوا يسيرون كصف طويل من النمل ، وطوال الليل استمر هـــذا الصف بلا إنقطاع يمر من أمام منزلنا ، ولكنه توقف فى الصباح فوجدتهم يتراصون على جانبى الطريق بصورة جعلت من الصعب على المرء أن يسير دون أن يخطو فوقهم » .

كنت أستمع إلى رواية الدكتور تابوتشى مغمض العينين ، بينما كانت تدور فى رأسى صورة المشاهد الفظيعة التى يحدثنا عنها ، ولذلك لم أتمكن من رؤية السيد كاتسوتانى عندما جاء ، ولم أتبين صوته إلا عندما سمعت شخصاً يعطس فنظرت حولى لأجد هذا الصديق القديم الذى عرفته منذ سنوات طويلة ، وأعرف أنه عاطفى وما كدت أراه منهاراً حتى أغرورقت عيناى بالدموع ، لقد جاء من جى جوزن[١] ليرانى ، وحين شاهدنى على هذه الحال غلبته عاطفته فانهار تماماً .

---

(١) قرية تقع على بعد عشرة أميال إلى الجنوب الغربى من هيروشيما .

التفت السيد كاتسوتانى إلى الدكتور ساسادا وقال له بصوت مهموم : «كان دخولى هيروشيما بالأمس أمراً متعذراً ، وإلا لما توانيت عن الحضور، وحتى اليوم لا زالت الحرائق مشتعلة فى بعض الأماكن ، لقد تغيرت المدينة تماماً ، وحين بلغت جسر ميساسا[1] صباح اليوم وجدت كل شيء قد تبدل ، لم يبق فى المنطقة كلها مبنى قائماً سوى هذا المبنى الذى كان باستطاعتى رؤيته من بعيد » .

توقف مستر كاتسوتانى عن الحديث ليلتقط أنفاسه ثم استطرد قائلا : « لقد سرت بجوار سكة الترام لأصل إلى هنا ، ولكن الطريق كانت مملوءة بأسلاك الكهرباء وعربات الترام المحطمة ، وكان القتلى والجرحى يرقدون هنا وهناك ، وما كدت أصل إلى الجسر حتى رأيت شيئاً فظيعاً لا يمكن تصديقه، رأيت رجلا يجلس فوق دراجته وقد تفحم جسده وكان على ما يبدو يلتمس سبيلا للفرار حين وقعت الواقعة ، انه من الصعب أن نصدق أن مثل هذه الواقعة قد حدثت ! » ، وكرر هذه العبارة مرتان أو ثلاث مرات وكأنه يريد أن يقنع نفسه بصحة ما رآه ، ثم استطرد يقول : « يبدو أن معظم من ماتوا كانوا إما فوق الجسر أو تحته ، فقد نزل كثيرون إلى مجرى النهر يلتمسون شربة ماء ثم ماتوا هناك ، وقد رأيت بعينى رأسى بعض الأحياء لا زالوا يقفون فى مجرى النهر بين الجثث الطافية ولابد أن يكون المئات بل الألوف ممن التمسوا سبيلا للفرار من الحريق باللجوء إلى النهر قد غرقوا ، وكان منظر الجنود المصابين لا يقل بشاعة عن منظر أولئك الذين طفت جثثهم وأجسادهم فوق مياه النهر ، لقد رأيت الكثيرين منهم وقد احترقت ظهورهم من أكتافهم حتى أعجازهم ، وسلخت جلودهم ، وبدا لحمهم لزجا متهتكا ، ويبدو أنهم كانوا يرتدون خوذاتهم العسكرية لأن شعرهم لم يحترق ، أما ملامحهم فقد اختلطت

(١) جسر كبير مقام على نهر أوتا يقع بالقرب من قلعة هيروشيما شمال المدينة ولا يبعد كثيرا عن مستشفى المواصلات .

جميعاً ، لم تكن لهم وجوه فقد احترقت عيونهم وأنوفهم وأفواههم واختفت تماما من وجوههم ، كذلك احترقت آذانهم حتى أصبح من الصعب التمييز بين وجه الرجل وقفاه ، وقد سألنى أحد الجنود الذين احترقت وجوههم وبرزت أسنانهم أن أعطيه شربة ماء ، ولم يكن باستطاعتى مساعدته فى الحصول على الماء ، كل ما استطعت صنعه الصلاة من أجله ، ولم أعد أسمع صوته فقد كانت رغبته فى الماء هى آخر كلمة نطق بها قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة ، إن الطريقة التى احترقوا بها تجعلنى أتعجب ، إذ يبدو أنهم قد فقدوا بزاتهم تماماً » .

كان علينا أن نتيح الفرصة للسيد كاتسوتانى ليلتقط أنفاسه وهو يقص علينا هذه المشاهدالفظيعة ، ولكن أحداً لم يطلبمنه أن يتوقف عن الحديث ، وحين كان يقص علينا ما شاهده ، تجمع البعض حولنا وجلسوا يستمعون إليه ، وسأله أحدهم عما فعله عندما سقطت القنبلة . فقال : « كنت قد فرغت لتوى من تناول طعام الإفطار ، وشرعت فى إشعال سيجارة ، عندما رأيت فجأة بريق ضوء أبيض ، ثم سمعت صوت انفجار رهيب ، فهرعت إلى مأوى الوقاية من الغارات الجوية ، ودفعت بزوجتى أمامى ، وتأكدت أن ثمة شىء غير طبيعى قد حدث فى هيروشيما ، فصعدت بعد قليل فوق سطح البيت ، ويممت وجهى شطر هيروشيما لأرقب ما حدث ، فرأيت سحابة سوداء كبيرة تبدو مثل سحابة الصيف التى تنذر بالمطر الغزير ، فأيقنت أن ثمة حادث خطير قد وقع فى المدينة ، فهرعت إلى النقطة العسكرية الموجودة فى هتسو كائيتسى [1] ، وأخبرت الضابط بما رأيت ، ورجوته أن يرسل بعض رجاله لمساعدة هيروشيما ، ولكنه لم يأخذ الأمر مأخذ الجد ، حملق فى وجهى لحظة ، وحملت نظراته معنى التهديد ، أتدرون ماذا قال لى ؟ لقد قال : لم يحدث مايدعو إلى القلق إن قنبلة أو قنبلتين لن تلحق الضرر بهيروشيما ، كان من العبث أن أستمر فى الحديث مع هذا

---

(١) وهي قرية تقع فيما بين هيرشيما وجى جوزن .

الأحمق ، لقد كنت ضابطاً مرموقاً بفرع جمعية الضباط السابقين بإقليمى ؛ ولكنى لم أدر ماذا أفعل ، وقد ذهب الفلاحون الذين كانوا تحت إمرتى إلى الخدمة فى جـــزيرة مياجيما ، وبحثت عمن يساعدنى فى تكوين كتيبة إنقاذ ولكنى لم أجد أحداً ، وبينما كنت أبحث عن أفراد أنظمهم لهذا الغرض بدأ موكب الجرحى يصل إلى القرية فسألتهم عما حدث ، فكان كل ما استطاعوا قوله أن هيروشيما قد دمرت وأن جميع سكانها يغادرونها ، فركبت دراجتى وأسرعت بها نحو اتسوكائتشى ، وما كدت أصل إليها حتى كانت الطريق تعج بالناس ، فحاولت أن أقف منهم على جلية الأمر ولكن أحدهم لم يستطع أن يعطينى إجابة شافية ، وعندما كنت أسألهم من أين أتوا ؟ كانوا يشيرون بأصابعهم فى اتجاه هيروشيما ويقولون « من هناك » ، وعندما سألتهم إلى أين يتجهون ؟ كانوا يشـيرون إلى مياجيما ويقـولون « إلى هناك » ، كلهم كانوا يقولون نفس الشىء ، لم يكن بين من رأيتهم حول اتسوكائتشى من إصابتهم الجروح أو الحروق الخطيرة ، ولكنى ما كدت أصل إلى كوستسو حتى وجدت الناس هناك يعانون من إصابات بالغة ، وكلما اقتربت من هيروشيما تزداد نسبة المصابين حتى وصلت إلى كوئى[1] لأجد الناس فى حالة يرثى لها ، لم يكن باستطاعتى النظر حتى إلى وجوههم وكانت رائحتهم مثل رائحة الشعر المحترق » .

توقف السيد كاتسوتانى عن الحديث قليلا وتنفس بعمق ، ثم استطرد قائلا : « لم تكن المنطقـــة المحيطة بمحطة كوئى محترقة ، ولكن مبنى المحطة والمنازل المحيطة به كانت محطمة تماماً ، وامتلأت أرصفة المحطة بالجرحى الذين كان بعضهم واقفين والبعض الآخر راقدين وجميعهم يصرخون طلباً للماء ، وبين الفينة والفينة كنت أسمع صوت طفل ينادى أمه ، لقد كان جحيماً

(١) محطة سكة حديد تقع عند الحدود الغربية لمدينة هيروشيما

حقيقياً ، كان جحيما حقيقياً واليوم لم يتغير الحال عما كان عليه بالأمس . ألم يأت الدكتور هاما أوكا إلى المستشفى أمس ، لقد رأيته يعبر خط الترام عند نهايته فى كوئى متجهاً نحو المستشفى ولكنى لا أعتقد أنه قد تمكن من الوصول إلى هنا وسط النيران » .

فأجاب البعض : « لا لم نره حتى الآن » .

فهز السيد كاتسوتانى رأسه ذات اليمين وذات الشمال وأكمل حديثه قائلا : « تركت محطة كوئى وذهبت إلى مدرسة كوئى الابتدائية ، كانت المدرسة عندئذ قد تحولت إلى مستشفى طوارىء ، وقد اكتظت بالجرحى ، حتى فناء المدرسة كان يعج بالموتى والمحتضرين الذين بدوا وكأنهم أسماك (بكلاه) منشورة على الأرض حتى تجف . لقد كان منظرهم وهم مستلقين تحت الشمس الحارقة يدعو إلى الشفقة ، ولكنى أستطيع أن أؤكد أنهم كانوا يعانون سكرات الموت . . . وقبيل حلول المساء بينما كنت أقطع الطريق الرئيسى عائداً من حيث جئت ، إذا بى ألتقى بأختى التى يقع بيتها فى توكا اتشى ، وكنت أظنها قد ماتت ، ولكنى وجدتها على قيد الحياة ، كانت سعيدة بنجاتها ولم تنطق بكلمة واحدة كل ما كانت تستطيع أن تفعله هو أن تبكى وكأنها تبكى بدموع الفرح ، وساعدنى بعض ذوى القلوب الرحيمة على عمل محفة لها وحملتها إلى بيتى فى جى جوزين قرب مياجيما جوتشى ، حتى قريتى التى تبعد كثيراً عن هيروشيما تحولت إلى جحيم وغصت المعابد بالجرحى » .

فرغ السيد كاتسوتانى من رواية كل ما شاهده ، وترك غرفتنا ، ولكنه بدلا من أن يعود أدراجه إلى منزله بقى فى المستشفى لمساعدة المرضى .

لقد جعلتنى القصص التى رواها الدكتور نيشى مورا والدكتور تابوتشى والسيد كاتسوتانى لا أشك فى أن هيروشيما قد دمرت عن بكرة أبيها ، لقد وقعت عيناى على ما يثبت أن الدمار كان كبيراً ، ولكن ما ذكروه لى كان

أبشع من أن يصدق ، وعندما كنت أفكر فى الجرحى الذين يركضون تحت أشعة الشمس المحرقة يصرخون طلباً للمــــاء ، كان يغمرنى إحساس بالاثم لوجودى فوق سرير المرض،وشعرت بالأسف لأولئك المرضى الذين تركناهم يرقدون على الأرض العادية فى دورات المياه ، وقلت لنفسى : إذا لم أكن قد أصبت إصابة بالغة لكان باستطاعتى أن أفعل شيئاً بدلا من رقادى بين المرضى وانشغال زملائى وأصدقائى بى ، وأنا هكذا جريح بلا حول ولا قوة ، ياله من مأزق لا أستطيع بسببه أن أصنع شيئا !

ولحسن الحظ قطع أفكارى السوداء ظهور الدكتور هانا أوكا طبيب القسم الداخلى الذى ذكر لنا السيد كاتسوتانى أنه رآه بالأمس عند هاتسكا اتشى ، فقد انتبهت على صوته وهو ينادينى قائلا : « دكتور هاتشيا انك لا تعلم مدى سعادتى أن أراك بخير بعد ما حدث لهيروشيما ، ان من نجوا نجوا بمعجزة » . فأجبته قائلا : « لقد انزعجنا عليك يادكتور هانا أوكا لأن السيد كاتسوتانى أخبرنا منذ لحظات أنه رآك متجها إلى هيروشيما عندما كان فى محطة كوئى بالأمس ، أين كنت وكيف استطعت الوصول إلى هنا ؟ » فأجاب قائلا : « اننى شخصياً أتعجب كيف استطعت الوصول إلى هنا ، دعنى أقص عليك ما حدث ، لقد أخبرنى البعض أن ثمة سلاح جديد عبارة عن قنبلة خاصة سقطت بالقرب من هيكل جوكوك »[1] فاذا صح ما قيل لى فان هذه القنبلة على قدر كبير من القوة لأنها محت كل شىء كان قائما فيما بين هيكل جوكوك ومستشفى الصليب الأحمر ودمرته تدميرا ، ورغم أن مستشفى الصليب الأحمر أصيب بأضرار بالغة فانه لايزال قائما ، والمنطقة فيما وراء المستشفى باتجاه يوجينا أصابها قدر قليل من التدمير ، وقد توقفت عند مستشفى الصليب الأحمر التى كانت تعج بالمرضى وقد

---

(١) هو هيكل الديانة الشنتاوية بالقرب من الحــــدود الجنوبية لثكنات هيروشيما العسكرية التى كانت تقع وسط المدينة والمحراب يقع على بعد ٢٠٠ متر من مركز انفجار القنبلة الذرية . وتعنى كلمة جوكوك « أرض الآباء » .

أحاط بها الموتى والمحتضرين من كل جانب حتى جسر مى يوكى ، وفيما بين مستشفى الصليب الأحمر ووسط المدينة لم أجد شيئا قدرت له النجاة من الحريق فكل ما كان يقع بتلك المنطقة تحول إلى هشيم ، وكانت عربات الترام فى كواياتشو وكاميياتشو تقف محترقة وقد اكتظت بعشرات الجثث المتفحمة التى يتعذر التعرف على أصحابها ، كما رأيت خزانات المياه الخاصة بالاطفاء ممتلئة بالموتى الذين بدوا وكأنهم قد ساقوا فى تلك الخزانات ، وفى أحد تلك الخزانات شاهدت رجلا مصابا بحروق بالغة وبجانبه جثة لرجل آخر وكان يشرب من مياه الخزان المختلطة بالدماء ، ولم يكن باستطاعتى أن أمنعه من ذلك لأنه كان فاقد الرشد ، وفى أحد الخزانات أيضا كان عدد الموتى يملأ الخزان تماما حتى أنه لم يكن هناك مكان لموضع قدم فى الخزان ، ويبدو أنهم لفظوا أنفاسهم الأخيرة بينما كانوا يجلسون فى الماء ، وحتى حمام السباحة بمدرسة المحافظة الاعدادية كان مملوءا بجثث الموتى ، ويبدو أنهم قد اختنقوا عندما كانوا يقفزون إلى الماء هربا من النيران لأنه لم تكن تبدو عليهم أثر حروق ، ولم يتسع حمام السباحة لجميع من حاولوا الدخول فيه لأن الكثير من الجثث كانت حول الحمام من كل جانب وقد تدلت رؤوسها فى الماء . ورأيت فى الحمام بعض الناس الذين لا زالوا على قيد الحياة يقفون وسط الماء وقد أحاطت بهم جثث الموتى من كل جانب ، كانوا قد فقدوا قواهم لدرجة لم تمكنهم من الخروج ، وكان ثمة أناس يحاولون مساعدتهم ولكنى أعتقد أنهم ماتوا هناك. آسف إذا كنت قد أزعجتك بهذه القصة ولكنها حقيقية ، ولا أدرى كيف استطاع من قدر لهم النجاة أن يفروا من هذا المصير الأليم » . ثم توقف الدكتور هانا أوكا عن الكلام ، وأحسست أنه يريد أن ينصرف لأداء واجبه فرأيت أنه من الجرم ابقاءه بجوارى لأستمع إلى المزيد من التفاصيل .

وأخذت تلك الروايات التي قصها علي زوارى العديدين تتبلور في ذهني

لترسم صورة لما حدث ، ولتوضح لى ما أصبحت عليه هيروشيما بعد هذا الحادث المفجع .

وما كاد الدكتور هانا أوكا يغادر الغرفة حتى جاء الدكتور آكى ياما رئيس قسم الولادة وأمراض النساء بالمستشفى لزيارتى ، ولم يكن مصابا غير أنه بدا متعباً منهك القوى فقلت له : « أجلس قليلا لتستريح لعلك عانيت الكثير ترى أين كنت عندما حدث القصف ؟ »

فقال : « كنت قد غادرت منزلى عندما وقع الحادث رأيت بريقا يخطف الأبصار تبعه صوت انفجار مروع فاستلقيت على ظهرى ثم ملأ السماء سحاب أسود كذلك الذى نراه فى الصيف قبل هبوب العواصف ، فصحت « لقد فعلوها وهاهو الآن قد حدث » ، ونظرت نحو منزلى لأجده قد انقلب رأساً على عقب فاختلطت السقوف بالحوائط بالأبواب وتحطم كل شىء بصورة لا يمكن معها إرجاعه إلى ما كان عليه ، وما هى إلا لحظات حتى توافد الجرحى إلى منزلى ووقفوا فى صفوف طويلة فمكثت أفحصهم وأعالجهم حتى قبل مجيئى إلى هنا بلحظات ، ونفذ كل ما كان عندى من أدوية وضمادات فلم أستطع متابعة أداء الواجب ، ولا زال نحو عشرين أو ثلاثين شخصاً يقفون فى صف أمام منزلى وليس هناك من يأسو جراحهم ، ان أحدا لا يستطيع صنع شىء من أجلهم ، ولن أتمكن من علاجهم إلا إذا حصلت على المزيد من الأدوية » .

كان من طبيعة الدكتور آكى ياما الانشراح والسرور ولكنه كان يبدو فى تلك اللحظة مذهولا ، وجاء الدكتور كويا ما إلى حجرتى بينما كان الدكتور آكى ياما يتحدث معى فسمع معظم ما قاله وعلق على حديثه قائلا : « انى أستطيع أن أتصور ما عانيته لأننى أعرفك تماما » . فتنهد الدكتور آكى ياما وقال : « اننى لا أعى شيئا فاليوم بالنسبة لى كان كالأمس تماما ، فلا حد لهذا الفيض الزاخر من الأرواح التعسة التى تقف أمام منزلى تطالب العون ، انهم يحاولون الوصول

إلى كابى[1] «ولكنهم لن يستطيعوا ذلك ولن أستطيع أن أصنع شيئاً من أجلهم كما أن أحداً لن يستطيع صنع شيء من أجلهم» .

ولما كان بيت الدكتور آكى ياما يقع فى ناجاتسوكا فقد كونت فكرة عما آل إليه الحال بتلك الضاحية فانها لم تكن أحسن حظا من منطقة كوئى، وتخيلت طوابير الجرحى الذين يسيرون فى صمت وكأنهم أجساد بلا أرواح وعندما يسألون من أين جاءوا يقولون «من هناك»وعندما يسألون عن وجهتهم يقولون «إلى هناك»، تخيلتهم وهم يتوسلون طلباً للماء،وسمعت أناتهم ورأيتهم يحتضرون ربما كنت أعانى مما يعانون فقد عبر أصدقائى بدقة عن كل ما شاهدوه .

وعلمت أن المرضى الموجودون بالمستشفى فقدوا شهيتهم للطعام تماما ، وأنهم أخذوا يتقيأون الواحد تلو الآخر ويعانون من الإسهال . ترى هل هذا السلاح الجديد الذى سمعت عنه يحتوى على غاز سام ، أم أنه يحتوى على جراثيم قاتلة ، وطلبت من الدكتور هانا أوكا أن يبلغنى بحوادث القىء والإسهال ويتأكد مما إذا كان أولئك المرضى تبدو عليهم أعراض مرض معدى ، فبحث الأمر وجاء ليخبرنى أن الكثير من المرضى لا يعانون من الإسهال فقط ، ولكنهم أيضا يتبرزون دما ، وأن بعضهم تبرز دما أكثر من خمسين مرة خلال الليل ، مما جعلنى أعتقد أنهم يعانون من دوسنطاريا أميبية ، ولم يكن أمامنا الخيار سوى أن نعزلهم عن بقية المرضى الذين لا تبدو عليهم هذه الأعراض . . .

فوضت الدكتور كوياما نائب المدير مسئولية إقامة محجر لعزل هؤلاء المرضى ، فوقع اختياره على مكان بجوار الجانب الجنوبى من المستشفى واستطاع بمعاونة بعض الجنود أن يقيم ما يمكن أن نسميه عنبراً خارجيا ،

(١) كابى منطقة تقع على بعد نحو عشرة أميال إلى الشمال من هيروشيما فى وادى نهر أوتا .

وما كنا نصنعه لم يكن علاجا للوقت ، ولكننا كنا نرضي ضمائرنا بعمل كل ما باستطاعتنا عمله .

لقد وقع على عاتق الدكتور كاتسوبى ومعاونيه واجبا صعبا ، فلم يكن بين المرضى من لا يحتاج إلى جراحة سريعة ، وكان جميع الأطباء والممرضات مشغولين بمعاونته حتى الكتبة والفراشين عاونوا فى إجراء تلك الجراحات ، كما تم تنظيم من يستطيع الحركة من المرضى والاستفادة بهم فى المعاونة على تمريض زملائهم ، وإذا كان قد حدث تقدما فإنه لم يكن ملموسا رغم أن ما صنعه الدكتور كاتسوبى كان من ضروب المعجزات .

وتم تنظيف الممرات وإخلائها من المرضى حتى يسهل استخدامها ثم ما لبثت أن ازدحمت بالرضى الجدد الذين قصدوا المستشفى ، وكان من الصعب منع الناس الذين جاءوا إلى المستشفى بحثا عن أصدقائهم أو أقاربهم ، فالآباء يلطمون خدودهم ويصرخون منادين على أطفالهم الذين قد يكونوا بين من ضمهم المستشفى ، والأزواج يبحثون عن زوجاتهم ، والأطفال يبحثون عن آبائهم . وكانت إحدى النساء المسكينات تسير بلا هدف فى المستشفى ذاهلة تنادي طفلها وكان نداؤها يمزق القلوب ولكن أحداً لم يجرؤ على منعها ، وثمة سيدة أخرى كانت تقف عند مدخل المستشفى تصرخ بما يشبه الأنين منادية شخصا تعتقد أنه موجود بالمستشفى وكان نداؤها يملأ النفس بالأسى ، كما توافد الكثير من سكان الريف للبحث عن أصدقائهم وأقاربهم كانوا يتجولون بين المرضى يفحصون الوجوه جيداً حتى تضايقنا من سلوكهم ومنعناهم من دخول المستشفى .

وسمعنا جلبة خارج المستشفى ، وحين سألت عن السبب علمت أن الدكتور كوياما أحضر ثلة من الجنود لتنظيف مبنى مصلحة المواصلات الذى أتت عليه النيران حتى يستطيع استخدامه كملحق للمستشفى ، وبدأت الحياة تدب في

الصيدلية التي يرجع الفضل في تزويدها بالدواء اللازم إلى عناية الدكتور هيونى والسيد ميزوجوتشي ، وبدأ المستشفى يعرف نوعا من النظام ، فقد تم عمل شيء إيجابي ولعلنا بعد قليل نستطيع السيطرة على الموقف .

وعلمت من السيد سيرا مدير مكتب العمل بالمستشفى أن ستة عشر مريضا توفوا خلال الليل ، وإنه لف جثثهم بملاءات بيضاء ووضعها بجوار مدخل المستشفى ، فسألت نفسي ترى هل نستطيع الاحتفاظ بهذه الملاءات في هذه الظروف الحرجة ، ولكني ترددت في الاعتراض على ما صنعه السيد سيرا لأن تصرفه على هذا النحو كان انعكاسا للشعور بحرمة الموتى ، وحين علمت أن الفرقة التي أرسلها الجيش لنقل الجثث من أمام المستشفى قد ألقت بالجثث والملاءات داخل سيارة نقل دون مراسم دينية رأيت أنه من الأفضل الاحتفاظ بالملاءات فالأحياء أكثر احتياجا إليها من الموتى .

كان المرضى يأتون إلى المستشفى من كل حدب وصوب ، ولما كنا لا نبعد كثيراً عن مركز التفجير فإن الذين قصدوا مستشفانا كانت إصاباتهم بالغة وحالتهم خطيرة ، أما أولئك الذين كانوا بالمستشفى فقد كانت حالتهم أحسن بكثير ممن ظلوا خارجها رغم اكتظاظ المكان بهم ، وكان منظر الأطباء والممرضين في لباسهم الأبيض يبعث الطمأنينة في نفوسهم ، يبكون عند سماع كلمة مواساة ، ويلهجون بكلمات الشكر عند حصولهم على خدمة بسيطة . كانوا جميعا يعانون الكثير ، ويثقون أن الأطباء والممرضات سيبذلون أقصى الجهد لرعايتهم ، كما أن المستشفى بالنسبة لهم كان أفضل مأوى وسط الدمار الذي لحق بالمدينة ، فسررنا لعلامات الرضى التي بدت على المرضى ، ولكننا لم نشعر أبداً أننا استطعنا أن نصنع شيئا ذا قيمة لهم .

واستطاع السيد إيماتشي ومعاونوه بمطبخ المستشفى إعداد وجبة من الأرز المسلوق في بداية اليوم ، كانوا يوزعونها على المرضى في الجرادل ، ويطعمونهم

إياها بملاعق خشبية كبيرة ، وكانت هذه الوجبة الصغيرة بالنسبة لى أهم عمل فى ذلك اليوم . وأعادوا تقديم وجبة أخرى بعد الظهر ، فأحسست أن ملأ الفم الذى أصابنى من هذا الأرز قد ملأنى بالعافية وجعلنى أشعر بإمكانية الشفاء ولكن كان هناك الكثيرون ممن كانوا أضعف من أن يستطيعوا تناول هذا القدر القليل من الأرز فزاد الجوع من وطأة المرض عليهم .

وأقبل الليل دون أن يكون لدينا مايفترشه المرضى سوى قطع من الحصير وضعت فوق الأرض ، وأخذت آلام الجروح تتزايد ، ولم يكن لدينا كمية كافية من المسكنات لتعين المرضى على تحمل الألم ، وعانى المرضى من ارتفاع درجات الحرارة وأخذوا يصرخون طالبا للماء ولكن لم يكن لدينا من يقدم لهم الماء ليرووا ظمأهم بسبب قلة العاملين بالمستشفى .

كما أن الدكتور هارادا أحد الصيادلة نقل إلى المستشفى مصابا بحروق بالغة ، ثم جاء بعده إبن السيدة سائيكى العجوز بنفس الحالة ، واضطررنا إلى عزل الآنسة هينادا إحدى الممرضات لإصابتها بإسهال حاد منذ بداية النهار ، ونظراً لعدم وجود من يقف على تمريضها فقد اضطلعت أمها بهذا العبء رغم أنها كانت تعانى هى الأخرى من حروق بالغة ، وجاءنى السيد ميزوجوتشى ليخبرنى أن الآنسة هينادا وأمها قد أصبحتا فى حالة يرثى لها وأنه لا يحتمل بقاءهما على قيد الحياة ، وأن إبن السيدة سائيكى العجوز قد فقد الوعى .

لقد قضيت اليوم كله أستمع إلى روايات زوارى عن الدمار الذى حدث بهيروشيما ، والمناظر الفظيعة التى شاهدوها ، رأيت أصدقائى جرحى وقد تشتت عائلاتهم وتدمرت منازلهم ، وكنت أعرف تمام المعرفة الصعاب التى تواجه مرؤوسى ، وأعلم كيف ناضلوا ببسالة لمواجهة مالا طاقة للبشر لتحمله من صعاب ، كنت أعرف ذلك جيداً ، كما كنت أعرف أن هؤلاء المرضى قد

علقوا كل آمالهم على ما يمكن أن يصنعه الأطباء والممرضات من أجلهم ، ترى من كان يعلم الحقيقة المرة إننا كنا بلا حيلة مثلهم تماما !

وما لبثت قدرتى على فهم مبلغ البؤس الذى يعانيه الناس ومشاركتى لهم الألم والضيق أن جعلتنى أستسلم للأمر الواقع وأتقبل كل ما أسمعه بهدوء ورباطة جأش لم أكن أصدق يوما ما أن باستطاعتى تحمل مثل هذا ، لقد اعتدت فى خلال يومين على هذا الجو المشبع بالفوضى واليأس .

شعرت بالوحدة ولكنها كانت وحدة لاإنسانية ، أصبحت جزء من ظلام الليل ، لم يكن هناك راديو ولا كهرباء ولا حتى شموع ، كل ما كان هناك من ضوء كانت تعكسه النيران التى كانت ترتفع ألسنتها فى بعض أطراف المدينة ، وكل ما كنت أسمعه من أصوات هو صوت أنات وتأوهات المرضى ، كما كنت أسمع هذيان من كانوا يعانون من الحمى ينادون أمهاتهم ، أو صوت إنسان يئن حيناً ويصرخ حيناً آخر : « إن الألم لايمكن احتماله أننى لاأطيق الألم » ، ترى أى نوع من القنابل تلك التى حطمت هيرشيما ؟ ! .

وحاولت أن أتذكر أحداث صباح يوم الكارثة ، لقد كانت هناك بضع طائرات ولكن ذاكرتى لم تسعفنى بعددها ، فقبل انطلاق صفارات الإنذار كان هناك صوت طائرة واحدة وإلا فلماذا سكتت صفارات الإنذار ولماذا لم تنطلق خلال الدقائق الخمس أو الست السابقة على حدوث القصف ؟ ورغم مابذلت من جهد ذهنى لم أستطع الربط بين هذه الوقائع وبين الدمار الذى حدث ، ربما كان هذا سلاحاً جديداً فإن معظم زوارى تكلموا بغموض عن « سلاح سرى » و « سلاح جديد » و « قنبلة خاصة » ، كما ذكر أحدهم أن هذه القنبلة هبطت بمظلتين قبل أن تنفجر ، وكائنا ما كانت تلك القنبلة فأننى لاأستطيع أن أدرك كنهها ، لأن هذا القدر من الدمار الذي أحدثته لايمكن تعليله ، كل

ما نمالكه حكايات لاتزيد عن الإشارة إلى السحاب الذى انتشر فى الجو فغمر كل شىء .

ثمة شىء واحد يمكن تأكيده هو أن هيروشيما قد دمرت كما دمر معها الجيش الذى كان معسكراً فيها ، واختفت أحياؤها ، كما اختفت القيادة العامة للجيش الثانى ، والكلية العسكرية التى كانت تضم الكثير من الشباب ، والقيادة العامة للقطاع الغربى ، وفرق المهندسين ، والمستشفى العسكرى ، لقد تحطم أمل اليابان ، خسرنا الحرب ، لن تستطيع الآلهة أن تأخذ بأيدينا ! وما هى إلا لحظات حتى تنزل القوات الأمريكية إلى أراضينا ، وعندما يحدث ذلك لابد أن يدور القتال فى الشوارع وقد يتحول مستشفانا إلى مركز للهجوم أو الدفاع ، ألم يذكروا لى فى الصباح أن الجنود قادمون لتحويل مبنى مصلحة المواصلات إلى قيادة . ترى هل هزمنا حقاً ؟ ولكنى لم أجد جواباً لهذه التساؤلات جميعاً .

كان الدكتور ساسادا والآنسة كادو وزوجتى يغطون فى النوم ، وحسناً فعلوا ، ولكن النوم ذايلنى وسمعت وقع أقدام ، ثم ظهر رجل بالباب بدأ شبحه وسط الظلام وقد رفع ذراعيه وتدلت يداه مثلما كان حال مرضى الحروق الذين رأيتهم وأنا فى الطريق إلى المستشفى ، وحين اقترب منى رأيت وجهه أو على الأصح رأيت ما كان فى يوم من الأيام وجهاً أضاعت النيران ملامحه ، كان الرجل أعمى ضل طريقه إلى دورة المياه ، فصحت به وقد ملأنى الفزع : « لقد أخطأت الطريق ياسيدى » ، فعاد المسكين أدراجه واختفى وسط الظلام ، وأحسست بالخجل لتصرفى معه على هذا النحو ، ولكنى كنت خائفاً حقاً ، وأصبحت متوتر الأعصاب أكثر من ذى قبل ، وفقدت كل أمل فى النوم .

كانت السماء تضىء من حين لآخر فى اتجاه الشرق ، ويبدو أن صياحى أيقظ زوجتى لأنها نهضت بعد قليل وتركت الغرفة ، ربما كانت تريد الذهاب

لدورة المياه ، ولكنها عادت بعد برهة ، فسألتها عما حدث ، فقالت لى أن الردهة مليئة بالمرضى حتى أنها لم تستطع أن تتفادى أجسام المرضى فخطت فوقهم ، وكان عليها أن تعتذر بصفة مستمرة لأولئك المساكين ، ثم داست على قدم شخص وعندما اعتذرت له لم تتلق منه جواباً ، لقد داست فوق قدم رجل ميت ولذلك كانت خائفة تحس بقشعريرة فى جسـدها وتحركت لتنام بالقرب منى .

٨ أغسطس ١٩٤٥

بدأ اليوم حاراً صافى السماء ، وكانت درجة الرطوبة عالية فأحست بالعرق اللزج يتصبب من تحت إبطى وبين أفخاذى ، كما بدأ الدخان يتصاعد من الطابق الثانى ، وكان وجه الدكتور ساسادا أكثر تورما منه بالأمس فانبثق الدم من ضمادات ذراعيه ويديه ، وأحسست بالعطف عليه عندما تذكرت أن هاتان اليدان قد صنعتا الكثير لتأس جراح المرضى طوال اليومين الماضيين .

وسمعت جلبة بالخارج جعلتنى أتذكر مريضاً نسيت أن أذكره بالأمس فقد كنت أسمعه يمشى خلال الليل بين الحين والآخر ، وكذلك صباح اليوم كان يمشى هنا وهناك ، وكنت أسمعه بصفة خاصة عندما كان يرتطم بالسور أو بالمبنى وسألت الآنسة كادو : « هل تناول طعامه ؟ » فأجابت : « لا عليـك يادكتور فهناك الكثير من أوراق البطاطا بالحديقة ولا أعتقد أنه سيعانى من الجوع مادامت هذه الأوراق متوفرة » ، أما هذا المريض الذى كنا نتحدث عنه فهو حصان أصابه الحريق بالعمى ومن كان يراه على هذه الحال كان لا يملك سوى أن يعطف عليه وبذلك أبقيناه بالحديقة بجوار نافذة حجرتنا .

وكانت تلك الحديقة ملعباً للتنس ، ولكنى فكرت منذ زمن بعيد فى تحويلها إلى حديقة ، وزرعتها بالبطاطا ووجدت متعة فى هذه المحاولة ، وأصبحت بطاطتى موضوعاً للتندر بين العاملين بالمستشفى .

قلت للآنسة كادو : « ألا تظنين أنه من الأفضل أن نخرج البطاطا من باطن الأرض أعتقد أنها قد نضجت الآن » . فضحك رفاقى ونسينا تعاستنا للحظة .

بدأ مفصل قدمى اليسرى يؤلمنى ، فنظرت إليه لأكتشف أنه يبدو مبتلا لزجا داخل ضمادة ، ولاحظت الآنسة كادو ذلك فغيرت الضمادة ، وبعدما انتهت من ذلك شعرت بالتحسن ، وحين كانت تغير الضمادة لاحظت أن هناك رباط لاصق على ركبتى اليسرى ، فدهشت لأننى لا أذكر أنه قد أصابتنى أية خروق ، ثم تذكرت فيما بعد الجذوة الملتهبة التى ارتطمت برجلى عندما كنت أرقد بالحديقة بجوار مصلحة المواصلات حين شب الحريق الهائل .

ازدادت قابليتى للطعام هذا الصباح وكنت أبدو أحسن حالا ، كما كانت روحى المعنوية مرتفعة ، ونسيت الأفكار السوداء التى سيطرت على ذهنى طوال الليل ، وحضر الدكتور كاتسوبى مبكراً ، وبدلا من أن أبادله التحية سألته أن يحدد الموعد الذى يمكننى فيه مغادرة الفراش ، فأخبرنى مرة أخرى أننى أحتاج على الأقل إلى أسبوع حتى تفك خياطة الجروح ، وأن على ألا أثير موضوع مغادرة الفراش مرة أخرى قبل مرور تلك الفترة ، وقال لى : « انك لا تطيق صبرا ، يجب عليك أن تحمد الله لأنك لا زالت حياً » . لم يكن قد دار بخلدى حتى ذلك الحين أنه كان من الممكن أن أموت،ولكن عندما صرح لى الدكتور كاتسوبى بذلك تأكدت أن اصاباتى كانت أسوأ مما أظن ، وسألت الدكتور كاتسوبى وأنا أحاول أن أبدى عدم المبالاة : « هل كانت حالتى سيئة إلى هذه الدرجة » فقال : « لقد كنا جميعا قلقون عليك ، لعلك لم تتحقق من كمية الدماء التى فقدتها ، لقد ظللت فى غيبوبة معظم الليل ، وكانت زوجتك والآنسة كادو والدكتور ساسادا والدكتور كوياما وأنا ، كنا جميعاً نتناوب الجلوس بجوارك طوال الليل » ، فأجبت محاولا أن تبدو كلماتى عادية : « اذن ليس من الغريب أننى لا أكاد أتذكر ما حدث تلك الليلة » .

لقد كان على أن أقنع بالراحة ، فقد كان الدكتور كوياما يدير المستشفى بكفاءة لا يتطرق اليها الشك، وكان يحيطني علما بما يعترضه من مشاكل،ويسألنى الرأى حيث كان لا يجب أن يتخذ قرارا منفردا . فعلى سبيل المثال عندما وصلنا بلاغ من الدكتور تشودو أحد أطباء الأسنان بمستشفانا يفيد أنه وأسرته كانوا يختبئون فى التلال التى تقع خلف أوشيتا فلم تصب عائلته بسوء ولكنه أصيب بحروق بالغة وطلب منا أن نرسل من يحمله إلى المستشفى ، دبرت وسيلة نقله إلى المستشفى على الرغم مما كنا نعانيه من نقص فى الإمكانيات . كما تلقينا تقريراً مفاده أن قسم الشئون الاجتماعية بمصلحة المواصلات لديه ما بين مائتين وثلاثمائة حصير للنوم من الممكن أن يزود بها المستشفى ، ورغم أن هذه الحصر كانت قصيرة الطول وأن المستشفى كان مكتظا بالمرضى ومن الصعوبة بمكان إزاحة المرضى من أماكنهم لوضع الحصير تحتهم ، أحسست والسيد سيرا أن الحصول على تلك الحصر ضرورة ملحة بالنسبة لنا حتى ولو اضطررنا فى سبيل إستخدامها إلى إخلاء الممرات من المرضى .

تأكدت اليوم الشائعة التى ترددت حول مصرع السيد يوشيدا مدير مصلحة المواصلات ، فقد تم التعرف على جثته المتفحمة من بكلة حزامه،وعثر على الجثة بالقرب من المستشفى وتم حرق بقاياها أمام مصلحة المواصلات ، لقد فقدنا بموته صديقا رقيقا مخلصاً . كما مات أيضا شخص آخر من الشخصيات البارزة هو عمدة أتسوكا .

وعلمت أيضاً أن نبأ مصرعى كان قد ذاع ، فقد أخبرنى بذلك صديقان قديمان هما السيد ناجاءو وزوجته اللذان يقيمان فى نيشى هارا عندما حضرا لزيارتى وزوجتى هذا الصباح وكانا سعيدين لتأكدهما من نجاتى .

وخلال اليوم بذل جهد كبير لاعادة تصنيف المرضى تبعاً لطبيعة مرضهم ونوعية جراحهم ، كما عثر على الكثير من الموتى بين المرضى ، وان كانوا أقل

ممن ماتوا بالأمس، فشعرت بضرورة التخلص من جثث الموتى حتى نخلى مكانها لمن بقوا على قيد الحياة ، وجعلنى ذلك أغير من نظرتى للأمور فقد كان الناس يموتون بسرعة، مما جعلنى أتوقع الموت وأعتبره أمرا واقع واحترمه، واعتبرت الأسرة التى لم تفقد سوى شخصين من أفرادها أسرة محظوظة ، ترى كيف أستطيع أن أرفع رأسى بين مواطنى هيروشيما ومثل هذه الأفكار تجول بخاطرى !

بدأ الجنود يعملون مرة أخرى فى تطهير مبنى مصلحة المواصلات ، وقد تناقشت مع الدكتور كوباما حول امكانية إستخدامهم فى تطهير أحد طوابق المبنى وإعداده لنقل المرضى الذين تكدسوا فى دورات المياه وممرات المستشفى إليه ، وبينما كنا نناقش هذا الموضوع جاء الدكتور هانا أوكا ليبلغنا أن حالات الإسهال الدموى تتزايد ، وأن بعض المرضى تبرزوا إسهالا دمويا أكثر من ستين مرة منذ مطلع نهار هذا اليوم . وبناء على ذلك فان الحاجة إلى تحويل مصلحة المواصلات إلى ملحق للمستشفى أصبحت أمراً غير عاجل ، فان مانحتاج إليه هو توسيع مساحة المحجر الذى نعزل فيه هؤلاء المرضى عن غيرهم ، ولذلك طلبنا من الجنود أن يساعدونا فى هذه المهمة .

ثم عادت مشكلة إعادة تنظيم المستشفى موضوعا للنقاش بيننا من جديد ، لأن النيران التى دمرت الطابق الثانى من مبنى المستشفى خمدت تماماً ، وأصبح من الممكن إستخدام ذلك الطابق ، وقبل الحريق كانت بهذا الطابق أربعة عشر حجرة مقامة بفواصل خشبية أتت عليها النيران تماما وحولت الطابق إلى قاعة واحدة فسيحة .

واصبحت المشكلة الآن تتركز فيمن نبدأ بنقلهم من المرضى إلى الطابق الثانى لأن حالة هذا الطابق كانت أسوأ من الطابق الأول على الرغم من ازدحامه بالمرضى ، وأخيرا قررنا أن نبدأ بأنفسنا ، وأن يكون المصابون من العاملين

بالمستشفى هم أول من ينقل إلى الطابق الثانى ليفسحوا مكانهم فى الطابق الأول لبقية المرضى .

وكنت أول من نقل إلى الطابق الثانى، وبينما كنت محمولا على المحفة تفحصت المكان بعينى كانت الأرض ممتلئة ببقايا ثلاثين سريرا حديديا تحت الرماد الأبيض المتخلف عن احتراق مراتب القش التى كانت فوق تلك الأسرة ولم يكن بين حطام الأسرة ما يصلح للاستخدام ، ولكن بعد أن قضيت يومين راقدا على الأرض الصلبة العارية كان منظر هذه الأسرة المحطمة يبدو بالنسبة لى رائعاً ، وأعد لزوجتى يائيكو فراش بجوارى من بقايا سرير كان أقل التواءا من غيره ، ووضع الحصير الذى كنا ننام عليه فوق أطر تلك الأسرة ، وبدأنا نتقبل الحياة فى هذا المكان دون ضجة ، ولحق بنا الدكتور ساسادا والآنسة سوسوكيدا والآنسة أوموتو وتبعهم المرضى من العاملين بالمستشفى الواحد تلو الآخر حتى تحولت القاعة الفسيحة إلى مكان مؤنس ، ربما اشتكى البعض من الرماد أو المواسير وأسياخ الخرسانة الحديدية التى تدلت من السقف ولكن مثل هذه القاعة كانت أكثر مكان بالمستشفى تطهراً من البكتريا بعد الحريق الذى أصابها ، وامتازت تلك القاعة بوجود فتحات نوافذ واسعة بحوائطها الأربعة تتيح رؤية كل ما يحيط بالمكان فى كل اتجاه ، فلم يكن هناك نوافذ أو ستائر ولا حتى ضلف زجاجية لتقى المرضى الهواء او تقلل من حدة الضوء ، وكانت العين تقـــع على حطام هيروشيما فى الشرق والجنوب والغرب ، فكنا نرى بوضوح جزيرة نينوشيما[1] فى خليج هيروشيما ، وبالقرب من وسط المدينة الذى يقع على بعد ١٥٠٠ متر من موقع المستشفى كان باستطاعتنا ان نرى الحطام الأسود لأكبر مبنيين كانا فى المدينة «محلات فوكويا» ومبنى «جريدة تشوجوك»،

---

(١) نينوشيما جزيرة جبلية تقع على بعد ثلاثة أميال جنوب هيروشيما فى خليج هيروشيما وقد اتخذت هذه الجزيرة ملجأ لمن بقى على قيد الحياة من سكان المدينة.

وبدا جبل هيجى ياما الجميل المقدس الذى يطل على القسم الشرقى من المدينة أكثر قربا من ذى قبل حتى غدا وكأنه يقع إلى جانب المستشفى ، ولم تكن ثمة مبان باقية إلى الشمال من المستشفى .

وبدأت أفهم ماعناه أصدقائى بقولهم أن هيروشيما قد دمرت ، فلم يبق من مبانى المدينة سوى تلك التى أقيمت بالخرسانة المسلحة وقد أتيت على ذكر اثنين من هذه المبانى ، وعلى مرمى البصر تحولت المدينة إلى صحراء تناثرت عليها الأنقاض والأحجار وقرميد السقوف ، وكان على أن أعيد النظر فى مفهوم كلمة الدمار لأبحث عن كلمة أخرى تعبر أصدق تعبير عما أراه أمامى ، لعل كلمة « الخراب » أكثر انطباقاً على واقع الحال ، ولكننى فى الحقيقة لم أجد بين ما أعرفه من الكلمات كلمة واحدة تصدق على ماشاهدته من فوق سريرى الحديدى المتداعى .

رأيت الجنود يعملون بهمة فى توسيع محجر المستشفى ، كان أحدهم يردد إحدى أغنيات العمل والآخرون يرددون الغناء ، واستطاعوا أن يضيفوا إلى مساحة المحجر ١٢٠٠ متر مربع جديدة ، وبالإضافة إلى ذلك أقاموا مرحاضاً خارجياً أحاطوه بالحصير من كل جانب ، ولم تكن تلك الحصر تحجب شيئاً فقد كان باستطاعة من ينظر إليها من موقعى أن يرى ماوراءها .

وهبت نسمة لطيفة عبر فتحات النوافذ ، فجعلت أجسادنا المحمومة تشعر بالانتعاش لقد تخلصنا من الضيق والفوضى اللذان كانا طابع الطابق الأول ، كما أن الضوء الذى ملأ جوانب القاعة رفع معنوياتنا ، وكان لمنظر الأفق المتسع من حولنا تأثير طيب على نفوسنا .

لقد ظننا أننا قد تركنا المكان الأفضل بالمستشفى لمرضى الطابق الأول ،

ولكنى تبينت الآن أننا انتقلنا إلى مكان أفضل ، فقررت أن نترك هذا المكان الجديد للمرضى الآخرين فى أقرب فرصة .

وقبيل حلول المساء هبت رياح جنوبية خفيفة حملت الينا رائحة تشبه رائحة شواء السردين ، ودهشت لتلك الرائحة حتى ظننت أننى واهم حتى أخبرنى معاونى أن هناك فريق من رجال وزارة الصحة يتولى إحراق جثث الموتى ، فنظرت عبر النافذة لأشاهد العديد من الحرائق التى تناثرت فى مختلف أحياء المدينة وكنت أظنها من قبل بقايا حرائق الأنقاض . وباتجاه نيجتسو كان هناك حريق كبير حيث قدرت الجثث بالمئات ، وحين تأكدت أن تلك النيران هى محارق جنائزية شعرت بقشعريرة فى جسدى وانتابنى إحساس بالتقزز .

أما المبانى الخرسانية التى كانت تقع بالقرب من وسط المدينة فقد ظلت النيران مشتعلة فيها من الداخل وتعكس فى كبد السماء ظلالا مخيفة .

ظل العاملون بالمستشفى يواصلون الليل بالنهار مدة ثلاثة أيام دون راحة ، ولذلك أفسحنا لهم مكاناً بالطابق الثانى ليعملوا فى نوبات ويقضى بعضهم فترة الراحة بيننا ، وجاء الدكتور كوياما لينام ، وقبل أن يستغرق فى النوم أبلغنى ببعض ماحدث خلال اليوم ، فذكر لى أن جنودا جاءوا إلى المستشفى فى الصباح يطلبون بعض الضمادات للجيش الثانى العام ، وعبثاً حاول العاملون بالمستشفى إقناعهم أن مالدينا من ضمادات دون حاجتنا بكثير ولكنهم أصروا على الاستيلاء على معظم ماعندنا من تلك الضمادات ، لقد كان تصرف هؤلاء الرجال أقرب إلى سلوك قطاع الطرق منه إلى الجنود ، وما فعلوه كان منافيا تماما للوعود المتكررة التى تلقيناها من الجيش لمدنا بكل مانحتاج إليه من معدات للطوارىء عندما يحدث هجوم على المدينة ، ولكن هؤلاء الجنود لم يأتوا من الجيش الذى كان معسكراً فى هيروشيما ، ولم يبق عدد كاف من الجنود الذين أنيط بهم معاونة المستشفى على أداء رسالتها ، ولم يكن باستطاعة الجيش أن يوفر

الأفراد الذين يقومون على خدمة الجرحى العسكريين التابعين للقيادة المحلية والذين أفسحنا لهم مكانا بإحدى دورات المياه ، وعندما حضر ضابط اتصال القيادة لرؤيتهم لم يكن لديه مكان أفضل لينقلهم إليه ، وشكرنا كثيراً حين هيأنا لهم مكانا بحجرة الفراشين ، ولذلك اعتقد أن الجنود الذين استولوا على رصيدنا من الضمادات ينتمون إلى قطاع آخر من الجيش .

وثمة شيء أثار انزعاجنا ، فقد أخبرني الدكتور كوياما أن بعض الجنود أتوا من جهة غير معلومة وقضوا النهار كله ينظفون مبنى مصلحة المواصلات ، وأنه قد أشيع أن قيادة الجيش ستنتقل إلى المبنى لتتولى الدفاع عن هيروشيما فى حالة تعرضها للغزو . واتفقنا فى الرأى على أنه إذا أقام الجيش قيادته فى هذا المكان فإن المستشفى ستصبح هدفاً لمزيد من القصف وقد نموت جميعاً إذا وقع مثل هذا الأمر .

وبعدما غادر الدكتور كوياما القاعة استغرقت فى التفكير فى هذه المسائل وشعرت بالضيق ولم أستطع النوم كنت أسمع تأوهات المرضى خلال الليل وصراخهم طلباً للماء وأنينهم ، وسمعت حركة أحد مرضى الدوسنطاريا المعزولين الذى ترك موقعه ليبحث عن ماء يشربه خلف مبنى المصلحة وتناهى إلى مسامعى صوت رجل فظ ينهره ويأمره بالعودة إلى مكانه حتى لا تنتقل عدوى الدوسنطاريا إليه ، وكان هناك صوت يصرخ طلباً للماء بين الفينة والفينة وكلما مر جانب من الليل أخذ هذا الصوت يخفت تدريجياً ، وسألت الممرضة عمن يكون هذا المريض ، فأخبرتنى أنه ضابط شاب يبدو أنه من أسرة كريمة لأنها عندما كانت تستجيب لرجائه وتقدم له الماء كان يشكرها بعبارات مهذبة .

وقد أثار هذا الضابط الشاب فى ذهنى ذكر زيارة قام بها ابن عمى الكابتن أوراب لمنزلنا فى الثانى من اغسطس حيث قضى وزوجته اليوم معنا ، وكان الكابتن أوراب قد جند كطبيب عسكرى بعد تخرجه من كلية الطب بقايل ،

وعندما رأيته كان قد قضى فى الخدمة نحو ست أو سبع سنوات فى شمال ووسط الصين،وقد بدت عليه معالم الانضباط والشجاعة.وكنت متشائماً لا أرى للحرب نهاية ، وأفضيت إليه بهذا الإحساس ، قلت له انى أشعر اننا سنخسر الحرب لأن كل شيء يسير من سيء إلى أسوأ ، وأن الجنود لم يعودوا منضبطين مثلما كان الحال من قبل ، وأبديت له مخاوفى من أنه إذا تعرضت هيروشيما للقصف فإن مالدينا من مدافع مضادة للطائرات لن يكون مجدياً ، لأن نظام دفاعنا يركز على مواجهة حالات التعرض للقصف بالقنابل المحرقة،وكان فى تقديرى أن العدو لن يستخدم مثل هذه القنابل فى قصف هيروشيما التى يخترقها العديد من الأنهار وعند هذا الحد كان ابن عمى يستمع لحديثى بهدوء ، ثم عقب على ماقلته بقوله: « ياأخى لاتقلق فإن رئيس الأركان العامة ذكر لنا أنه مهما بلغ انتقادالمواطنين للجيش فإن الجيش سيرد على هذه الانتقادات بتحقيق النصر » ! .

وبينما كنت أرقد وسط الظلام وجدت نفسى أردد تلك العبارة التى قالها ابن عمى « الجيش سيرد على الانتقادات بتحقيق النصر » ترى اين ابن عمى الآن ليتنى أراه ، باستطاعته أن يوفر لنا كل مانحتاجه من إمدادات طبية ، ولعل الكابتن أوراب مشغول الآن ، وإلا لحضر على الأقل للاطمئنان على بعد كل ماحدث .

٩ أغسطس ١٩٤٥

كان اليوم منذ بدايته حاراً صحواً ، ولكن أشعة الشمس لا تصل إلينا مباشرة فى الدور العلوى مثلما كان الحال فى الدور السفلى ، كما هبت نسمة عليلة على قاعتنا جعلت الجو أفضل بالنسبة لنا منه بالأمس .

وأحسست بتحسن حالة فى هذا الصباح ، ويبدو أن جروح شفتى وخدى تلتئم بصورة مرضية ، وكان التحسن ملحوظاً حتى أننى طلبت وجبة من الأرز بدلا من الأرز المهروس الذى كنت أتناوله من قبل ، وكانت الآنسة كادو شديدة الاهتمام بى ، فقامت بجنى بعض ثمار البطاطا التى كنت قد زرعتها وأعدتها لى ، ولم أكن أتصور يوماً ما أن البطاطا حلوة المذاق إلى هذا الحد .

وعلى الرغم من أن ذراع زوجتى كان لا يزال معلقاً ، فإن حالتها تحسنت هذا الصباح وبدأت تعتنى بى ، وأدهشتنى حين طلبت بعض المرهم الأبيض ووضعته على حاجبيها لتخفى موضع حاجبيها المحترقان ، وكان إحساسها بالانتعاش علامة مطمئنة ، أما حالة الدكتور ساسادا فكانت أكثر سوءاً هذا الصباح ، إذ ارتفعت درجة حرارته وزاد وهناً على وهن .

وقبل أن تتوسط الشمس كبد السماء بدأ الزوار يفدون على ، وكان من بينهم جندى قوى البنية يحمل كمية ضخمة من الأربطة والأدوية التى ينوء بحملها شخص واحد ، فتلقيناه بالترحاب ، وكان الملازم تاناكا الذى يخدم فى فرقة آكاتسوكى قد أرسله بهذه الأشياء ، وكان سرورى حين علمت أن الملازم تاناكا بخير يعدل سرورى بهذه الإمدادات الطبية التى كنا فى أمس الحاجة إليها. وكنت قد تعرفت على الملازم تاناكا عن طريق ابن عمى الكابتن أوراب، فنالت مروءته ونجدته تقدير الجميل .

وثمة مفاجأة أخرى حدثت في ذلك اليوم ، فقـــد زارني سعادة السيد أوكاموتو رئيس القطاع الغربي بوزارة المواصلات ، وكنت قد سمعت الكثير عنه من قبل دون أن أحظى بلقائه ، وهو رجـــل اجتماعي ودود ما لبث أن بعث مرآه الطمأنينة في نفسي ، وعندما اكتشفت مصادفة أنني كنت تلميذاً بنفس المدرسة الثانوية التي تخرج هو فيها بمدينة أوكاياما قبلي بنحو ست سنوات، سقطت حواجز الكلفة بيننا ، واستغرقنا في حديث شيق حول تلك الأيام الخوالي ، وكان السيد أوكاموتو في طريقه إلى هيروشيما عندما تعرضت المدينة للقصف ، وكان من المقرر أن يصل إلى المدينة في نفس يوم القصف غير أن نحلة لدغته بالقرب من كوري وهي مدينة تقع على بعد ٢٥ ميلا إلى الجنوب من هيروشيما ولهذا السبب لم يستطع متابعة السفر إلى هيروشيما ، فأدت لسعة النحلة هذه إلى إنقاذ حياته . وخـــلال حديثي معه جلست في فراشي دون أن أدرى ، وحين غادر القاعة اكتشفت أن جلوسي لم يترتب عليه أي شعور بالألم ، فقلت لنفسي إذا كان باستطاعتي أن أجلس فلا بد أن يكون باستطاعتي أن أقف . وانتظرت لحظة انشغال رفاقي بالقاعة عني وحاولت الوقوف ولكن الغرز بدأت تؤلمني فخذلتني آلامها عن تحقيق أملي في ترك الفراش ورقدت مرة أخرى ، ولكن هذه المحاولة ملأتني بالثقة. معنى هذا أنه بمجرد أن أتخلص من الغرز فإن باستطاعتي مزاولة نشاطي من جديد .

أما تقدير الدكتور هاناأوكا اليوم عن حالة المرضى فكان أكثر تفصيلا من ذي قبل ، ومما لفت نظري في هـذا التقرير أن جميع المرضى قد ظهرت عليهم نفس الأعراض بغض النظر عن نوع الإصابة التي لحقتهم فجميعهم كانوا يشكون من فقدان الشهية ، وغالبيتهم كانت تعاني من الغثيان ، وعسر الهضم المصحوب بالغازات ، وكان أكثر من نصفهم يعانون من القيء .

وكان الكثير من المرضى قد بدا عليهم التحسن اليوم ، ولكن حالات

الاسهال استمرت بشكل حاد ومتزايد ومما كان يدعو إلى الانزعاج ظهور الدم فى براز المرضى الذين كانوا يعانون فقط من الإسهال ، وأخذت مشكلة عزل هؤلاء المرضى عن غيرهم تزداد صعوبة .

وكان أحد المرضى ذوى الحالات الخطيرة يشكو من قرحة فى فمه أمس واليوم وبدأ عدد كبير من البثور الصغيرة يظهر فى فمه وتحت جلده ، وكان تشخيص حالته موضع حيرتنا لأنه جاء إلى المستشفى يشكو من الإعياء والغثيان ولم يكن مصاباً بأية إصابات .

وهذا الصباح بدأت تظهر البثور الصغيرة تحت الجلد عند عدد آخر من المرضى ، وكان الكثير منهم يسعل ويتقيأ دماً بالإضافة إلى الدم الذى كان يختلط بالبراز ، وكانت هناك سيدة مسكينة تنزف من فرجها ، ولم تكن تلك الأعراض التى بدت على هؤلاء المرضى معروفة من قبل ، وإلا لالتمسنا عذراً لأولئك الذين بدا عليهم أعراض الاختلال العقلى قبل أن يلفظوا أنفاسهم الأخيرة .

رأى الدكتور هانا أوكا أنه من الممكن تقسيم المرضى إلى ثلاثة مجموعات:

١ — المرضى الذين يشكون من الغثيان والقىء والإسهال وتظهر عليهم بعض علامات التحسن .

٢ — المرضى الذين يشكون من الغثيان والقىء والإسهال بدرجة ثابتة .

٣ — المرضى الذين يعانون من الغثيان والقىء والإسهال وبدأت تظهر تحت جلدهم وفى أماكن مختلفة من أجسادهم البثور الصغيرة .

ومهما كان نوع الإصابة التى لحقت بهؤلاء المرضى كالحروق والجروح فإن تلك الأعراض الغريبة لا يمكن أن نرجعها إلى إصاباتهم ،

كما أن هناك الكثير من المرضى الذين خلت أجسادهم من الإصابات وشاركوا هؤلاء فى نفس الأعراض .

إن السبب الوحيد المحتمل لهذه الأعراض الغريبة التى ظهرت على المرضى ربما يرجع إلى تغير مفاجىء حدث فى الضغط الجوى ، فقد قرأت ذات مرة عن النزيف الذى ينجم عن الصعود إلى مناطق شديدة الارتفاع أو الهبوط فى أعماق البحار بسرعة بالغة نحو القاع ، ولما كانت مثل هذه الحالات لم تمر بى فإننى لم أكن أعلم بأعراضها ، غير أننى لا أستبعد هذا الاحتمال ، فإن التغير فى الضغط الجوى له علاقة بالأعراض التى تبدو على مرضانا ، فعندما كنت طالباً بجامعة أوكاياما شاهدت تجربة أجريت فى غرفة للضغط الجوى ، وظهرت أعراض شبيهة على من قاموا بالتجربة عندما كان يتم تغيير الضغط الجوى فجأة .

إننى لا أستطيع أن أذكر الآن بصورة إيجابية أننا سمعنا صوت انفجار عندما قصفت المدينة ذلك الصباح ، ولا أذكر أننى سمعت أصواتاً وأنا فى الطريق إلى المستشفى ، رغم أن المنازل كانت تتساقط من حولى فقد بدا المشهد وكأننى أعبر خلال صورة حزينة صامتة متحركة ، وأولئك الذين سألتهم عما شاهدوه شاركونى نفس الإحساس أما الذين شاهدوا الانفجار من ضواحى المدينة فقد وصفوه بالكلمة اليابانية « بيكا دون »[1] فكيف يمكن تفسير عجزى وعجز الآخرين عن سماع صوت الانفجار ما لم يكن قد حدث تغير مفاجىء فى الضغط الجوى جعل من كانوا بالقرب من مركز الانفجار يصابون بصمم مؤقت ، ترى هل من الممكن أن نعلل ظاهرة النزيف التى تفشت بين مرضانا على هذا النحو .

---

(١) «بيكا» باللغة اليابانية تعنى بريق أو ضوء لامع ، أما «دون» فتعنى الصوت المدوى فأولئك الذين شاهدوا الانفجار من ضواحى المدينة سموه « بيكا دون » أما الذين كانوا قرب مركز الانفجار فقد شاهدوا بريقاً بلا صوت ولذلك أطلقوا عليه « بيكا » .

ولما كانت جميع المراجع والمجلات الطبية التى فى حوزتنا قد احترقت فلم تكن ثمة وسيلة لمراجعة النظريات الطبية سوى مراقبة المرضى أنفسهم، ولذلك طلبت من الدكتور كاتسوبى أن يستطاع ما إذا كانت هناك شواهد أخرى تضاف إلى ما لاحظناه أثناء طوافه على المرضى .

وقد سررت كثيراً حين أحسست أن رغبة الاطلاع العلمى قد نشطت من جديد فى ذهنى ، ولذلك لم أتوان عن سؤال كل من زارنى عن حادث القصف ، وكانت إجاباتهم جميعاً تبدو غامضة مبهمة ،ولكنهم اتفقوا جميعاً فى نقطة واحدة هو أن ثمة سلاح جديد قد استخدم ضد مدينتنا وأصبحت معرفة كنه هذا السلاح مسألة محيرة لنا لأننا لم نفقد مراجعنا فحسب ، بل فقدنا الصحف والتليفونات وأجهزة الراديو أيضاً .

تم إحضار الدكتور تشودو طبيب الأسنان الذى تحدثت عنه من قبل وذكرت أنه هرب مع أسرته إلى تلال أوشيتا وخصصنا له ولأسرته استراحة عيادة الأسنان ، وسألت الممرضة التى اشتركت فى نقله إلى المستشفى عن حاله ، فعلمت منها أن حالته خطيرة وأن جميع أجزاء جسمه احترقت ، وأنها لا تعتقد أنه سيعيش ، أما زوجته وإبنته فلم يصبهما سوء . يا له من مسكين ! فقد جاء هو وأسرته منذ قليل من أوكيناوا إلى هيروشيما وليس لهم هنا أقارب وأصدقاؤهم قليلون ، ترى ماذا يحدث لعائلته إذا مات .

وبينما كنت أرقد فى فراشى وأفكر فى حالة الدكتور تشودو جاءت السيدة سايكى العجوز ووقفت بجوار فراشى وحين نظرت إلى وجهها الشاحب المتجهم عرفت ما تريد أن تقوله لى ، لقد مات ابنها ، مات أكبر أبنائها ووحيدها الذى بقى لها فى هذا العالم . كانت تأمل بالأمس فى أن يحضر إلى المستشفى والآن رحل عنها ، أما زوجة ابنها وابنها الثانى فقد ماتا يوم (البيكادون) ولم يبق لها أحد ، وغطت السيدة وجهها بيديها وانفجرت باكية

ولكن نشيجها كان أضعف من أن يسمع ولم أستطع الكلام للحظة لأن حلقي كان قد جف ، وحين استطعت أن أتمالك نفسي قلت لها : « لا تقلقي أيتها الجدة سأتولى رعايتك من الآن » . ووقفت السيدة سائيكي العجوز برهة تبكي بهدوء ثم قالت : « أرجوك أن تقف بجانبي يا دكتور » وغادرت القاعة في الطريق إلى الطابق الأرضي دون أن تضيف كلمة أخرى إلى ما قالته .

وعدت أفكر في الدكتور هارادا الذي كان جسده محترقا تماما فيما عدا فروة رأسه وقد تقيحت حروقه وجعلت جسده يبدو أحمر اللون بينما كانت دائرة من الشعر الأسود تكسو الجزء الذي لم يحترق من رأسه ، وكان يبدو من بعيد وكأنه يرتدي وعاء للطهي على رأسه لقد كان هو والدكتور تشودو بالقرب من حديقة أسانوسنتاي[1] عندما حدث الانفجار . وقبل أن ينقضي اليوم توفي الدكتور هارادا وحملت أسرة زوجته جثته إلى منزلهم في كابي .

أما الدكتور أوكورا أحد أطباء الأسنان بالمستشفى فقد خرج هذا الصباح ليبحث عن زوجته التي فقدت منذ اليوم الأول للقصف ، وعاد فيما بعد يحمل بعض العظام التي عثر عليها في آخر مكان شوهدت فيه زوجته . وكان السيد ياما زاكي الموظف بمكتب العمل لا يزال يبحث عن ابنته دون جدوى ، أما الدكتور فوجي فقد عثر على ابنته ولكنها كانت في حالة خطيرة وتوفيت في منزل أحد أصدقائه في ميدوري .

لم تكن هناك أنباء طيبة هذا اليوم ، فالدكتور موري سوجي الطبيب بالقسم الداخلي كان لا يزال مفقودا ، ولما كان يعيش بالقرب من مركز الانفجار فقد افترضنا أنه وجميع أفراد أسرته قد قتلوا ، كما أن ثلاثة من ممرضاتنا لقين حتفهن ،

---

(١) تقع على بعد أقل من ٥٠٠ متر من موقع الانفجار .

أما الآنسة هينادا فكانت تحتضر رغم أنها تبدو بصحة جيدة قبل أن تصاب بالإسهال، وقبيل المساء مات الضابط الشاب الذى سمعته ليلة الأمس يطلب الماء، ولم تستطع أمه التى جاءت من محافظة ياماجوتشى أن تراه قبل أن يلفظ آخر أنفاسه، وأعطى فراشه فى المحجر لفتاة صغيرة كانت تصرخ منادية أمها بصوت تتفتت له الأكباد.

وحل الظلام ولم يكن هناك مصدر للاضاءة فيما عدا النيران التى تبدو عند محارق الجثث، وأخذت رائحة الجثث المحترقة تزكم الأنوف من جديد، وكان المستشفى هادئا ولكن القسم الذى عزل فيه بعض المرضى كان يقطع سكونه صراخ الفتاة الصغيرة بين حين وآخر: «أماه اننى أتألم، اننى لا أستطيع أن أتحمل الألم»، ولم أستطع أن أذوق للنوم طعما قبل طلوع الفجر.

١٠ أغسطس ١٩٤٥

هبت نسمة باردة عندما استيقظت فى الصباح، وبعد أن تبادلنا تحية الصباح سألت رفاقى عن مدى تقدم صحتهم خلال الليل فرفع رؤوسهم أولئك الذين بدأت أحوالهم تتحسن، ورفع البعض الآخر أيديهم، ولحسن الحظ قضوا جميعاً ليلة بلا مضاعفات.

وخارج المستشفى كان الناس يبحثون بين الأنقاض عن أصدقائهم وأقاربهم وإلى الجنوب على طول خط الترام الذى كان يربط ما بين هاتشوبورى وهاكوشيما كان الناس يسيرون فى خط لا نهاية له فى الطريق من وإلى التلال والقرى المجاورة يبحثون عن الأفراد والممتلكات التى فقدوها.

وبلغتنى رسالة تتعلق بالآنسة ياما كبيرة ممرضات قسم الجراحة مفادها أنها تعانى من مرض خطير وترقد بأحد المخابىء بالقرب من يوكوجاوا، فأنهيت

هذا الخبر إلى الدكتور كاتسوبى والآنسة تاكاهو لأنهما من أقرب الأصدقاء اليها ، وما كادا يسمعان هذا النبأ حتى هرعا للبحث عنها، وكانت الآنسة تاكاهو على عجلة من أمرها حتى أنها لحقت بالدكتور كاتسوبى وقد ارتدت صندل قديم لا يمكن أن يبقى فى أقدامها أكثر من خمس دقائق،فقلت لها: «انك لا تستطيعين الذهاب بهذا الصندل حتى يوكوجاوا فخذى حذائى »، فقبلت العرض ولبست حذائى وأخذت تجره جراً فى الطريق خلف الدكتور كاتسوبى ، ولا أدرى كيف إستطاعت الاحتفاظ بحذائى فى أقدامها لأنه كان كبيراً لدرجة تكفى أن تضع كلتا قدميها فى فردة واحدة ،وكنت أراها عبر النافذة وهى تتأرجح وتميل ذات اليمين وذات الشمال لتلحق بالدكتور كاتسوبى بقوامها الممتلىء وروحها المرحة ، فبدت مثـــل الإلـه ايبيسو إلـه الثروة وكانت نعم الرفيق للدكتور كاتسوبى .

تناولت هذا الصباح أرزا مسلوقا بدلا من الارز المهروس ، وأحسست بمدى التغير الكبير الذى طرأ على حين استقر الارز فى معدتى ، وشعرت أن باستطاعتى أن أصنع شيئا ، فقلت لنفسى لماذا لا أنتهز فرصة غياب الدكتور كاتسوبى وأحاول أن أمشى مرة أخرى وكان سرورى بالغاً عندما وجدتنى أمشى دون ألم وكانت الغرز لا تؤلمنى كثيراً مثلما كان الحال بالامس ، وبعد بضع خطوات أصبحت مقتنعاً أن المسألة تحتاج إلى تدريب ، وبينما كنت أختبر قدرتى على المشى سمعت وقع أقدام فالتفت ورائى لأجد السيد ميزوجوتشى يتجه نحو فراشى صائحاً : « يا دكتور يجب عليك أن تكون أكثر حرصاً حتى لا ترهق نفسك ، هل أستطيع أن أتحدث معك فى بعض الامور ؟ » فأجبت : « بكل تأكيد » . فقال : « إن رصيدنا من اللوازم الطبية قد بدأ ينفد ونقوم الآن بتوزيع القدر القليل الذى يتوافر لدينا بين المرضى الخارجيين ومرضى القسم الداخلى ولكن المرضى الخارجيين ازدادوا عددا وبعد حين لن يكون لدينا ما نقدمه لهؤلاء وأولئك والكمية التى سلمت لك بالأمس كانت الاضافة

الوحيدة إلى رصيدنا منـــذ حدث القصف والمخازن الإحتياطية التى تقع فى جبى جوزن وياجوتشى لا يمكن الوصول إليها » .

فقلت له : « قل للدكتور كوياما أننى أريد أن أراه إذا لم يكن مشغولا لعلنى أجد عنده مخرجاً من هذا المأزق » .

وجاء الدكتور كوياما فكررت على مسامعه ما قاله لى ميزو جوتشى وسألته الرأى فتفكر مليا ثم قال : « لا أعتقد أن باستطاعتنا الوصول إلى حل لهذه المشكلة ما لم نتلق عونا من الخارج ، ولعلك تعلم أن مكتب المحافظة وعدنا بالمساعدة » . فأجبته قائلا : « إذن فلنغلق القسم الخارجى لنحتفظ على الأقل بما لدينا من مخزون لعلاج مرضى القسم الداخلى » .

فأجاب الدكتور كوياما بقوله : « إن مثل هذا التصرف لن يكون مجديا فان من يترددون على العيادة الخارجية لا تقل حالتهم سوءا عن مرضى القسم الداخلى وإذا رفضنا علاجهم فأين يذهبون ؟ » .

عند هذا الحد فقدت أعصابى وصحت قائلا : « لقد مرت أربعة أيام ولم نتلق أى إمدادات طبية حتى الآن ، وحتى إذا أوفى مكتب المحافظة بوعده فان الإمدادات التى سيرسلها لنا لن تكون كافية ، إن لديك الكثير من المشاكل التى تحتاج إلى حل داخل المستشفى وليس عليك أن تهتم بكل عابر سبيل يطرق بابك ، لا بد أن تغلق العيادة الخارجية لابد أن تغلقها اليوم فوراً » .

ويبدو أن الدكتور كوياما أحس أن جروحى وعدم إستطاعتى النوم وقلقى على أوضاع المستشفى قد جعلانى فاقدا الاتزان ، لأنه حاول تهدئتى ، فكنت أستجيب له احياناً وانفعل غاضباً أحيانا أخرى . وفى النهاية اضطر ان يستسلم وينزل على رغبتى ربما خوفا من ان افقد اتزانى نهائياً ، فوعدنى بأن يعلق اعلانا على باب العيادة الخارجية بما يفيد إغلاقها .

وما كاد الإعلان يلصق على باب العيادة الخارجية حتى جاءت الشرطة وبعض موظفي مكتب المحافظة يسألوننا عن الدافع وراء اتخاذ مثل هذا الاجراء، وكان تأثير هذا القرار عليهم مثيراً للعواطف، فالتمسوا منا أن نستمر فى خدمة مرضى العيادة الخارجية من أجل مواطنى هيروشيما ، فقلنا لهم إنه يسرنا أن نكون فى خدمة المواطنين ولكن إمداداتنا توشك على النفاذ ولم يبذل أحد جهداً فى تعويضها ، فوعدونا بتدبير ما نحتاجه من إمدادات إذا كان ذلك هو العائق الوحيد فى سبيل خدمة مرضى العيادة الخارجية .

ولعل إصرارى على تثبيت الإعلان على باب العيادة الخارجية لم يكن إجراء طائشاً ، وقبل أن يغيروا موقفهم أرسلت الدكتور هينوئى إلى إدارة الصحة بمكتب المحافظة ليتسلم الإمدادات التى وعدونا بها ولكن ما أعطوه له لا يستحق الذكر ، فالكمية التى عاد بها لم تكن أكبر حجما من دموع العصفور . هكذا أحسسنا بخيبة الأمل ، لقد أدرك موظفو الإدارة المحلية حقيقة موقفنا فكيف يتوقعوا منا أن نعالج المرضى بدون أدوية ويرسلون لفافة مثل تلك التى عاد بها الدكتور هينوئى ، إنها إهانة ما فى ذلك شك .

وكان الدكتور هينوئى والسيد ميزوجوتشى يبدوان أكثر ارتياحاً مناجيماً فاستمعا إلينا بصبر حتى قلنا كل ما عندنا ، ثم أشارا إلى أننا لم نخدع فى مناورتنا مع سلطات المحافظة ، وقال الدكتور هينوئى : « اننا على الأقل نعرف الآن موقع الإدارة الصحية ونعلم أن رئيس تلك الإدارة لا يزال على قيد الحياة ، وقد قالوا لى إنه كان بمنزله عندما حدث القصف ولم يصب بسوء ، اللهم إلا كسر بأحد أضلاعه ، فلماذا لا يذهب أحدنا لمقابلته واطلاعه على جلية الأمر ، إننى على ثقة أن باستطاعته تقديم العون لنا » .

ولم يكن هناك اعتراض على هذا الاقتراح لذلك أرسلنا الدكتور كوياما مندوباً عنا لمقابلة رئيس الإدارة الصحية فى منزله . حقيقة أننى كنت أعرف الرجل منذ كنا زميلين فى الدراسة ، وكان يدعى الدكتور كيتا جيما غير أن الدكتور كوياما حين قابله بمنزله لم يحظ منه بفرصة لشرح موقفنا وعرض مشاكلنا ، فقد كان الرد الذى تلقاه من الدكتور كيتا جيما رئيس الإدارة الصحية هو : « إنك لا بد أن تفتح العيادة بأمر المحافظ » . فرد عليه الدكتور كوياما قائلا : « إن مهمة مستشفانا معالجة المرضى من موظفى وزارة المواصلات وعائلاتهم ، ونحن الآن نتولى علاج مواطنى هيروشيما بدوافع إنسانية وليس بيننا وبين المحافظ أية رابطة ، فنحن لا نخضع إلا لوزارة المواصلات ولا شأن للمحافظة بنا ، ولذلك لا أجد داعياً لإطاعة أوامرك التى تلقيها علينا باسم المحافظ حتى لو قام بتلبية طلباتنا ، إن كل ما نطلبه هو الإمدادات ، إمدادات طبية لمعالجة كل شخص يحتاج إلى علاج بغض النظر عن نوع العلاقة التى تربطنا به » .

فتغيرت لهجة الدكتور كيتا جيما وأخذ يستخدم عبارات أكثر لطفاً استمدها من لهجة أوكاياما وهو يتحدث إلى الدكتور كوياما فقال له : « كفى كل ما أرجوه منك أن تفتح العيادة باسم الإنسانية وسأبحث أمر إمدادك بما تحتاجه من إمدادات طبية وأطباء وممرضات وكل ما من شأنه معاونتكم » .

وإذا كان لى أن أستعمل تعبيرات الدكتور كوياما فقد رأى أنه لا داعى للتصارع باللسان مع رئيس الإدارة الصحية ، وعاد إلى المستشفى وهو مقتنع أن الدكتور كيتا جيما سيفى بالوعد وسعدنا جميعاً بما سمعناه منه فقد انتصرت وجهة نظرنا ونزعنا الإعلان من على باب العيادة .

كانت الآنسة ياما لا تزال بخير عندما أحضروها إلى المستشفى ، وعلمنا منها أنها كانت فى طريقها إلى المستشفى عندما حدثت (البيكا) ورغم أنها كانت مغطاه جزئياً بمظلة فقد أصيبت بحروق بالغة ، وفقدت ثيابها ، ولم يكن لدى الدكتور كاتسوبى سوى أمل ضئيل فى شفائها .

أما السيد شيوتا الموظف بمصلحة المواصلات فقد أصيب بالقرب من نيجتسو[1] ويرقد الآن بمنزل أحد أصدقائه فى هيساكا ، وجاءنا رسول من قبله يسألنا عما إذا كان من الممكن إحضاره إلى المستشفى . فطلبنا منه أن يحضره على عجل .

وبدأ الناس الذين كانوا قد التجأوا إلى القرى والضواحى المحيطة بالمدينة يعودون ، وسمعوا أن المستشفى على استعداد لاستقبالهم ، فتركوا أماكنهم بالمعابد والمدارس والبيوت والمخابىء ميممين شطر المستشفى ولم يكونوا قد حصلوا على علاج أو إسعافات من قبل ، وكانت أجسامهم واهنة ويتضورون جوعاً ، ولما كان المكان أضيق من أن يتسع لهم فقد لمسنا الحاجة إلى ضرورة إعداد مبنى المصلحة وتحويله إلى ملحق للمستشفى ، وأعطينا لموظفى المصلحة وعائلاتهم الحق فى أولوية الانتقال إلى مبنى الملحق ، أما المرضى الآخرين فقد هيأنا لهم مكاناً بالمستشفى ، وبذلك نقلنا زوجة السيد يوشيدا رئيس المصلحة الذى مات وهو فى الطريق إلى الملحق ، وكانت تلك السيدة المسكينة قد اعتبرت فى عداد المفقودين غير أنها تمكنت وقت الحادث من الهرب إلى منزلها فى كوماتشى بعد أن لحقتها بعض الإصابات فأعددنا لها فراشاً بغرفة الاستقبال التى كانت ملحقة بمكتب زوجها الراحل .

---

(١) هو هيكل الديانة الشنتاوية يقع على بعد ١٧٠٠ متر من مركز التفجير وعلى بعد نصف ميل تقريباً من موقع المستشفى .

ازداد تدفق الناس على المستشفى حتى أصبحنا لا نستطيع السيطرة على الموقف ، وكان سرورنا عظيما عندما وصل إلينا الدكتور نوريوكا — الذى كان يعمل بمستشفى المواصلات بأوساكا — فجأة على رأس مجموعة من المساعدين يحمل كل منهم بعض الإمدادات الطبية ، وكان حضورهم كالغيث وقت الجفاف ، فالدكتور نوريوكا طبيب ماهر حاذق أسرع إلى العمل هو وجماعته ، وكانت مهارته وتفاؤله يبعثان الحماس فى النفوس ، وأحسسنا أن وجودهم قد دعم مركزنا .

وعلى النقيض من ذلك وصلتنا مجموعة من المساعدين الطبيين الذين ليست لديهم الخبرة الكافية للعمل ، ولذلك لم يستطيعوا عمل شىء ، وجاءوا بأيد خالية من الإمدادات الطبية ، وكنت على وشك أن أقول لهم إننا كنا نقدر ما أبدوه من نوايا طيبة إذا عبروا عن هذه النوايا بالعمل ، أما الدكتور نوريوكا وجماعته فعلى العكس من ذلك أمدوا قلوب المرضى الواجفة بالقوة والأمل .

منذ وقع حادث القصف وقلوبنا لا تكاد تستقر بين ضلوعنا ، ولكن الدكتور نوريوكا استطاع أن يعيدها إلى موضعها بفضل همته وسجاياه ، كان جاداً فى عمله قوى الملاحظة ، وكان فوق ذلك متحمساً نشيطاً واتسع وقته لعلاجنا ، كما أننا تعلمنا منه الشىء الكثير ، ولأول مرة منذ وقعت الواقعة أحسست أننا بدأنا نسترد رباطة جأشنا .

جاء الليل وكانت الليلة الأولى التى لم نشم فيها رائحة الموت ولست أدرى ما إذا كان ذلك بسبب تغير اتجاه الريح أم بسبب تناقص عدد محارق الجثث فى المدينة ، فقد بدأ يتناقص عدد من يموتون كل يوم ، ولم يمت اليوم سوى شخصين فقط .

وأحضر لى السيد ميزوجوتشى مصباحا صنعه من طبق من الصاج وفتيل من أربطة الجروح وزوده بالنفط الخام ، ولكن الضوء المنبعث من هذا المصباح كان يبدو باهراً أنار السقف والحوائط وشع فى أرجاء القاعة الفسيحة . كان هذا هو أول ضوء نراه منذ (البيكا) ، لقد نسينا تألق الضوء فى الليل .

جلس السيد ميزوجوتشى بجانبي بضع دقائق يتحدث إلى ، فأخبرنى أنه رأى رجلا يحاول انتزاع قماط جنـــدى مصاب بالعمى فمنعه من ذلك ، ثم أخبرنى عن الآنسة هينادا والآنسة سوسوكيدا ، وكان يحدثنى بصوت منخفض قائلا : « يمر الوقت ونعود مرة أخرى إلى الليل ، إن السيدة التى ترقد بجوارى تحدثت معى بطريقة ودية لطيفة ولم أستطع معرفتها إلا فى الصباح فقد اكتشفت أنها الآنسة سوسوكيدا كان وجهها متورما فلم أستطع التعرف عليها إلا حين عرفتنى هى بنفسها .... » .

وغرقت فى النوم وأنا أستمع إلى حديث ميزوجوتشى .

١١ أغسطس ١٩٤٥

كان اليوم حاراً منـذ الفجر ، والسماء صافية ، واستطعت أن أنام طوال الليل لأول مرة منذ حادث القصف ، ولذلك أحس بالانتعاش ، ونظرت حولى لأجد أن الآنسة ياما نزلت بقاعتنا وكان فراشها يقع بين فراش الآنسة أوموتو والآنسة سوسوكيدا اللتان كانت حالتهما خطيرة ، وكانت الآنسة ياما هى الوحيدة التى لم تستطع رفع رأسها عندما تفقدت رفاق القاعة ، ولم أر ســـوى قفاها لأنها كانت تخفى وجهها بعيداً عنى ، فقلت لها : « إذا لم يكن باستطاعتك أن ترفعى رأسك فارفعى يدك ، فإن كان باستطاعتك رفع

يدك فإن ذلك يعنى أنك فى طريق التحسن» . فردت على برفع يدها ، وحاولت تشجيعها قائلا : « لا بأس فستعبرين هذه المحنة فلا زلت ممتلئة بالحياة وإذا كان باستطاعتك أن ترفعى يدك فإن معنوياتك سوف ترتفع ويساعدك هذا على الشفاء » .

لم يمت أحد خلال الليل ، وانضم إلينا ثلاثة من زملائنا الذين كنا نعتقد أنهم قد فقدوا ، كان الجميع يبدو عليهم التحسن هذا الصباح ، وأصبح الإفطار يبدو حلو المذاق عن ذى قبل عندما أحضره لنا السيد ميزوجو تشى ، وما كدنا نفرغ من تناول الإفطار حتى عصفت الريح ، وأخذ طلاء الحوائط المحترق يتساقط فوقنا ، كما بدأت تتساقط من السقف أيضا ، تماما كما تتساقط زهور الكرز ، ولم يستطع الدكتور ساسادا أن يحمى وجهه بيديه التى اختفت داخل الأربطة وكان أكثرنا تعرضا لأذى التراب وطلاء الحوائط .

وعندما توقفت الريح كنا قد نفضنا التراب والرمال عن أنفسنا نوعا ما ، ولكننا كنا نشعر بالضيق ، فقد كانت صلعتى تبدو خشنة ومكسوة بالرمال ، كما أن لحيتى التى طالت لعدم تمكنى من حلاقتها أصبحت بيضاء فى لون الجليد ، وشعرت بحاجتى إلى الاغتسال والحلاقة كما لم أشعر من قبل .

لقد تسببت الريح فى إيذائنا ، وأثارت ضيقنا ، ولذلك عندما مر بنا الدكتور كاتسوبى ورأى ما أنا عليه من ضيق ، رق لحالى وقام بغيار جروحى ، وبدا عليه السرور ، وقام — لدهشتى البالغة — بإزالة الغرز قبل الموعد الذى كان قد حدده من قبل بيوم ، فأحسست بتحسن كبير بعد الغيار الجديد ، فالتخلص من الضمادات التى كانت تنبعث منها روائح كريهة وإزالة الغرز جعلنى أحس بالراحة ، ونسيت ما سببته العاصفة الترابية لى من متاعب .

وبينما كنت أرقد مستمتعا بالراحة دخل علينا الملازم تاناكا الضابط الشاب الذى أرسل لنا كمية من الإمدادات الطبية أول أمس ، وبعد أن بادلنى التحية عبرت له عن تقديرى لكرمه ، وسألته عما حدث لكتائب الفرقة الثانية التى ينتمى إليها والتى كانت ثكناتها تقع خلف المستشفى ، فأجابنى بقوله : « لقد كان ثمة مايزيد على أربعمائة مجند فى الخدمة الطبية يعسكرون هناك ، جاء معظمهم إلى هنا عقابا لهم على مخالفات ارتكبوها ، وقد مات معظمهم » . فسألته عما إذا كانت لديه أخبار عن ابن عمى الكابتن أوراب ، فأجاب : « لقد أخبرنى البعض أن الكابتن أوراب قد أصيب بجرح فى مؤخرة رأسه ، وأرسل إلى أوجينا للعلاج ، وهذا هو كل ما أعرفه عنه لأن الإتصالات بين القوات سيئة للغاية ، ومن بقوا على قيد الحياة تشتتوا هنـــا وهناك بصورة يصعب معها الإتصال بهم » .

وثمة سؤال أخير كنت أخاف أن أسأله للملازم تاناكا يتعلق بإشاعة سرت بين الناس مؤداها أن روسيا دخلت الحرب ضد اليابان ، وأنها شنت هجوماً كبيراً على منشوريا واجتاحتها ، وقد أيد الملازم تاناكا هذه الإشاعة غير أنه لم يكن لديه تفاصيل عنها .

كان هذا أمراً لايمكن تصديقه فقد أصبحنا الآن محاطين بالأعداء من الأمام ومن الخلف ومن المؤكد أنه لاأمل لنا فى النصر ، وشعرت بكابوس ثقيل يجثم فوق صدرى .

وعلمنا خلال النهار أن سلاحا جديداً غامضاً استخدم فى ضرب ناجاساكى وأسفر عن نتائج مماثلة تماما لما حدث فى هيروشيما ، فقد كان مصحوبا ببريق شديد ، وبصوت انفجار مدوى . أصبحت كلمة « بيكادون » واحدة من مفردات اللغة اليابانية ، وعلى الرغم من أن السيدة سائيكى العجوز التى كانت داخل المدينة عندما حدث القصف ظلت تستخدم تعبير « بيكا » ، فإن أولئك

الذين كانوا خارج المدينة أصروا على تسمية الحادث بالبيكادون . واستقرت الـكلمة الأخيرة كمصطلح أطلقه الناس على هذا السلاح الغريب .

وبعد أن بلغتنا أنباء قصف ناجاساكى ، جاءنا رجل من فوتشو[1] ذكر لنا أن اليابان تملك هذا السلاح الغريب ، ولـكنها حتى الآن كانت تحيطه بسرية بالغة ، ولم تستخدمه ايقينا أنه سلاح يكفى اسمه لإثارة الفزع والرعب ، وأضاف الرجل أن هجوماً خاصاً قام به الأسطول استخدم فيه هذا النوع من القنابل فى ضرب أراضى أمريكا ذاتها ، وزعم أن معلوماته عن هـذه الغارة مستمدة من مصدر موثوق به بالقيادة العامة ، وأن الغارة قام بهـا سرب من الطائرات ذات الست محركات من قاذفات القنابل العابرة للمحيط ، وأن اثنتان من طائرات هذا السرب لم تستطيعا العودة إلى قواعدهما ، ومن المعتقد أن هاتان القاذفتان قد نجحتا فى إصابة أهدافها ، ونفذتا مهمتها بنجاح مؤكد .

إذا أصاب سان فرانسكو وسان دييجو ولوس أنجلوس ما أصاب هيروشيما ترى ماذا تـكون عليه هذه المدن الآن من الفوضى ؟ أخيرا استطاعت اليابان أن ترد الصاع صاعين. وتغير جو القاعة لأول مرة منذ ضربت هيروشيما، كان كل من فيها يفيض بشراً وسعادة ، وكان أولئك الذين يعانون إصابات بالغة أكثر الموجودين سعادة ، وبدأت الفكاهات تسمع ، وغنى البعض نشيد النصر بينما دعا الآخرون للجنود بالتوفيق ، واعتقد كل فرد الآن أن التيار قد أصبح فى صالح اليابان .

صممت على مغادرة الفراش مادامت جروحى قد التأمت لأتابع بنفسى موضوع الإمدادات الطبية التى وعدنا بها مدير الادارة الصحية بالأمس ،وكان

---

(١) فوتشو ضاحية تقع على بعد ميل الى الشرق من هيروشيما ويفصلها عن المدينة مرتفعات جبلية منخفضة تمتد من الشمال إلى الجنوب .

أحسن ما يمكن عمله هو أن أتوجه بنفسى إلى الإدارة الصحية التى كانت تقع فى مبنى مهدم بمنطقة ياماجوتشى بالقرب من وسط المدينة .

تلقى الدكتور هينوئى تعليمات بمرافقتى والعناية بى ، ولما كنت أعانى من الضعف والهزال فقد عرض على أن يحملنى إلى هناك فوق دراجته ، فلم أعترض على ذلك وما هى لحظات حتى بدأنا الرحيل .

كانت المسافة بين المستشفى والادارة الصحية تبلغ نحو ميل ، فوجدت أنه من الأفضل أن أنتهز هذه الفرصة لأرى عن قرب ماحدث للمدينة . وعندما غادرنا المستشفى مررنا بالمرحاض الخارجى الذى ذكرته من قبل ، وكانت حالته تثير التقزز ، إذ كان المرضى الذين يستطيعون المشى يقضون حاجتهم فيه ، رغم أننا رجوناهم أن يقضوها فى مكان بعيد عن المستشفى ، وكان المكان ينظف كل صباح ولكن الأرض كانت تمتلىء مرة أخرى بالبراز ، وتفوح من المكان روائح كريهة . وحين بعدنا عن المستشفى تخلصنا من الروائح التى كانت تزكم أنوفنا ، لنعانى من متاعب السير فى طريق تعترضه الأنقاض ، وكنا نحمل الدراجة أكثر مما نركبها ، فقد تساقطت أسلاك الترام والأعمدة التى كانت تحملها فى عرض الطريق ، وكان علينا أن نزحف بين الحين والآخر تحت الأسلاك أو فوقها وبين أسلاك التليفون والكهرباء المتشابكة ، لنواجه بالدعامات المهدمة والحوائط المتداعية ، فإذا تخلصنا من كل تلك العوائق وجدنا الطريق ممتلئة بالحفر .

وإذا لم يكن مبنى الادارة الصحية واضحا أمامنا لكانت تلك الرحلة الشاقة أكثر إرهاقاً لنا ، لقد كان مبنى الادارة الصحية على مرمى البصر خلف كل تلك الأنقاض ، وحين جلسنا لنستريح ذات مرة لاحظ الدكتور هينوئى أنه يبدو أننا لن نبلغ غايتنا ، لأننا حين كنا نتفادى الانقاض كانت الطريق تبعدنا كثيرا عن موقع الادارة الصحية .

واستمرت على متاعب الطريق بتفحص الانقاض التى تتراكم على جانبيه ، فالحوائط المهدمة ، ومواسير المياه المحطمة تكشف عن موقع الحمامات ، وقطع الصينى المتناثرة تدلنا على مواقع المطابخ ، والستائر الثمينة المطرزة الممزقة ترشدنا إلى نوع الحى الذى نمر به ، فقد كان المكان موطنا للطبقة الثرية فى المدينة ، وكنت أعرف معظم سكانه ، ولكن المكان بدا غريباً بالنسبة لى ، ولم أستطع أن أحدد على وجه الدقة الاماكن التى كان يسكنها من أعرفهم فى هذا الحى .

شاهدنا العظام المحترقة ، وشممنا مرة أو مرتين رائحـــة اللحم البشرى المحترق ، فهذه العلامات المميزة للموت كانت تبدو واضحة طول الطريق وسط هذا الركام ، وشد ماضايقنى رؤية لعب الاطفال المحترقة وسط حطام المنازل .

وأخيراً وصلنا إلى مبنى البنك المتهدم الذى اتخذ مقرا للادارة الصحية بطريق ياماجوتشى ، وتوقفنا قليلا لننظر إلى المنطقة الواقعة خلفنا ، فالى الشمال كانت تقع المستشفى ومبنى مصلحة المواصلات يقفان وحدهما وسط الحطام ، وخلفها تقع تلال أوشيتا وقد احترقت سفوحها وأصبحت عارية من الأشجار .

دخلنا البنك من باب خلفى ، ووجدنا أنفسنا داخل ردهة واسعة بها حشد كبير من الناس حتى بدت وكأنها خلية نحل ، والتقينا برئيس الادارة كيتا جيما واثنين من مساعديه ، وكانوا يجلسون على مقاعد محطمة ، ويضعون أوراقهم فوق صناديق برتقال قديمة ، وحين رآنى كيتا جيما عقدت الدهشة لسانه لحظة ثم ارتسمت على وجهه علامات السرور وتعانقنا وأخذنا نتحدث معا بلهجة أهل أوكاياما ، قال لى : « لقد كنت لحسن الحظ فى بيتى عندما سقطت القنبلة ، وكل ما أصابنى كسور بسيطة ببعض الضلوع ، ترى ماذا حدث لك ؟ هل أنت بخير ؟ أعتقد أننا محظوظان لاننا بقينا على قيد الحياة » .

وبينما كنا نتحدث سويا استأذن الدكتور هينوئى وأخذ يتجول فى المكان، وجمع الإمدادات التى كنا فى أمس الحاجة إليها ، والتى وعد الدكتور كيتاجيما بتدبيرها من قبل ، وحين حققت زيارتنا هدفها استأذنا من الدكتور كيتاجيما وعدنا أدراجنا إلى المستشفى .

وأثناء سيرنا بالطريق قلت للدكتور هينوئى : « أن مرضانا ليسوا وحدهم الذين يعانون من الدوسنطاريا ، فقد أبلغنى كيتاجيما أن جميع المستشفيات الموجودة بالمنطقة تعج بمرضى الدوسنطاريا ، كما أخبرنى أن بدروم محلات فوكويا تحول إلى مركز للاسعافات الأولية ، فدعنا نلق عليه نظرة ونحن فى طريقنا إلى المستشفى » .

فأومأ الدكتور هينوئى برأسه موافقا ، وعندما بلغنا محلات فوكويا توقفنا هناك ، وكانت النظرة إلى البدروم كافية ، فقد كان المكان مظلما كريها مما دفعنا إلى تغيير رأينا فعدلنا عن تفقده ، وعدنا إلى الطريق الذى يقود إلى المستشفى .

وتابعنا السير دون أن يتحدث أحدنا إلى صاحبه، فقد بلغ بنا الإرهاق حداً كبيرا ، وغلب علينا الشعور بالاكتئاب ، فحرارة الجو ، وحالتنا الصحية ، ومنظر الخرائب حولنا ، تركت جميعا أثرها على جسدينا وروحينا ، كما أن المعلومات المتفرقة التى جمعناها من الدكتور كيتاجيما لم تساعدنا على تغيير نظرتنا إلى الموقف ، فقد قتل البيكادون ثمانين طبيبا من بين المائة وتسعون طبيبا الذين كانوا يعملون فى هيروشيما ، ومعظم من ماتوا كانوا من أصدقائى ، كالم أستطع التخلص من تأثير ماشاهدته فى بدروم محلات فوكويا ، وكان من أكبر المحلات فى هيروشيما وموضع فخر المدينة ، فإذا به قد تحول إلى حطام مشوه المعالم . سقطت نوافذه ، وتحول المبنى من الداخل إلى كهف كئيب مظلم ،وأصبح الناس الذين كانوا يقصدونه لشراء ما يحتاجون إليه ، يرقدون اليوم بداخله يعانون من المرض ، كانت أناتهم وتأوهاتهم لاتزال ترن فى أذنى ،

لقد كان مستشفانا جنة بالقياس إلى ماشاهدته ، فهو صغير حقاً ولكنه منير وجيد التهوية ، وحتى المرضى الذين كانوا يرقدون فى دورة المياه تحت السلم كان مكانهم أفضل بكثير من زملائهم الذين كانوا يرقدون فى محـــلات فوكويا ، وأصبحت ـ بعد أن لمست سوء الأوضاع ـ أفهم سبب شعور مرضانا بالراحة والسعادة لوجودهم بالمستشفى ، أن لدينا ما يمكن أن نصنعه لتحسين الخدمة لمرضانا ، وبدأت معنوياتى ترتفع من جديد .

وسألت الدكتور هينوئى عما إذا كان قد حصل على كل مانحتاج إليه من الدكتور كيتاجيما ، فرد بالايجاب ، وكسرت إجابته حاجز الصمت ، وقال أنه ذهب إلى الدكتور فوجى مورا ووجد منه كل غيرة وعون ، وقال له أن باستطاعتنا أن نحصل على كل مانحتاج إليه مما لديهم من إمدادات . وأكدهينوئى أن موقفنا سيتحسن كثيراً عما قبل .

وحتى يؤكد الدكتور هينوئى أن معنوياته مرتفعة ابتسم وأخذ يثرثر طوال الطريق ، حتى قادتنا ثرثرته مرة أخرى إلى غابة الأسلاك التى اجتزناها من قبل ولكنها كانت بالنسبة لنا أقل صعوبة فى الاجتياز ، وأخيرا عدنا إلى قاعدتنا .

وبعد أن استرحت قليلا ، قررت أن أتفقد المرضى بالمستشفى ، ترى ماذا سيقول المرضى حين يشاهدوا مدير مستشفى المواصلات يرتدى سراويلا قذرة وقميصاً ممزقا ويبدو أسوأ حالا من أفقر فلاح بالقرية ؟ ربما كانت مثل هذه الأفكار مثار إزعاج لى قبل البيكادون ، أما الآن فلا شىء يهم إذ لا يبدو إنسان فى هيئة طبيب مثلما أبدو الآن . وقبل أن تذهب بى الأفكار بعيدا ، كان من السهل على أن أتأكد أننى رغم مظهرى الرث كنت أبدو من أحسن الناس مظهراً بالمستشفى .

شعـــرت بالخجل لأننى كنت أبدو أحسن مظهرا عندما لاحظت بؤس وشقاء الناس من حولى ، فهنا سيدة عجوز على شفا الموت لاشىء يستر جسدها

سوى فانلة، وشاب احترق جسده بجلس عارياً تماماً إلا من قطعة حصير تغطى جزء من جسده، وهناك أم شابة تحتضر وقد تفحم صدرها بينما ينام طفلها فوق ذراعها يرضع من ثديها، وفتاة شابة جميلة احترق جسدها كله فيما عدا وجهها ترقد فى بركة من الدماء والصديد، وجندى عار تماماً إلا من سروال قصير يرقد فوق حصير ملطخ بالدماء، وآخرون يرتدون أسمال صنعها ذووهم من الستائر ومفارش الموائد مما إستطاعوا العثور عليـــه فى المنطقة المحيطة بالمستشفى .

لقد تعبت من كثرة ما حاولت تشجيع هؤلاء التعساء، كنت أقول لهم : « إننا على الرغم من سوء الأحوال، وما نعانيه من نقص فى التجهيزات، فان هذا المستشفى هو أحسن مكان للعلاج فى هيروشيما، هذا ما علمته من مدير الإدارة الصحية بالمحافظة اليوم، فأرجو أن تتذرعوا بالصبر » .

لم أكن أقصد المباهاة بهذا الـكلام، فان مستشفانا قد لقى تقدير الإدارة الطبية بالمحافظة، وإذا كانت المستشفيات الأخرى بالمدينة على نفس المستوى الذى رأيته فى محلات فوكويا، فان هذا التقدير لا مبالغة فيه . وعندما كنا فى المدينة قابلت السيدة ياناجى هارا، وهى أرملة صديق قديم، كانت هذه السيدة شديدة الهزال وقد فقدت كل شىء أثناء الحادث : منزلها، وملابسها، وأصبحت وحيدة فى هذا العالم تعيش بعيداً عن موطنها الأصلى فى جزيرة شيكوكو، فسألتها : « أين تقيمين الآن ياسيدة ياناجى هارا ؟ »، فأجابت والدموع تملأ عينيها : « فى محلات فوكويا »، وكان للبؤس الذى بدا عليها، ولنبرات صوتها الحزينة وهى تقول لى هذه العبارة وقعاً أليما فى نفسى، فلم أستطع أن أجد من الـكلمات ما أواسيها به سوى أن أقول لها : « حسنا، انى مسرور لأنك على الأقل بخير ولم تصابين بسوء » . فردت علي بحزن شديد : « نعم، ولـكني لازلت فى فوكويا » .

إن ما سمعته ورأيته اليوم ملأنى بالثقة ، وجعلنى أشيد بمستشفانا أمام المرضى ، وربما كنت لا أستطيع الجهر بهذا إذا تجولت بين المرضى قبل ذهابى إلى المدينة .

كان الدمار فى المدينة أكبر كثيراً مما كنت أتصور ، فقد أدت هذه القوة الغامضة إلى تقويض دعائم المبانى المشيدة بالخرسانة المسلحة وتركتها مثل السلة المحطمة ، واذا كانت قد تركت المستشفى قائما فانها لم تبق على أثاثه ومعداته وأدواته .

بريق مفاجىء ، وانفجار ، ثم زلزال عارم ، ونار متأججة ، تتابعت على المدينة كل الظواهر التى تعبر عن الدمار والموت .

آويت إلى فراشى ملتمسا بعض الراحة غير أنى كنت متوترا للغاية فلم أشعر بلذة الراحة ، لقد أثارتنى مشاهد اليوم ، فلم أعد أحس بالإرهاق والتعب ، وجعلتنى الأفكار التى دارت فى رأسى أكاد أقف على حافة الجنون .

وأخذت أمشى جيئة وذهابا فى القاعة ، وبدأت الريح تهب تحمل معها الغبار وتسقط طلاء الحوائط ، فكان المنظر طبيعياً بالنسبة لى وملائما تماما لحالتى النفسية ، وتزاحمت الأفكار فى رأسى ، وضايقنى أحد الأسلاك الكهربائية الذى يطل من ماسورة بالحائط . ولست أدرى لماذا صممت على قطعه رغم أنه لا يشكل عائقاً ، فأخذت أشده فتخرج من الماسورة لفائف السلك وألقيها من حولى حتى أصبح السلك مكوما حولى دون أن تبدو نهايته ، اذا إستطعت التخلص من الأسلاك والمواسير والسراير المحطمة ، فان القاعة سوف تتسع ، ونستطيع أن نفرشها بالحصير ، وننقل إليها خمسين أو ستين من المرضى الآخرين ، عندئذ يستطيع كل من يرقدون فى الدور الأرضى الصعود إلى هنا والتمتع بالمنظر واستنشاق الهواء والاستمتاع بالضوء ، غير أنى وحيد لا أجد من يعاوننى .

وبدأت أهدأ تدريجيا، تمالكت نفسي، واصبحت اكثر اضطرابا، اننا نحتاج حقا إلى مساحة اوسع ولكن من الأجدى ان نعمل على تنظيف الحجرات الأخرى التي لا تزال ممتلئة بالركام، والتي لم نستخدمها بعد، فاذا استطعنا تحقيق ذلك توفرت لدينا أماكن تكفي لإيواء مائة مريض بكلا المبنيين.

واطمأنت نفسي فتمددت على فراشي، ولكن ما شاهدته طوال اليوم ظلت صورته ماثلة أمامي، وشرد فكري نحو السيدة ياناجي هارا، وعجبت كيف تستطيع أن تعيش بعد اليوم، لقد ذكرني منظرها بأمي، وجعلني أتساءل: ترى هل إستطاع الدكتور نيشيمورا أن يبلغها رسالتي؟

وعدت أفكر في المناظر التي شاهدتها في المدينة بعد ظهر اليوم، انني لم أر مثل هذا الدمار ولا مشهد أولئك التعساء من قبل.

وتذكرت الموتى، إن التخلص من جثثهم كان عملا كبيرا، تذكرت هذا بعد «البيكادون» فقد قال لي الدكتور هينوئي أنه عندما ذهب يبحث عن اقاربه في الليلة الأولى كانت الجثث قد سحبت من الشوارع الرئيسية.

تذكرت الحكايات التي سمعتها في اليوم الأول، ما أضعف الانسان أمام قوى الدمار، فبعد «البيكا» تضاءل حجم الناس إلى أدنى مستوى من الضعف البدني والنفسي، أولئك الذين كانوا على قدر من القوة البدنية ساروا في اتجاه الضواحي والتلال البعيدة بنفوس منكسرة وقلوب محطمة، وعندما كانوا يسألون من أين جاءوا كانوا يشيرون إلى المدينة ويقولون: «من هناك»، وعندما كانوا يسألون عن وجهتهم كانوا يشيرون إلى الاتجاه المقابل للمدينة ويقولون: «إلى هناك»، كانوا محطمين ومشتتين يتحركون ويتصرفون بطريقة آلية.

لقد أدهشت تصرفاتهم كل من رآوهم على هذه الحال، وهم يسيرون في صفوف طويلة مذهولين، في الطريق الضيقة غير المعبدة، ويقصدون وجهة

واحدة . ولم يستطع من شاهدوهم الوقوف على حقيقة ماحدث ، لم يدركوا أنهم يشهدون شتات الناس الذين كانوا يسيرون دون وعى .

وبالنسبة لأولئك الذين تحطمت نفوسهم مع تحطم المدينة كانت الطرق ووسائل الانتقال لا أهمية لها ، تبع بعضهم خـط السكك الحديدية ، وسار الآخرون بالغريزة يقتفون آثار الاقدام بحقول الأرز ، بينما وجد البعض الآخر أنفسهم قابعين فى مجرى الأنهار الجافة ، اتخذ كل منهم وجهته الخاصة بحثاً عن مجهول .

ويبدو أننى قد قضيت وقتاً طويلا مع هذه الأفكار مع مضى الليل ، فلم تكن لدينا ساعات ولا تقاويم .

١٢ أغسطس ١٩٤٥

استيقظت عند الفجر ولكنى ظللت مستلقياً فى فراشى حتى أشرقت الشمس .

قضيت ليلة مسهدة بسبب الآلام التى لحقتنى نتيجة السير لمسافات طويلة بالأمس ، وشعرت اليوم بالإرهاق والكسل ، وأخذت عضلاتى تؤلمنى ، وكلما حاولت تحريك مفاصلى أتأوه من شدة الألم ، ولأول مرة منذ حادث «البيكا» اقتنعت بضرورة بقائى فى الفراش . وبينما كنت أرقد فى فراشى أغمغم وأحك ذقنى جاءت الآنسة كادو وعرضت على أن تحلق ذقنى ، فسألتها بجفاء : «من أين لك بشفرة الحلاقة ؟» ، ثم شعرت بالخجل لخشونتى فى الحديث معها ، ولما كنت أرغب فى التخلص من لحيتى ، فقد استطردت بلهجة أكثر لطفاً : «لو تفضلت بحلاق ذقنى فسأكون مديناً لك بالشكر» .

كانت الآنسة كادو قد حولت مقص قديم إلى موس حلاقة ثم انهمكت فى

العمل ، وكان على أن أتحمل ألم الحلاقة بهذا المقص ، وشجعتني شعرات ذقني التي أخذت تتساقط على التذرع بالصبر ، ولكن الآنسة كادو عانت الكثير بسبب عدم صلاحية المقص فى هذا العمل ، ولطول لحيتي ، ويبدو أن بقية المرضى الذين كانوا معى فى القاعة لم يستريحوا لمتابعة عملية الحلاقة فقد كنت أتأوه من حين لآخر ، وأطلب من الآنسة كادو أن تتوقف ، بينما هى تطيب خاطرى بقولها : « أصبر قليلا » .

حضر الكابتن فوجى هارا لزيارتى وهو صديق قديم من بلدتى أوكاياما تخرج فى كلية البحرية بايوا كونى[1] ، وترقى حتى أصبح قائداً لسفينة حربية ، وقبل أن تغرق سفينته كان يزورنا كلما ألقى مراسيها بقاعدة كورى[2] البحرية ، وكان دائماً يخبرنى بكل مايتعلق بسير الحـــرب فيما لا يتجاوز نطاق السرية العسكرية ، وعندما كنت ألاحقه بالأسئلة حول تلك الموضوعات كان كثيراً مايلوح بيديه ويضحك ، وكنت أكن احتراماً كبيراً للكابتن فوجى هارا وأرى فيه ضابطاً شاباً ذا مستقبل مرموق .

اقترب فوجى هارا من فراشى وقال : « يادكتور هاتشيا أنني سعيد جداً أن أراك وزوجك على قيد الحياة ، ترى أى تجربة تلك التى اجتزتموها ؟ » .

فأجابت زوجتى : « أنها مفاجأة سارة أن نراك ، كيف استطعت أن تنجو من « البيكادون » فرد عليها بقوله : « لقد كنت أتلقى تدريباً فى أيوا كونى عندما سمعت « الدون » فنظرت إلى الشرق تجاه هيروشيما ، ورأيت دخاناً كثيفـــاً يتصاعد مثل المطر الغزير ، وقدرت أن المدينة قد قصفت » .

---

(١) أيوا كونى قاعدة بحرية كانت بها قاعدة جوية أيضاً تقع على بحر اليابان على بعد ٣٠ ميلا الى الجنوب الغربى من هيروشيما .

(٢) كورى قاعدة بحرية كبيرة على بحر اليابان تقع على بعد ٢٥ ميلا الى الجنوب الشرقى من هيروشيما .

وقبل أن يكمل الـكابتن فوجى هارا كلامه قاطعته زوجتى قائلة: « لقد كان الخوخ الذى أحضرته لنا من أوكاياما فى اليوم السابق على (البيكا) حلو المذاق ، لقد أكل كل منا ثمرة واحدة منه ، ثم احتفظنا بالباقى ، ولـكننا فقدناه فى الحريق ضمن ما فقدنا من أشياء أخرى » .

فسألها الـكابتن فوجى هارا : « أين كنت عندما حدث الانفجار ؟ » .

فأجابت : « كان الدكتور يستريح بغرفة المعيشة ، وكنت أقف فى المطبخ بجوار النافذة الزجاجية وهذا هو ما أصابنى » . وأشارت زوجتى إلى الجروح التى سببها لها الزجاج المتطاير .

كان الـكابتن فوجى هارا قد عرج على بيتنا لزيارتنا فى طريق عودته من أوكاياما فى اليوم السابق على القصف ، واحضر لنا سلة مملوءة بالخوخ الذى تشتهر به محافظة أوكاياما ، وقضى الليل عندنا ، وغادر البيت فى صباح اليوم التالى بسرعة دون أن يغسل وجهه ليتمكن من اللحاق بأول قطار متجه إلى إيوا كونى ، وتذكرت الخوخ فسال لعابى بمجرد تذكرة .

علق الـكابتن فوجى هارا على حديث زوجتى قائلا : « إن فقد الخوخ شىء بسيط ، فبقاؤكما على قيد الحياة فى حد ذاته معجزة ، فإن انفجار قنبلة ذرية شىء مهول » .

فانتفضت جالساً فى فراشى صائحاً : « قنبلة ذرية ! ماذا؟ ! أهى تلك القنبلة التى سمعت أنها تستطيع أن تفجر (سايبان) بما لا يزيد عن عشر جرامات من الهيدروجين » .

فأمن فوجى هارا على كلامى وقال : « أنه صحيح ، لقد علمت ذلك من مستشفى البحرية فى ايوا كونى ، أنهم يدرسون إمكانية معالجة بعض ضحايا هيروشيما الذين يعانون من مرض غامض » .

ولأن فوجى هارا ليس طبيباً فإنه لم يستطع أن يخبرنا عن كنه هذا المرض، ولكنه أكد أن من بين أعراضه نقص فى عدد كرات الدم البيضاء ، وظننت بينى وبين نفسى أن فوجى هارا قد تلقى معلومات غير صحيحة حول حادث القصف ، ولكن عندما قال ذلك حرصت على الاستماع إليه باهتمام ، فأخذت أحثه على ذكر المزيد من التفاصيل ، ولكنى لم أستطع أن أعرف منه أكثر من ذلك ، ولم يحدعن رأيه فى أن ضحايا القنبلة الذرية الموجودون بمستشفى أيوا كونى يعانون من نقص فى كرات الدم البيضاء . وقبل أن يتركنا فتح حقيبته وأخرج زجاجة من الويسكى وبعض السجاير ، وقال لنا بلهجة اعتذار أن هذا شىء بسيط ولكن من الصعب الحصول على مثل هذه الأشياء اليوم .

وبعد أن تركنا الكابتن فوجى هارا ، قررت أن أحاول الحصول على مجهر لأتأكد من صحة ماذكره لى . ولكن الحصول على مجهر كان أمراً آخر ، فإن جميع مجاهر المستشفى كانت عديمة الفائدة ، فقد تحطمت عدساتها ، وكسرت حواملها ، وتذكرت أن الدكتور مورى سوجى يحتفظ بمجهر داخل خزانة المستشفى ، وحين ذهبت لإحضاره وفتحت الحقيبة التى كان بداخلها وجدته محطماً ، كما اكتشفت فيما بعد أن جميع أجهزة كرات الدم قد تحطمت كذلك وأيقنت أننى إذا كنت بحاجة إلى مجهر فإن على أن أحصل عليه من خارج هيروشيما .

أما حالة دكتور ساسادا فكانت تنتقل من سيء إلى أسوأ ، وازداد وجهه تورماً حتى بدا مثل الفطائر ذات السطح اللامع ، وقد غطى بمسحوق أبيض ، وأخذ الصديد الدموى ينضح من ضمادات يديه وجبهته ، وكانت الآنسة سوسوكيدا تعانى نفس الشىء رغم أن يداها لم تكونا متورمتان بدرجة كبيرة ، ولكن وجهها كان يشبه قناع المهرج ، أما السيد شيوتا الذى أدخل إلى المستشفى خلال الليل فكان يبدو كغريق ظل فى الماء وقتاً طويلا ، فوجهه متضخم ،

وأطرافه متورمة ، وكان يتنفس بصعوبة بالغة ولا يوجد بين هؤلاء من يعانى حروقاً بالغة سوى الآنسة ياما التى احترق أكثر من نصف جسدها ، وبدت كأنها دمية متسخة فوق كومة من القمامة ، فحالتها ميئوس منها إلى حد ما ، أما حروق الآنسة أوموتو فلم تكن على درجة من الاتساع كحروق الآنسة ياما ، ولكنها كانت أعمق فتجاوزت الجلد وأتلفت العضلات .

كان هؤلاء جميعاً أسوأ حالا من الآنسة ساساكى ومن زوجتى ، وقد أطلقنا على الآنسة ساساكى اسم « موموتشان » لأن خديها كانا مشربان بالاحمرار مثل الخوخ ، وقد أصابها جرح برأسها ، ولكنها الآن آخذة فى التحسن . أما زوجتى التى كانت تعانى حروقاً متوسطة الدرجة وتهتك ببعض مناطق الجسم فكانت تخطو نحو الشفاء ، وقد أصبحت قبيحة الصورة بدون حواجبها ، وكانت ذراعها لاتزال معلقة برقبتها ، ولكنها تصر أنها بخير .

أما الدكتور كوياما الذى عمل كنائب لمدير المستشفى منذ وقع « البيكادون » فكانت رأسه وذراعه لاتزالا ملفوفتان بالضمادات ، وأولئك الذين أصيبوا بجروح فى عنبرنا كانت حالتهم آخذة فى التحسن ، أما أولئك الذين أصيبوا بحروق فكانت أحوالهم تزداد سوءاً .

ولم يسترح ضميرى لما أصاب الدكتور ساسادا ؛ فإذا لم يحاول حمايتى على نحو ما فعل لنجا مما أصابه ، ولن أنسى أنه عالج الكثير من المرضى قبل أن يكتشف أن جراحه بالغة الخطورة ، وها أنذا أتماثل للشفاء بينما حالته تزداد سوءاً .

جاء الدكتور ساساكى من مستشفانا بأوساكا ليحل محل الدكتور نوريكا ، وهو أيضاً من أحسن العاملين بتلك المستشفى ، وقد برهن على أنه خير خلف الدكتور نوزيكا ، ولسنا مدينين لهذين الطبيبين بعنايتهما الفائقة للمرضى فحسب ، بل نحمد لهما توفير الإمدادات الطبية ، ومدنا بمجموعة من المعاونين الذين حضروا معهما .

وزارتنا فيما بعد السيدة شيما عمتى التى تقيم فى سايجو ، وقالت لى ولزوجتى باييكو : « لماذا تبقيان هنا ؟ ، أن لدينا مكاناً لكما فى منزلنا ، وعمكما يصر على على أن تعودا معى إلى البيت » . وكان قد سمع صوت الانفجار فى سايجو على بعد أميال عبر الجبال التى تقع وراء هيروشيما ، وقالت أنهم سمعوا بعد ذلك أن هيروشيما قد قصفت ، ولم يكترثوا للأمر ، ولكن عندما أبلغوا أن عليهم تدبير أماكن لإيواء الجرحى الذين ستحملهم العربات إلى المدينة شملتهم جميعاً حالة فزع ، وكانت عمتى هذه كالفونوغراف الذى لايتوقف أبداً ، وسألتها عن ابنها ايزو فتوقفت طويلا قبل أن تجيب : « آه لقد عاد إلى المنزل سالماً دون أن يصاب بخدش وكان الوقت ليلا ، ولم يمكث طويلا ليقص علينا كيف عاد وأى طريق سلك ، وفى اليوم التالى عاد إلى هيروشيما أنك تعرف السيد واطنابى الذى يعمل بمتجر زوجى وابنه ، حسناً لقد اصابتهما حروق امام محطة هيروشيما ، وحالتهما سيئة لدرجة يصعب معها عمل شىء من اجلهما » .

ورغم ثرثرتها التى لاتنتهى فقد سعدت لرؤيتها على الأقل حين عرضت على ان تأخذ باييكو معها ، فإذا لم يكن باستطاعتى الآن ان ألبى دعوتها فقد اصبحت اعرف اين ارسل باييكو بمجرد ان تسمح حالتها الصحية بالسفر .

وعندما هدأ كل شىء شرد فكرى مرة اخرى إلى حديثى مع الكابتن فوجى هارا ، أن التفكير فى ان هيروشيما قد قصفت بقنبلة ذرية مسألة جديرة بالاهتمام ، وقد أنهيت خبرها إلى كل من رأيتهم .

وقبيل المساء قمت بجولات بين المرضى فى الدور الأرضى ، وكانت حالة المرضى المصابين بالحروق تماثل حالة أولئك الذين يرقدون فى الطابق العلوى ، أما الذين كانوا يشكون من قبل من فقدان الشهية والغثيان والقىء والاسهال

الدموى فقد كانت حالتهم آخذه فى التحسن ، بينما ساءت حال اثنين أو ثلاث من المرضى الذين كانوا يشكون من أعراض نزلة معوية ، ولم تكن جروحهم البالغة أو إصاباتهم ذات علاقة بتلك الأعراض ، وينطبق ذلك على أعراض جديدة بدأت تظهر على الجرحى وغير الجرحى على حد سواء ، فقد كان الكثيرون يشكون من قرحة كريهة مؤلمة تنزف فى أفواههم وحناجرهم ، وكان الجميع يعانون من الحمى ، ولكن لم يكن باستطاعتنا تقدير درجات حراراتهم لعدم وجود ترمومترات لدينا ، كانت جراحهم آخذة فى الالتئام ، فيما عدا أولئك الذين أصيبوا بكسور مضاعفة ، فقد أخذوا ينزفون ، وكان من الضرورى أن تجرى عمليات بتر الذراع أو الرجل لبعض المرضى للحيلولة دون حدوث نزيف دموى لهم .

وآلمتنى إمرأة عجوز رأيتها فى تلك الجولات لأنها أخذت تطلب منا أن ننهى حياتها ، لم تكن مصابة بجروح ، كما لم تشك ألما ، وكان الجميع يعملون على راحتها احتراما لسنها ، غير أنها كانت تطلب من كل من يقترب منها أن ينهى شقاءها فتقول بصوت خفيض متواصل : « أرجوكم دعونى أموت ، إذا لم يأت بوذا إلى فأرسلونى إليه ، دعونى أزور بوذا ، أرجوكم ، دعونى أرقد إلى جواره » . كان أفراد عائلتها قد قتلوا جميعاً فأصبحت وحيدة فى هذا العالم ، ولكن آخرين فى مثل حالتها كانوا صامدين فى مواجهة الظروف .

وفى الممر شاهدت السيد كيتاء والذى كان يعمل فى مكتب العمل مع السيد سيرا ، كان فراشه بالطابق العلوى ، ولكنه كان يذهب ويجىء بصورة يبدو معها مشغولا ، فعجبت لذلك ، غير أنى علمت أنه يشرف على محرقة المستشفى ، وبينما كنت أتحدث معه جاء المستر يامازاكى يستعلم عما إذا كانت المحرقة جاهزة للعمل فى الليل ، فأجاب السيد كيتاء و : « كل شىء جاهز » ، ثم استدار نحوى وقال : « يادكتور هاتشيا أرجوك إذا لم يكن لديك مانع أن تحضر لترى كيف نقوم بحرق الجثث ، لقد قمت بهذا العمل كثيراً « أننى خبير به » .

وضايقني أسلوب السيد كيتاءو الفاتر ، ولكني لم أعلق على كلامه وأومأت برأسي مشيراً إليه بأن يدلني على الطريق ، كانت المحرقة تقع على بعد ثلاثين متراً خلف سور المستشفى بجوار حمام خارجي ومضخةمياه كان يستعملها موظفي المستشفى ، وأحضرت جثة المريضة التي ماتت خلال الليل من المشرحة ، وقد استخدم السيدان كيتاءو ويامازاكي أحد الأبواب كنعش لحمل الجثة ، وسجيت الجثة فوق بعض حطام المكاتب وصناديق البضائع وبعض المواد الأخرى التي يمكن إشعالها ، وغطيت الجثة بلوح من الزنك ، ثم أشعلت النـــار ، وما كادت ألسنة اللهب تتصاعد حتى وجدت نفسي أعقد يدي تحت ذقني مصليا بطريقة عفوية من أجل الميت . إن المرء لا يستطيع أن يقبل مواجهة حرق الجثث دون اكتراث ، إذا تذكرنا أن الكثيرين قد ماتوا بمعدلات تفوق الحد الطبيعي ، غير أنهم لم يلقوا الخدمة الجديرة بالموتى ، فلم يكن هناك كاهن يتولى الصلاة على هذه الروح التي رحلت ، وضايقتني هذه الحقيقة كثيراً ، وقطع حبل أفكاري صوت صادر من الحمام يسأل السيد كيتاءو : « كم جثة حرقتها اليوم ؟» فأجاب : « واحدة فقط » . فقلت لكيتاءو وقد عجبت لهذا الأمر : « هل حرق الجثث أصبح أمراً عاديا حتى أن المرء يستطيع أن يستحم بجوار المحرقة ويسأل مثل هذا السؤال ؟ » فأجابني السيد كيتاءو بنبرة إعتذار : « نعم أعتقد أننا أصبحنا قساة القلوب » .

وكنت على وشك أن أقول أنني لم أكن أتصور أن الناس جميعاً قد أصبحوا قساة إلى ذلك الحد ، ولكني أمسكت عن ذلك ، فقد تذكرت أن الذين يموتون بمستشفى المواصلات يتمتعون على الأقل بميزة حرق جثثهم على انفراد ، على عكس أولئك الذين كانوا يموتون في الأماكن الأخرى .

كانت تربطني صلة وثيقة بالمريضة التي أحرقت جثتها هذا المساء فقد كانت هيروشيما منطقة عسكرية لسنوات طوال ، وكانت هذه المرأة المسكينة أرملة

ضابط متقاعد ، كان كغيره من الضباط لا يشعر بالسعادة إلا حين يسمع صوت الطلقات النارية ، وحين يستعرض الجنود ، ويسمع دقات الطبول ، وصوت البروجى ، وكانت هيروشيما منطقة محببة لأولئك الرجال ، وكان يسكن بجوار مستشفانا مجموعة من ضباط الجيش وموظفى الحكومة المتقاعدين ، أما تلك المرأة فكانت تتمتع بحب جيرانها واحترامهم ، واعتبرها جنود الفرقة الثانية جدة هيروشيما ، وكانت تنمق معاشها الكبير ومدخراتها لمعاونة هذا الجندى أو ذاك وتركت ملامحها المستديرة غير المميزة إنطباعات محببة عند الجيران وبين عنابر مستشفانا . كانت كثيراً ما تبعث البهجة فى قلوب المرضى الذين يعـــانون من المرض والوحدة ، وكانت بمثابة القائد لجيش صغير من أرامل رجال الجيش اكتسبت شعبية بالغة ، حتى معسكرات الإعتقال كانت مفتوحة أمامها ، وكثيراً ما قصدتها لزيارة المعتقلين هناك ، وكان أكثر الجنود قسوة يصبح أمامها طفلا وديعاً ، وقبل أن تلفظ أنفاسها الأخيرة تذكرت كل ذلك وأنا أقف بجوارها ، أحاول أن أسرى عنها ، ولم يكن باستطاعتها أن ترانى لأن جفونها كانت متورمة وعيونها مغمضة ، غير أنها ميزت صوتى قلت لها : « أيتها الجدة أن أصدقاءك بجوارك ، كانت هيروشيما خير مكان يمكن أن نعيش فيه لأنك كنت تفكرين فى الناس قبل أن تفكرى فى نفسك ، أن الموت يقترب . ولكنك يجب أن تتصرفى كجندى شجاع ، انك تموتين ميتة كريمة لأن الجروح التى أصابتك كانت أثناء أدائك للواجب » .

ولفظت السيدة العجوز أنفاسها بهدوء ، والآن وأنا أنظر إلى وجهها كنت أسأل نفسى عما إذا كانت هناك جدة أخرى يمكن أن تحل محلها .

عدت إلى المستشفى وكان من العبث أن أفكر بالنوم فقد كنت مكتئبا وكان الجو هذه الليلة حاراً والهواء ساكنا ساخنا شديد الرطوبة ، لأن النسمة التى كانت تهب من البحر فى المساء لم تعرف طريقها إلينا تلك الليلة ، ولم يعرف

جسدى طوال اليوم حتى هذه اللحظة سوى الرطوبة والعرق ، فأحسست بالاشفاق على الرجال الذين عليهم أن يعملوا فى هذا الجو الخانق ، ولم يذق أى من رفاق فى القاعة للنوم طعما ، ولذلك كنت أسمع أحاديثهم وسط الظلام فسألتهم: «لماذا كان عدد الناس فى الشوارع محدوداً اليوم ؟».

وأجاب أحدهم : « ربما لأن اليوم هو يوم الأحد » .

فتعجبت واستطردت قائلا : « يوم الأحد إننى لم أكن اعتقد ذلك ففى غيبة التقويم تتساوى الأيام مع بعضها البعض » .

وقال صوت آخر : «ليس يوم الأحد سبباً كافياً لأن يكون الناس على هذه الدرجة من القلة ، فقد قال لى البعض أن أولئك الذين جاءوا إلى هيروشيما بعد (البيكا) قد مرضوا ومات بعضهم» .

وارتفع صوت آخر يؤكد ماقاله صاحب الصوت الأول : « اجل لقد سمعت شائعات أن غازاً ساماً قد اطلق على هيرشيما ، وأن هذا الغاز يقتل كل من يستنشقه » .

واشترك آخرون فى المناقشة فلزمت الصمت ، وأخذت استمع لهم وأفكر فيما يقولون .

كانوا يؤكدون أن غازاً ساماً أو جراثيم مهلكة قد أطلقت على هيروشيما ، وحاولت أن ابعد هذه الأفكار عن رأسى ، ولكن هذه الإشاعات تدعوا للازعاج ، وربما كان الذى قصفت به المدينة هو قنبلة غاز سام ، فاننى أذكر أن هناك من ماتوا فى خلال يومين أو ثلاثة بعد أن كانت تبدو عليهم علامات الصحة قبل ان يشكوا من المرض .

وتذكرت الأشخاص الذين ماتوا وهم يمرضون المصابين ، وسمعت عن

أناس كانوا موجودين خارج منازلهم عندما وقع الحادث وماتوا رغم أنهم لم يصابوا بجروح ، بينما ظل اولئك الذين كانوا داخل المنازل واصيبوا بجروح بالغة على قيد الحياة ، فإذا كان ثمة غاز سام قد استخدم ضد المدينة لمات الجميع ، أن الذى أدى إلى وفاة هؤلاء الناس لا يمكن أن يكون غازاً ساماً ، لكن من السهل أن نرى كيف تنتشر الإشاعات . وكلما ازداد تفكيرى ازددت حيرة ، وبقيت على هذه الحال حتى غلبنى النعاس .

١٣ أغسطس ١٩٤٥

يوم آخر شديد الحرارة ، ساطع الشمس .

بعد الإفطار استعرت دراجة ومضيت بها قاصداً إدارة المحافظة ، فكانت رحلتى هذه المرة مختلفة عن تلك التى رافقنى فيها الدكتور هينوئى ، لأننى كنت أقوى وكانت جراحى لا تؤلمنى كثيراً ، جميل أن يشعر المرؤ بالتحسن ، وأن يجد نفسه فى غير حاجة إلى معاونة أحد . كانت الأسلاك الكهربائية والعقبات التى عاقت الطريق أول أمس لا زالت موجودة ، ولكن أكوامها كانت أقل ارتفاعاً من ذى قبل . فحصت فى الطريق عربة ترام محطمة ، واكتشفت بدهشة بالغة أن محركها شديد البساطة ، ولكن حب الاستطلاع ذابلنى عندما وقعت عيناى على بقايا جسد متفحم مكوم فى أحد أركان العربة ، فقد جعلنى هذا المشهد أحس بالذعر ولم أستطع أن أتمالك نفسى إلا عندما بعدت كثيراً عن موقع عربة الترام .

ولما كنت قد سمعت أن القنبلة سقطت بالقرب من مدخل هيكل جوكوك فقد اتجهت إلى المكان ودهشت حين وجدت مدخل الهيكل (تورى) لا يزال قائماً ، كما أن الميدالية المدلاة من وسطه كانت فى موضعها ، أما بقية الأشياء فى المنطقة المحيطة بالمكان فكانت إما محطمة أو مدمرة .

أما جسر إيوئى[1] الذى كان مشيداً من الصلب على أحد فروع نهر أوتا فكان معوجاً ومتداعياً ، حتى أن سطحه المقوى بالمسلح تشقق وسقط فى النهر ، وبلغ من تشققه وتحطمه حداً جعل أنقاضه تترك فى قاع النهر حفراً ضخمة ، وكان منظره على هذا النحو يبعث على الأسى لأن هذا الجسر الجميل كان أحد معالم المدينة .

وفيما وراء الجسر على الضفة الشرقية للنهر كان يقع متحف العلوم والصناعة بقبته البرونزية ، وهو مبنى كان يرمز إلى الإسم الشاعرى لهيروشيما «ميزنوميياكو» (مدينة الماء) كان من أجمل بنايات هيروشيما ، وقد طارت قبته البرونزية ، وتشرخت حوائطه المشيدة بالطوب والحجارة ، وتداعت دعائمه ، وقضت النيران على محتوياته ، وتوقفت قليلا لاستطلاع آثار الدمار التى أصبحت شاهداً على ما حدث للمدينة البائسة وشعبها التعس .

عدت أدراجى متتبعاً خط الترام حتى وصلت إلى إدارة المحافظة ، وكان الدافع إلى قدومى إلى المحافظة هذا الصباح استطلاع الأخبار ، ولذلك كانت أذناى تصغيان لكل ما يقال بمجرد وصولى إلى المكان .

كان عدد العاملين بالإدارة قد ازداد عما كان عليه أول أمس ، وكان بين العاملين الجدد بعض الوجوه المألوفة لى ، وبعد أن تبادلنا التحيات طلبت مقابلة الدكتور كيتا جيما ، فقادونى على الفور إلى مكتبه ، وبعد أن شكرته على استجابته السريعة لطلباتنا وإمدادنا بالأطباء والممرضات ، سألته عن إمكانية حصولنا على المزيد من الإمدادات الطبية ، غير أنى رأيته مكتئباً ، فسألته وقد انتابنى شعور بالخوف من احتمال أن تكون الأنباء التى سأسمعها منه غير سارة : « هل

---

(١) جسر أيوئى يمر فوق نهر أوتا بمنطقة وسط المدينة وكان فى مركز القصف تماماً ويعتقد أن القنبلة قد انفجرت علي بعد ٥٠ مترا الي الجنوب الشرقي من موقع الجسر .

حدث شيء ما ؟ » . فأجاب الدكتور كيتا جيما : « لا شك أنك علمت أن قنبلة ذرية قد أسقطت على هيروشيما ، لقد علمت أن أحداً لن يستطيع الإقامة فى المدينة خلال الخمسة وسبعين عاماً القادمة » . فأجبته مبرراً تشاؤمه : « لقد ماتت إحدى مرضاتنا فجأة بالأمس » .

وبعد أن انتهى حديثى معه ضايقنى أن أتأكد من صحة ما اعتقدت أنه كان أشاعة سخيفة بالأمس ، لقد كنت بالأمس وبعد حديثى مع الكابتن فوجى هارا عاقداً العزم على أن أحتفظ بهدوئى مهما كانت الأخبار التى أسمعها ، والآن وجدتنى فجأة أصل إلى استنتاجات دون أن تتوافر لدى معلومات كافية حولها .

وحاولت أن أغير مجرى الحديث ، فسألت الدكتور كيتا جيما : « وماذا عن أخبار الحرب فى منشوريا ؟ » فأجاب : « إن الأمور لا تسير على مايرام ، والعدو أصبح الآن فى كوريا » .

وتركت إدارة المحافظة مكتئباً وحيداً ممتلئاً بالشكوك ، وعدت إلى المستشفى لأخفى ضيقى ويأسى .

ترى ماذا أصنع مع المرضى ؟ وماذا سيكون الأمر بالنسبة للعاملين معى وعائلاتهم ؟ ! هل سأخبرهم بحقيقة الأمر حتى يهربوا ولا أصبح مثقل الكاهل بالمسئولية ؟ وبعد أن فكرت ملياً وصلت إلى قناعة بأن فرارهم لن يجدى نفعاً .

وقلت لنفسى : « فكر فى الأيام التى مرت منذ وقع (البيكا) ، لقد مضى أكثر من أسبوع ولم يمت أحد فيما عدا تلك الممرضة ، وجروحى تلتئم ، وأشعر بالقوة تسرى فى بدنى يوما بعد يوم ، فمن المحال أن نصدق أن هيروشيما لا يمكن أن يسكنها أحد لمدة ٧٥ عاما ! مثل هذه المعلومات لا يمكن أن تكون

صحيحة ، لعلها دعاية قصد من ورائها العدو أن يفت في عضد أناس أصبحوا الآن عزل من السلاح . إن تصـــديق هذا الأمر من التفاهة بمكان فهأنذا أتحسن يوما بعد يوم ، على الرغم من وجودي بالقرب من مركز البيـكا ، أثرثر وأتـكلم دون أن يبدو على شيء غير طبيعي » . واستعدت تدريجيا رباطة جأشي .

لا يوجد شيء في الدنيا أقل استقراراً من فكر الإنسـان وخاصة عندما يكون الذهن مكدوداً ، وبغض النظر عن الاتجاهات التي تأخذنا إليها أفكارنا ، فإن الذهن يظل نشيطا متوقداً يفكر ببطء أحيانا وبسرعة البرق أحيانا أخرى، وكانت القوة والضعف تختلطان في ذهني وكذلك التماسك والتمزق ، وكنت أقول لنفسي :«إذا كان يجب أن تموت فعليك أن تموت ميتة الرجال». وكنت أتفحص جسدي فلا أجد أي عضو فيه تبدو عليه علامات الموت ، فيقول لي الجانب الصلب في نفسي : « حتى الآن أنت بخير ، ولا زلت حيا ، دعك من هذا كله واسترح قليلا ، ودع ذهنك يرتاح» . إذا تغلبت القوة الكامنة في على عوامل الضعف تمتعت بالهدوء حتى يرفع الضعف رأسه من جديد .

كان هناك شخصا ملتحيا يقف بالقرب من باب القـاعة ، ويجول ببصره داخلها ، واستقرت عيناه ، أخيراً على ، فاقترب من فراشي ، وأخذ يحك هذا الغريب لحيته ويحملق بعينيه ثم يغمضهما ، وقد بدا الشحوب على وجهه ، كان هذا الرجل الغريب هو السيد كاجي تاني رئيس مكتب صغير للبريد بإقليم ياماجاتا ، كنت قد زرته منذ سنوات عندما كان مريضا ، وتوليت علاجه ، ولم أستطع أن أفهم سبب وجوده سوى أن يكون قد جاء للاطمئنان على صحتي وحين أيقنت أن مثل هذا الرجل صاحب القلب الطيب قد جاء من ذلك المكان البعيد تاركا بيته وأولاده ليراني أحس قلبي بالارتياح .

كان الحديث صعبا مع السيد كاجي تاني ، وكلما حاول أن يعبر عن استعداده

للمساعدة كان يبدو عليه الارتباك ، وأخيراً وضع فى يدى صندوقا للطعام (بنتو) وأصر أن آكله عن آخره ، كان هذا البنتو يحتوى على وجبة شهية عبارة عن كرات من الأرز المطبوخ بكل كرة منها إحدى ثمار البرقوق الحمراء .

زارنى الدكتور هورى اليوم وهو من إقليم سان إن الذى يقع إلى الشمال الغربى من هيروشيما ، ودهش كغيره حين رأى حجم الدمار الذى لحق بالمدينة، ولم يكن يتوقع حدوث مثل ذلك .

وبعد انصراف الدكتور هورى نزلت إلى الطابق السفلى فوجدت المرضى يتناقشون فى الإشاعات التى سمعتها بإدارة المحافظة ، ولكن لم يبد عليهم التأثر بتلك الإشاعات .

فهناك من يقول منهم : « ما هذا الهراء ! كيف يقال إن هيروشيما لن تصلح للسكنى خلال الـ ٧٥ سنة القادمة ؟ » .

وكانت حالة الدكتور تشودو طبيب الأسنان أسوأ من ذى قبل ، حتى أنه لم يستطع التعرف على ، ولم تكن عبارات المواساة التى قلتها له ذات قيمة . وعلمت أن السيدة يوشيدا التى كانت ترقد بالطابق الثالث من مبنى المصلحة تنتقل حالتها من سىء إلى أسوأ ، فذهبت إلى غرفتها متوكئا على عصا حيث كان الوهن لا يزال يدب فى أوصالى ، وقدمنى لها السيد يوشيو رئيس الشئون العامة ، وعلمت أنها أصيبت بمنزلها الذى يقع بكوماتشى ، وهى ضاحية صغيرة إلى الجنوب الشرقى من هيروشيما ، وكانت تعانى جراح بالغة نتيجة الزجاج المتطاير الذى أصابها فى ذراعيها ، ولم يكن كل جرح من جروحها يزيد طوله على ٥سم، ولكنها آخذة بالالتئام ، غير أنها كانت مكفهرة الوجه ، وقد اكتست بشرتها ببقع زرقاء ، وتبدو شديدة الإعياء ، وبالإضافة إلى ذلك كان نبضها ضعيفا ، وتشكو التهابا بالحلق ، وإن كانت لا تبدو عليها أعراض الإسهال الدموى ،

ولم أستطع أن أجد شيئا غير عادى فى حلقها وفمها سوى ورم بسيط . كنت فى حيرة لا أستطيع تشخيص حالتها ، وحين سألنى السيد يوشيو عن رأيى حاولت التملص من الموقف ، وقلت له : « ليس ثمة ما يدعو إلى الخوف ، وحالتها ليست سيئة ، ولكن عليك مراقبتها ! » كان ما قلته أقرب إلى كلام المنجم منه إلى كلام الطبيب الذى يجب أن يعرف تماما ما يفعله ، ولكن . . ترى هل كان باستطاعتى أن أقول أكثر من ذلك ؟

وعندما غادرت الغرفة تبينت أن السيد يوشيو كان يبدو أكثر مرضاً من السيدة يوشيدا ، وساءلت نفسى : « ترى من سيموت منهما قبل الآخر ؟ لقد بدت على الرجل أعراض الشيخوخة خلال العشرة أيام الماضية .

وبالقرب من مدخل مبنى المصلحة قابلت صديقاً قديما هو السيد كوباتا الذى كان يبحث عن أخيه منذ وقع « البيكا » على الرغم من كبر سنه ، وكان يحتفظ برصيد مدهش من الحيوية وتحدثنا معا لحظة فروى لى بعض ماشاهده فى المدينة ، ولكن إحدى تلك الروايات ظلت ثابتة فى ذاكرتى ، فقد قال لى : « رأيت أربعا من تلاميذ المدارس الإعدادية بالقرب من مركز التفجير فى تنجم ماتشى ، وكانت حروقهم بالغة ، وبدا عليهم المرض والتعاسة ، كانوا يجلسون فى دائرة صغيرة على جانب الطريق ، فسألت بعضهم عن منزله ، فأجاب بأن منزله كان فى ذلك الموقع ، وطلب منى أن أقول لأمه أو أخته إذا رأيتهما ألا يبذلا جهداً فى البحث عنه او عن اصدقائه لأنهم سيموتون ، واومأ الباقون برأسهم موافقين على كلامه ، وكانت حالة هؤلاء الأولاد محزنة للغاية ، ولم يكن باستطاعة احد ان يصنع لهم شيئاً ، وهكذا تركوا بلا مأوى تحت الشمس الحارقة يرقدون فوق التراب والحصى ، فاغرورقت عيناى بالدموع ، وسألنى احدهم ان ادبر لهم شيئاً يستظلون به ، فاستطعت ان احضر لهم بعض الحصير ، وحصلت من بعض الجنود على قطع من الواح الصاج ، وصنعت لهم مأوى ، وسألت احدهم عن مكان منزله ولكنه كان ضعيفا حتى انه لم يستطع ان ينطق سوى بكلمة « يا »

ولذلك لم اتاكد إذا كان يقصد « يانو » أو « ياجى » او « ياجا » ، وكانت معى بعض ثمار الطاطم فقطعتها وعصرتها فى أفواههم ، فكانوا يبتلعون العصير بصعوبة بالغة ، ولكنهم جميعاً كانوا يرددون عبارة « لذيذ .. لذيذ » ، ورجانى أحدهم أن أحضر لهم ماء ولما لم يكن لدى وعاء ، وعدتهم بأن أقوم بإحضار الماء فى قبعتى ، واستطعت أن أسقيهم ، وتركتهم بعد أن وعدتهم بالبحث عن مركز اسعاف يتولى علاجهم ، وكانت معى بعض أقراص من الجنتان[1] فأعطيتها لهم ، غير أنى لم أجد مركز اسعاف ، وبذلت أقصى جهدى فى البحث عن أخى طوال الليل ، غير أن صورة أولئك الأولاد التعساء لم تفارق ذهنى ، وعندما غادرت بيتى صباح اليوم التالى أخذت معى بعض الأشياء التى قد يكون أولئك الأولاد فى حاجة إليها ، وبحثت عنهم حتى وجدتهم ، وجدتهم جميعاً ولكن بعد أن فارقوا الحياة وقد تكومت جثثهم فى نفس الدائرة التى تركتهم فيها فى الليلة السابقة » .

وكانت لدى السيد كوباتا الكثير من الحكايات المشابهة .

وعندما عدت إلى فراشى وجدت المدير العام للمنطقة قد حضر لزيارتى للمرة الثانية منذ أصبت ، وأبدى ارتياحه لتحسن صحتى ، وحاول أن يبدو مبتهجاً متفائلا عندما أثرنا موضوع الحرب ، ولكنه قبل أن يتركنى اعترف أن فرصة اليابان الوحيدة فى كسب الحرب لن تتحقق إلا بالآلاف من الطائرات والقنابل الذرية ، ولم يكن لدى ما أعلق به على كلامه ، وسألته عما إذا كان باستطاعته أن يدبر لنا إمدادات طبية من الجيش الغربى ، فوعدنى بأن يبذل ما فى وسعه بهذا الصدد .

ودارت معظم أحاديث المساء حول الأفكار التى شاعت والتى تذهب إلى أن هيروشيما لن تصلح للسكن خلال ٧٥ عاماً ، وكانت هذه الإشاعة قد بدأت

---

(١) دواء شعبى يابانى له مذاق النعناع يعتقد فى قدرته على تطهير المعدة من الأمرا

شحظى بالتأكيد بالنظر إلى حالة الأشخاص الذين لم تبد عليهم أى إصابات ومع ذلك أخذوا يعانون سكرات الموت حين ظهرت عليهم أعراض النزيف الشرجى ونزيف الأنف والبصاق الدموى والقىء الدموى ، وظهرت البثور على شكل طفح جلدى فوق أجسادهم ، واتفقت غالبية القوم على أن سبب تلك الأعراض يرجع إلى أن ثمة غاز سام أطلق على المدينة ولا زال ينبعث من بين حطامها ، وعدلت عن استنتاجى الذى كنت قد توصلت إليه من قبل ، حيث كنت أظن أن حالات الوفاة هذه نجمت عن قنبلة جراثيم سببت الدوسنطاريا ، لأن عدد الذين كانوا يشكون من الإسهال والبراز الدموى كان يتناقص ، كما عدلت عن نظريتى السابقة التى قادتنى إلى الإعتقاد أن تلك الأعراض ترجع إلى حدوث تغير مفاجىء فى الضغط الجوى نتج عن الإنفجار الهائل الذى حدث .

كان الهواء ساكناً ساخناً رطباً ، وكان الحصير الذى أنام عليه ساخناً كذلك ، فأخذت أتصبب عرقاً ، وآلمنى رأسى وأحسست أن أذناى ساخنتان ، ربما كان بسبب إجهاد ذهنى بالتفكير .

وتنهــــدت وقلت « يا له من جو حاراً ! فأجاب الدكتور ساسادا وهو يلتفت نحوى : « انه حار أليس كذلك » ، أما السيد شيوتا الذى كان يرقد بالقرب منى فقد أكد وجهة نظرنا وكان قد استطاع أن يحضر ستارة من الورق نصبها حول فراشه لتقيه من حرارة الشمس فسألته : «أتشعر بالتحسن الآن؟» فأجاب شاكراً : « إننى أحسن من ذى قبل » ، فقلت : « ماذا تصنع خلف هذه الستارة الممزقة ؟ » فأجابنى ضاحكاً : «يا دكتور أيهمك أمرى إلى هذا الحد ؟» وسمعت صوت قهقهته وراء الستار ، كانت زوجة السيد شيوتا تضحك بجانبه ، كما سمعت صوت ضحكات فى المطبخ عند نهاية الممر ، وذهبت لأستطلع جلية الأمر ، فوجدت السيدة سائيكى العجوز والسيد ميزوجوتشى يتحدثان معاً ، فبادلتهما أطراف الحديث حتى ساعة متأخرة من الليل .

١٤ اغسطس ١٩٤٥

يوم آخر حار !

انطلقت صفارات الانذار فى الصباح الباكر ، وأخذ رجل من العاملين بالمصلحة ينطلق بين عنابر المرضى يعلن عن وقوع غارة جوية ، خشية ألا يكون بعضنا قد سمع صفارات الانذار ، ولم يحاول أحدنا أن يترك فراشه ، فاستلقى الجميع ساكنين ينظرون عبر النوافذ ، ولابد أن تكون قد دارت بخلد الجميع نفس الأفكار ، هل من الممكن أن يحدث ذلك مرة أخرى بعد كل ما خلفته تلك الغارة المشئومة من آثار ؟

وما هى لحظة حتى سمعنا أزيز الطائرات المزعج ، وعندما أخذ يتعالى صوتها توقعنا أنها قادمة من الجنوب صوب خليج هيروشيما ، وحاولت أن أرقبها من فتحة النافذة ، ولكن شخصاً بخارج المبنى رآنى وصاح بى أن أنزل إلى الدور الأرضى . وكان الصوت يملأنا إحساساً بالهزيمة .

وحاول المرضى القادرون على الحركة أن يلتمسوا ملجأ من الغارة ، أما العاجزون عن الحركة فقد ظلوا فى فراشهم ، وأحسست بالعجز عن صنع شىء لهم ، ولكن فكرة مرت بخاطرى ، وقد رأيت موظفى مصلحة المواصلات وعائلاتهم يرقدون فى الطابق الأرضى بمبنى المصلحة ، فأسرعت إلى البدروم حيث كان جمع كبير من المرضى يحتشد هناك ، ولم يكن بينهم أحـــد من العاملين بالمستشفى ، وأيقنت أن بقائى بين المرضى الذين يرقدون بلا حيلة فى العنابر يعطى مثلا سيئاً للمستشفى فإذا كان الموت سيزورنا مرة أخرى ، فان مكانى يجب أن يكون فى العنابر بين المرضى . فتركت البدروم وأخذت أحث كل من أقابله أن يسرع بالمعاونة فى حمل المرضى إلى البدروم ، وحملت معهم

كل من استطعنا نقلهم ، واتخذت من وسط المستشفى مقراً لى ، أما أولئك الذين ظلوا فى أماكنهم فكانوا ساكنين يحملقون عبر النوافذ وينصتون خائفين إلى أزيز الطائرات التى تعبر فوق المدينة .

وأخذت أرجلى ترتعش ، ففكرت — بطريقة لاشعورية — أن أحتمى خلف إحدى الدعامات القوية، ثم اهتزت الأرض فجاة ، وسمعنا صوت إنفجار القنابل المخيف،وصوت طاقات المدفعية المضادة للطائرات ، وأحسسنا بالراحة حين تبينا أن صوت القنابل وطلقات المدافع المضادة للطائرات كان يأتى من ناحية الغرب ، اصبح واضحاً ان هدف الغارة الجوية كان المطار الحربى بقاعدة ايواكونى البحرية .

وأخذ الصوت يتلاشى حتى اختفى نهائياً ، واستعدنا السكينة ، ولم يكن بيننا من لم يشعر بالإمتنان لأن حياته انقذت من جديد ، ورقدت فى فراشى قايلا والأفكار تتزاحم فى رأسى ، كم يصعب على الإنسان الذى نجا من الموت بمعجزة ذات مرة ان يواجه الموت مرة اخرى . فى يوم « البيكا » لم اكن افكر فى الحياة ، ولكننى اليوم كنت اتمنى ان اظل على قيد الحياة ، وكان الموت بالنسبة لى شيئاً رهيباً .

زارنى السيد ساساكى جارنا الذى يقع منزله فى مواجهة منزلى على الجانب الآخر من الشارع واحضر معه هدية من (الأيو)[١] ، ويمكن ان تتخيل مدى سرورى بهذه الهدية الثمينة ، فان طعم هذه الأسماك الصغيرة يبعث على

(١) الايو نوع من السمك المرقط الصغير يعيش فى المياه العذبة ويكثر وجوده فى ذلك الوقت من العام فى المجارى المائية التى تنتشر بالجبال .

الإرتياح . كان السيد ساساكى يعيش فى بيت احد اصدقائه فى ياماجوتشى حيث تقع الإدارة الصحية فى المحافظة عندما انفجرت القنبلة ، وكان محظوظاً حين استطاع الهرب من المنزل قبل ان ينهار سقفه ، واتجه بدراجته عبر الشوارع المظلمة فى منتصف الطريق إلى المدينة عندما وجد النيران تطوق المنطقة كلها ، وما كاد يصل إلى هاكوشيما حيث تقع المستشفى بالقرب من المنطقة التى كنا نقيم فيها وجد من المستحيل ان يواصل التقدم وسط النيران فلجأ كغيره من جيراننا إلى تلال اوشيتا ، وقد انهار منزله ساعة خروجى وزوجتى إلى الشارع فارين من منزلنا ، وقد لقيت والدة السيد ساساكى مصرعها تحت انقاض المنزل ، ولكن بقية افراد الأسرة استطاعوا الهرب رغم الإصابات التى لحقت بهم ، وإذا لم اكن قد اصبت ربما كان باستطاعتى ان انقذ والدته لأن البيت انهار تحت اقدامى . وقبل ان ينصرف السيد ساساكى أخبرنى ان بياناً هاماً سيذاع بالراديو غداً ، وان جميع المواطنين قد طلب منهم الاستماع إلى ذلك البيان ، فايقنا ان هذا البيان لابد ان يكون على درجة كبيرة من الخطورة .

اعد العاملون بالمستشفى مطعماً بالطابق الثانى بعد أن حولوا مخزن الصيدلية إلى حجرة لتناول الطعام ، وفى احد اركان الحجرة كانت لا تزال هناك كمية كبيرة من بيكربونات الصوديوم المحترقة كانت تضمها أكياس زنة كل منها خمسون كيلو جراماً ، وفى وسط الحجرة أعد مكان للطهى ، وكانت الوجبات تقدم فوق بقايا المقاعد والمكاتب والصناديق التى تناثرت وسط الحجرة ، وكان المرضى القادرون على الحركة يتناولون وجباتهم بانتظام فى اطباق تم تجميعها من خرائب البيوت ، اما المرضى الذين لم يكن باستطاعتهم الإنتقال إلى المطعم فقد كانت تنقل إليهم الوجبات فى فراشهم فوق الصوانى المحترقة .

تناولت طعام الغذاء ظهر اليوم مع زوجتى والآنسة كادو بمطعم المستشفى ،

ودار حديثنا حول (الأيو) اللذيذ الذى أحضره لنا السيد ساساكى صباح اليوم ، أما المرضى الذين لم يستطيعوا مغادرة فراشهم فكانوا يخدمون بطريقة خاصة فى مواقعهم ، وكان من عادتى أن أستريح قليلا بعد تناول الغذاء ،ثم أقوم بجولات لتفقد أحوال المرضى ، ولم تكن جولاتى هذه تشبه الجولات التى يقوم بها الأطباء فى المستشفيات الجامعية ، حيث يحيط بهم المساعدون والممرضات ، وتتبعهم العربة الصغيره التى تحمل الأدوية والمستلزمات الطبية ، فقد كنت أقوم بهذه الجولات وحيدا ، مرتديا بنطلونا قديما وقميصا ، لاتبدو على هيئتى سوى مظهر الطبيب المحترف ، ولم يكن ملبسى يختلف عن ملابس الآخرين بالمستشفى ، فقد كنا جميعا نرتدى ماتقدمه لنا إدارة الغوث بالمدينة ،ولم يكن ثمة داع للشكوى من تباين نوعية الملابس التى تقدم لنا . ولم تكن جولاتى هذه ذات قيمة طبية ، فلم يكن باستطاعتى أن اقدم للمرضى سوى الإبتسامات وعبارات المواساه للبعض ، وأمزح أحيانا مع البعض الآخر .

اعتدت أن أزور السيدة يوشيدا فى بداية جولاتى، وعندما أحنيت رأسى محييا حين كنت أقيس نبضها لم ترد تحيتى باحناء رأسها كما جرت العادة ، فلم يكن باستطاعتها أن تفعل ذلك ، وكان لهذا دلالة سيئة ، فقد تدهورت حالتها هذا الصباح ، وأصبح وجهها يجمع مابين اللون الأزرق واللون الرمادى .

زرت مرضى الطابق الأرضى حيث كان يرقد نحو خمسين أو ستين من موظفى مصلحة المواصلات وعائلاتهم ، ولما كنت أعرفهم جميعاً معرفة جيدة فقد كنت أحس بينهم أننى بين أفراد عائلتى ، وقد أعد الحصير الذى يرقدون عليه ليتسع لشخصين معا أو أربعة أو ستة أشخاص ولحسن الحظ كانت جروح معظمهم طفيفة ، ولذلك عاونونا فى تمريض أولئك الذين كانت حالتهم خطيرة، أما الفتاة الجميلة التى تحدثت عنها من قبل ، فكانت ترقد فوق حصير منفصل عن الآخرين ، ورغم أن حالتها كانت خطيرة فقد ابتسمت حين رأتنى مقبلا

نحوها ، وكانت شجاعة متفائلة على عكس غيرها من المرضى الذين كانوا أحسن حالا ، وحروقها لم تنجم عن البيكا ، ولكنها احترقت حين حاولت إنقاذ أفراد أسرتها الذين حاصرتهم النيران داخل المنزل ، وكانت لاتزال ترقد فى ضمادات ماطخة بالدماء والصديد ، وقد تلطخت ساقيها وفخذيها بالبول والبراز ، وقبل أن أغادر المكان أوصيت شخصا بالعناية بها وتوفير النظافة والراحة لها بقدر الإمكان .

وبعد ذلك فكرت فى إيجاد وسيلة لتغيير ضمادات مرضى الحروق الذين لم يكن باستطاعتهم العناية بأنفسهم ، وكان هذا العمل المؤلم الشاق يستغرق ساعة كاملة لتغيير ضمادات كل مريض ، وقد دفعتنا قلة الممرضات فى الأيام الأولى التى أعقبت القصف إلى وضع آنية كبيرة ممتلئة بالمحلول الخاص لتطهير الجروح بالقرب من مدخل المستشفى ، وثبتنا فوقها لوحات شرحنا فيها للمرضى كيفية استخدام هذا المحلول فى تطهير الحروق ، وكيفية تغيير الضمادات ، وكنا قد طبقنا هذا النظام فى اليوم التالى للقصف ، فكان الناس يقفون فى صفوف طويلة طوال النهار أمام آنية المحلول المطهر ينتظرون دورهم لينالوا نصيباً منه واستطعنا تجهيز ١٨٠ لترا من هنا المحلول يوميا ، ولذلك أصبح المرضى وزوارهم على درجة من المهارة فى تغيير الضمادات كل يوم ، لأننا نبهنا عليهم أنه إذا لم يتم تغيير الضمادات كل يوم فإن انتزاعها يصبح صعباً مؤلماً ويترتب عليه النزيف . واليوم كان هناك جمع كبير من الناس يقفون أمام آنية المحلول ، بينما تتعالى صرخات البعض حين يلامس المحلول جروحهم ، أما المرضى الذين كانت حروقهم بالغة فقد تولى أمرهم جهاز العاملين بالمستشفى .

وبعد مغادرتى مبنى الملحق اتجهت إلى المستشفى ، وكانت المرأة العجوز لازالت تجلس فى الممر ترقب الطريق تنتظر حضور شخص ما ، وحين رأتنى سألت بصوت ينضح بنبرات الحزن : « يادكتور لم يحضر أحد ليرانى فمتى

أستطيع أن أغادر المستشفى ؟ ». فقلت لها بنبرة رقيقة : « أيتها السيدة العجوز تذرعى بالصبر لا يجب أن نيأس من الحياة حين نصاب بالمرض » .

كان السير فى الممرات أسهل اليوم من ذى قبل لأن عـدد المرضى أخذ يتناقص ، ولـكن الـكثيرين كانوا لازالوا يرقدون فى دورات المياه أو تحت السلم ، ولذلك كان علينا أن نقوم ببعض الترتيبات التى تيسر نقل مثل هؤلاء المرضى إلى الطابق الثانى .

وبعد أن أنهيت جولاتى غادرت المستشفى للبحث عن قصرية لحتها بين حطام أحد المنازل أثناء تجوالى ، وبينما كنت أبحث عنها وجدت كميـة من الأطباق الصينية ولوازم المائدة فى مطبخ أحد المنازل المحترقة ، كما عثرت على ساطانيتان للأرز ، وساطور بدون مقبض ، فحملت كل ذلك إلى المستشفى ، وأهديته إلى السيدة سائيكى قائلا : « أيتها الجدة ، لقد عثرت على كنز منذ قليل ، هذه كمية من الصينى وجدتها بين حطام منزل ، فلماذا لا تـكلفى أحد الأشخاص بالبحث عن مثل هذه الأشياء ؟ لو فعلت ذلك لتوفرت لديك أدوات كثيرة للمطبخ ولحجرة الطعام » .

وخرجت مرة أخرى بحثا عن المزيد من الأطباق ، ونسيت كل شىء عن القصرية ، وبينما كنت أحفر وسط الرماد ، اكتشفت وجود الـكثير من قطع الصينى الذى كان فى يوم من الأيام فازات ثمينة ، كما عثرت على أكواب لتقديم الشاى فى حفـــلات الشاى اليابانية التقليدية ، وكثير من الأشياء الأخرى ، ولـكنها جميعا كانت محطمة لا يمـكن إصلاحها .

وحين أحسست بالتعب عدلت عن مواصلة البحث عن الـكنوز التى نحتاج إليها ، وأقنعت نفسى أن مثل تلك الـكنوز لا يمـكن العثور عليها بالبحث ، وإنما يعثر عليها بالصدفة .

كان رفاقى فى القاعة مشغولين بمناقشة ماذكره السيد ساساكى عن ذلك البيان الهام الذى سيذاع فى الغد ، ويحاول كل منهم أن يخمن فحوى ذلك البيان ، ورفضت الإشتراك فى تلك المناقشات ، لأننى أحسست أن هناك الكثير مما يجدر بنا الاهتمام به ، وأنه لامجال للتكهن بماسيحدث فى المستقبل ، وبالاضافة إلى ذلك لم يكن لدينا راديو ، فكنت أعد ذلك خيراً ، فنحن نعيش بدون مايسمى بمنافع الحضارة ، وقد جعلنى هذا أشعر بشىء من الحرية بصورة قد لايحس بها الآخرين الذين يتمتعون باستخدام التليفونات وأجهزة الراديو ويحصلون على الصحف اليومية ، ففقدنا لكل شىء خلال الحريق ، وتجريدنا من كل هذه الأدوات ، ليس شراً مطلقاً ، فقد أحسست بإلهام لم أكن أشعر به منذ زمن بعيد .

وقبيل المساء رأيت السيد مزوجوتشى يدخل غرفة الطعام حاملا شمعة موقدة ، فتبعته ووجدت السيدة سائيكى هناك ، واستمتعنا فى تلك الغرفة التى كانت تتراقص فيها الظلال مختلطة بالنور المنبعث من تلك الشمعة بالراحة وشعور الصداقة الذى يفتقده المرؤ فى العنبر الكبير المتسع المفتوح ، وجرنا الحديث كالعادة إلى (البيكا) ، ولما كان السيد مزوجوتشى يهوى الكلام فقد أخذنا نستمع إليه إذ يقول : « أيتها الجدة غيرت الريح اتجاهها عندما كنت فى حديقة المصلحة ، وأخذت كرات النار تتجه نحوى فهربت من الخوف نحو البوابة الخلفية للحديقة ، وكان معى بعض الفتيات ، واستطعنا بصعوبة أن نصل إلى ضفة نهر أوتا . لم أر فى حياتى مثل ذلك الحشد من الناس ، كان من الصعب على المرء أن يتحرك بسهولة بينهم ، كان كل منهم تقريباً يعانى حروقاً بالغة ، ويبدو منظرهم مزعجا ، وأحسست بالشفقة على إمرأة كانت عارية تماماً ، ثم التفت نحوى وقال : « لقد كنت أيضاً يادكتور هاتشيا عاريا أنك تستطيع التعاطف مع هؤلاء الناس ، واعتقدت أن هؤلاء الناس قد فقدوا ملابسهم أثناء محاولاتهم الخروج من تحت أنقاض المنازل فتمزقت تلك الملابس أثناء تلك المحاولات » .

وبينما كان يتحدث كانت السيدة سائيكي تحملق بعينيها وتومىء برأسها بين الحين والآخر وتند عنها كلمات تعبر عن التعجب . وسألني السيد ميزوجوتشي: « أين كنت يادكتور في ذلك الوقت ؟ » وكررت السيدة سائيكي نفس السؤال، فأجبتهم : « كنت بالمنزل ، وأعتقد أنني كنت مرتدياً ملابسي الداخلية ، ولكن عندما هربت من البيت لم يكن على جسدي شيء حتى سروالي كان قد اختفى كنت قد عدت من نوبة عمل في مركز الوقاية من الغارات الجوية انتهت في الرابعة صباحاً ، وبعدما تركت العمل ذهبت إلى منزلي لأنال قسطاً من الراحة ، ولأمر ما لم أستطع النوم ، فتمددت شارد الذهن في غرفة المعيشة ، وأذكر أنني سمعت صوت صفارات الإنذار يتردد ذلك الصباح ، وكنت أتأهب لارتداء ملابس الوقاية من الغارات الجوية عندما انطلقت صفارات الإنذار من جديد تعلن انتهاء الغارة » .

وقبل أن أكمل حديثي قاطعني السيد ميزوجوتشي بقوله : « أيتها الجدة ، أن ثمة خبرات خاصة يمر بها الإنسان بعد القصف تتصل بموضوع الملابس ، لاحظي ذراع الآنسة أوموتو ، لقد كانت ترتدي ملابس بيضاء ، وكان على أكمامها بعض النقوش السوداء ولذلك احترقت ذراعاها ، فإذا كانت ترتدي ملابس بيضاء بأكمام بيضاء ربما نجت من الحريق ، أعتقد يادكتور أن الملابس الملونة ضارة ، أليس كذلك لقد قيل لي أن الملابس الملونة تلتقط النار بسرعة » .

فعقبت على كلامه قائلا : « ياسيد ميزوجوتشي ، هل سمعت ماقاله الدكتور هينوئي ؟ لقد ذكر أنه شاهد فور حدوث البيكا جندياً يجري وقد تحولت ملابسه إلى أسمال ، كما أن يدي الدكتور ساسادا قد احترقتا بشكل بالغ ولازال يذكر منظر النار حين اشتعلت فيها ولايتذكر شيئاً آخر ، ولعل نقطة الضعف تتصل بحالة جروحه التي تبدو بالغة السوء » . فتنهد السيد ميزوجوتشي وقال : « ربما كان الأمر كذلك » .

وغطت السيدة سائيكى وجهها بيديهـــا وأخذت تتمتم : « يا للفظاعة .. ياللفظاعة ! » وصبت بعض الشاى لنا ، وجلسنا قليلاندخن ، وما هى لحظة حتى استأذن السيدميزوجوتشى روايته وهومشهور بيننا بالقدرة على قص الحكايات :

« ثم أيتها الجدة أخذت النيران تزداد فى اتجاه النهر ، وما هى إلا لحظات معدودة حتى كانت ألسنة اللهب تتجه نحونا ، ولم يكن لدينا وسيلة تمكننا من عبور النهر إلى الضفة الأخرى ، ولذلك نزلنا إلى النهر حتى نبهتنا تلك الفتاة — التى كانت تعمل فى المصلحة والتى تنتمى إلى قرية سينو — إلى أنه من الممكن أن نعبر النهر سباحة وقفزت فى النهر ، وأخذنا نسبح خلفها ، ولم يكن أمامنا فرصة للشعور بالتعب لأن قطع الأخشاب المشتعلة المتطايرة كانت تقذفها الريح نحونا ، وأدت إلى اشتعال النار فى المنازل الواقعة على الضفة الأخرى للنهر ، فأصبحنا محصورين بين سياجين من النيران على كلتا الضفتين . ولحسن الحظ كانت المياه ضحلة بالقرب من الضفة الأخرى من النهر ، ومن ثم استطعنا أن نرقد تحت الماء وأن نغطى رءوسنا بالماء من حين لآخر لنتقى أنفسنا الحرارة الشديدة. حقيقة أيتها الجدة لم أشعر بالخوف يوماً مثلما شعرت فى ذلك الحين » .

وكانت السيدة سائيكى العجوز تومىء برأسها بين الفينـــة والفينة مرددة عبارات الدهشة والتعجب ، بينما لزمت الصمت وظللت أصغى إلى حديثه .

« حاول المئات من الناس أن يجدوا ملجأ فى حدائق أسانوسنتاى العامة وتحقق لهم ذلك لفترة قصيرة ، ولكن النار دفعت بهم تدريجياً إلى الاقتراب من النهر شيئاً فشيئاً حتى تجمعوا عند ضفته ، وظلوا ينظرون إلى النهر ، وكان هناك ضابط يقف نصف عار وسط النهر وقد اختفى نصف جسده تحت المـاء يحمل فى يده سيفاً ويصرخ فى الناس مهدداً إياهم بالقتل إذا فكروا فى عبور النهر إلى الضفة الأخرى ، وظننت لأول وهلة أن هذا الضـــابط قد جن ، ولكنى أيقنت بعد ذلك أنه كان يحاول إنقاذ الناس وأنه كان حكيما بقدر ما كان

شجاعاً ، أنك تعلم يادكتور أن النهر فى هذه النقطة عميق كما أن تياراته كثيرة الدوامات ، وقد مات الكثير من الناس فى الأعوام السابقة على الحادث عندما حاولوا عبوره من تلك النقطة ، وأعتقد أن هذا الضابط كان يحاول منع الناس من القفز فى النهر عند هذا الموضع الخطر . ورغم أن مجرى النهر كان يبلغ نحو المائة متر عرضاً فى الجزء المقابل للحدائق العامة ، فإن كرات النار التى كان يحملها الهواء من الضفة الأخرى أضرمت النار فى أشجار الحدائق ، وأصبح هؤلاء المساكين عرضة للموت إذا ظلوا فى الحديقة ، وعرضة للغرق فى النهر إذا قفزوا فيه . لقد كنت أسمع صراخهم وبكاءهم ، وفى بضع دقائق بدأوا يتساقطون فى النهر ، قفز المئات تلو المئات فى النهر وسحبتهم الدوامات إلى ذلك الموضع العميق ، وماتوا غرقاً . كان المنظر يفوق كل خيال ، أما أنا فظللت أرقد فى موضعى بالقرب من ضفة النهر ، أسكب الماء بين الحين والآخر فوق رأسى عندما يصبح لفح النار وألسنة اللهب أكثر من أن تطاق » .

وجعلت رواية السيد ميزوجيتشى السيدة سايكى العجوز تمتلىء حزناً ، وخشيت أن يتوقف عن تكملتها مراعاة لشعورها ، وكنت مشتاقاً لسماع بقية القصة فأخذت أحث السيد ميزوجوتشى على الكلام قائلا : « وماذا حدث بعد ذلك ؟ » .

« أخذنا نتحرك تحت الماء الضحل حتى بلغنا بعد عناء شديد جسر توكيوا لنحتمى به من النار ، وأثناء محاولاتنا الوصول إلى الجسر لمحت رجلا مسكيناً ينام فى الماء يعانى من الضعف ربما افقده كمية كبيرة من الدم ، حتى أنه لم يستطع أن يغطى جسده بالماء ، فرجانى أن أغطس جسده فى الماء ، فتوقفت قليلا وحفرت حفرة فى باطن الجسر ووضعت جسده فيها وغطيته بالرمال المبللة ، وأعتقد أن التيار قد جرفه فغرق كغيره من الآلاف الذين غرقوا فى ذلك اليوم وحين خفت وطأة النيران عدت إلى المستشفى برفقـــة فتاتين قابلتهما بالصدفة تنتميان إلى قريتى ، وكان لقائى لهما ضربة حظ ، لأننى كنت قد أرسلت زوجتى

وأسرتى إلى القرية ، وعندما أخذ السيد كيتاءو الفتاتين إلى القرية زار أسرتى وأخبرهم أنني بخير ، ومنذ ذلك الحين زارتنى زوجتى وعلمت منها أن قريتنا الصغيرة سينو[1] تكتظ بالمرضى والجرحى » .

قدمت سيجارة إلى السيد ميزوجوتشي ، وبعد أن التقط منها بضعة أنفاس سألنى عن مصدر تلك السجاير ، فقلت له أن ضابطاً بحرياً أحضرها لى ، فعلقت السيدة سائيكى العجوز على ذلك بقولها : « يادكتور لاريب أنك محظوظ ، فقد أحضر لك البعض سجاير ، وأحضر لك اليوم السيد ساساكى سمكا ، كما أحضر لك هذا المساء السيد ناجاءو طماطما ، فاهدأ بالا ولا تفكر فى شيء ، فأنت رجل محظوظ لأن لديك الكثير من الأصدقاء ، يجب أن تشكر السماء على ذلك ، فإذا لم تفعل هذا كان ذلك تحدياً للسماء » . وحاول السيد ميزوجوتشى أن يوقفها عن متابعة مثل هذا الكلام بقوله : « أيتها الجدة ، أن فى وجهك دمل صغير » . فردت عليه السيدة سائيكى وهى تهرش حول موضع الدمل : « أنه صغير جداً ، ولكنه يؤلمنى ، غير انى لا أكترث له » . ثم استطردت تحكى قصتها مع البيكا فقالت : « اما بالنسبة لى فقد كنت انظف ماكينة الخياطة امام المستشفى وفجأة لمع ضوء ابيض امام عينى ، فانبطحت ارضاً ، ثم اظلمت الدنيا من حولى وظننت ان المستشفى قد انهار فوقى ، وحاولت ان اجعل جسدى ينكمش بقدر المستطاع ، وبعد قليل نظرت من خلال اصابعى فاكتشفت اننى لازلت استطيع الرؤية ، ولاتدرى مقدار سعادتى عندما تبينت اننى لازال على قيد الحياة ، فقد ظننت انني فارقت الحياة » . وارتسمت على وجهها ابتسامة سعيدة .

---

(١) تقع سينو إلى الجنوب الشرقى من هيروشيما فى الطريق الى كورى .

١٥ أغسطس ١٩٤٥

هذا يوم إذاعة البيان الهام ، وعلى الرغم من احجامى عن المشاركة فى التنبؤ بمضمون البيان ، فقد توصلت فى النهاية إلى استنتاج شخصى مؤداه أن البيان الذى سيذاع سوف يعلن غزو العدو لشواطئنا ، وأن القيادة العامة للجيش ستأمرنا بالقتال حتى النهاية . يا له من أمر ميئوس منه ! .

وفى هذه الحالة باستطاعتى الهرب إلى المنطقة الجبلية القريبة ، ولكن ترى أى طريق أسلك ؟ إذا سرت بمحاذاة خط سانيو فقد أتعرض للخطر ، وربما كان من الأسلم لو تبعت خط هامادا أو خط جى إيبى إلى قلب جبال تشوجوك ، فإن لى أصدقاء كثيرين فى المدن الجبلية الصغيرة بتلك المنطقة مثل ميوشو وشوبارا وسيجو طوجو وأوجى ويوشى . وربما كان من الأفضل أن أذهب إلى أوجى حيث كنا قد هجرنا ولدنا إلى هناك ، أو إلى يوشى حيث تقيم والدتى ، ولكن ما الفرق بين الأمرين ؟ لقد سمعت صديق القديم الدكتور آكى ياما الذى اشترك فى عمليات سان شى العسكرية يقول أكثر من مرة أن الجانب الذى يلتجىء إلى الجبال هو الذى يخسر الحرب .

لقد بدأ الجيش يخسر الحرب منذ ابريل ، وفقد معظم الجنود أسلحتهم وهبطت معنوياتهم ، ولم يسمح سوى بتهجير الأطفال والمسنين من المدن ، وتم تنظيم فرق الدفاع الشعبى من بين الذين بقوا بالمدن وكانت أعمارهم لا تتجاوز الأربعين ، وإذا دعا الأمر يمكن تحويلنا جميعاً إلى قوات دفاع شعبية، ولكن الشرطة العسكرية كانت تراقب تعليقات الناس وتصرفاتهم خلال الشهور الأخيرة ، وأصبحت سلطة الشرطة العسكرية أكثر استبداداً من ذى قبل، وفى المناطق التى تقرر اتخاذها ممرات لفرق الإطفاء أو منافذ لتقهقر القوات أزيلت المنازل دون اكتراث لأحد ، كان الخطأ يعالج بالمزيد من الأخطاء ، والآن

يوشك العدو على النزول فوق أرض اليابان ، إن مجرد توارد هذه الفكرة فى خاطرى يجعلنى أحس بالألم .

لقد حطمت هيروشيما ، ونحن نعمل الآن بأقصى طاقاتنا للمحافظة على حياة الناس وسط الدمار ، لم يعد لدينا ثكنات للجيش ، بل أصبحنا بلا جيش ، فقد هرب الجيش وتركنا بلا حماية ، حتى العدد القليل من الجنود الذين أسندت إليهم مهمة الحفاظ على الأمن تركوا مواقعهم عندما كانوا يسمعون أصوات صفارات الإنذار ، كما اختبأ الكثير منهم خلف مبنى المستشفى .

وحتى قبل حدوث البيكا كانت الترسانة البحرية ومعظم الثكنات العسكرية خالية من الجنـــود ، وتم إجلاء عائلات الضباط عن المدينة منذ ابريل ، أما المواطنين فلم يسمح لهم بالهجرة إلا بعد شهر ابريل . وحين تقدمت بطلب للهجرة خارج المدينة رفض طلبى .

وسواء كان للجيش ثكنات وقلاع فى منطقة الجبال أو لم يكن ، فإن ثمة حقيقة مؤكدة هى أننا تركنا دون دفاع أو حماية ، وأخذت المسائل التى كان على ألا أفكر فيها تتزاحم فى رأسى .

سمعنا من ينادى بالتجمع بمبنى مصلحة المواصلات حيث تم تدبير راديو لينقل إلى الحضور البيان الذى سيذاع ، وعندما وصلت إلى القاعة كان المكان غاصاً بالناس فوقفت مقابل المدخل أنتظر سماع البيان ، وما هى إلا دقائق حتى بدأ صوت الراديو يعلو محدثاً ضوضاء لا يمكن تبينها ، ولم تستطع آذاننا سوى التقاط عبارة من هنا وأخرى من هناك ، وسمعت فيما سمعت عبارة تبدو وكأنها « تحمل ما فوق الطاقة » ، ثم سكنت الجلبة وانتهت إذاعة البيان .

والتفت إلينا السيد أوكاموتو الذى كان يقف بجانب الراديو وقال : «كان

البيان يذاع بصوت الامبراطور نفسه، وقد ذكر لتوه أننا خسرنا الحرب، وأنني أطالب منكم أن تنصرفوا إلى آداء واجباتكم حتى يصدر إشعار آخر » .

كنت مستعداً لسماع بيان يطلب منا أن نحفر الخنادق ونواصل الحرب حتى النهاية ، ولكن هذه الرسالة غير المتوقعة تركتني فى حالة ذهول ، لقد كان الذى سمعناه صوت الامبراطور ، وقد قرأ على مسامعنا الإعلان الامبراطورى بالاستسلام ! لقد عجز ذهنى عن مواصلة التفكير ، وجمدت الدموع فى مآقى وانتبهت كغيرى من الموجودين بالقاعة عند سماع أن البيان قد أذيع بصوت الامبراطور ، فلبثنا بعض الوقت بلا حراك صامتين ، وأظلمت الدنيا فى عينى ، واصطكت أسنانى ، وأحسست بالعرق البارد ينحدر فوق ظهرى ، وبعد قليل عدت بهدوء إلى المستشفى ورقدت فى فراشى ، بينما كانت تتردد فى أذنى أصداء عبارة « معركة خاسرة » ، وأخذ هذا الصوت يعلو ثم يعلو .

وخيم السكون على القاعة لوقت طويل ، ثم حطم السكون فجأة صوت نحيب ، ونظرت حولى فلم أجد نظرات الكبرياء تبدو فى أعين رفاقى ، ولكن تعابير اليأس والخذلان كانت ترتسم على وجوههم ، وبالتدريج بدأ الناس يهمسون ، ثم ارتفعت أصواتهم بالكلام . وتناهى إلى أسماعنا صوت شخص يصيح فى الخارج « كيف خسرنا الحرب ؟ ! » ، وتبعته أصوات أخرى تردد عبارات غاضبة متباينة :

« إن الجبان وحده هو الذى يفر الآن ! »

« لا بد أن تكون لخديعتنا حدود ! »

« إننى اقبل ان اموت ، ولا ارضى ان اهزم ! »

« من اجل ماذا كنا نتحمل المعاناة ؟ ! »

« إن اولئك الذين ماتوا فى الحرب لن تتمتع ارواحهم بالسلام فى السماء بعد الآن ! »

وتحول السكون فى المستشفى فجاة إلى زئير ، ولكن الناس كانوا اعجز من ان يستطيعوا شيئاً ، اصبح الكثيرون ممن كانوا من كبار دعاة السلام، واولئك الذين فقدوا حماسهم للحرب بعد البيكا ، يصيحون مطالبين باستمرار الحرب ، ولكن الاستسلام اصبح حقيقة مؤكدة لامناص منها . ولم يكن هناك مايستطيع تهدئة روع الناس الذين تلقوا النبأ ، ولما كانوا قد فقدوا كل شيء ، ولم يعد لديهم مايخشون من فقده ، فقد استسلموا للخذلان واليأس . وانتابنى نفس الشعور ، إن علينا ان نحارب حتى الموت ، كيف نعيش فى ظلال الخوف والرعب ؟ أليس من الأفضل ان يموت الإنسان من اجل بلاده ، ومن أجل عزة تاجها ، بدلا من أن يعيش للعار والخذلان ؟

إن كلمة « استسلام » كان لها وقعاً اليماً على النفس يفوق بكثير وقع قصف مدينتنا بالقنبلة الذرية ، وكلما تعمقت فى التفكير كلما ازددت إحساساً بالمرارة والبؤس .

ولكن أمر الاستسلام صدر عن الامبراطور ، فعلينا أن نصدع للأمر ، إن إقدامه على تحمل ما فوق الطاقة لا يحمل سوى معنى واحد ، إننا كأمة يجب ان نتذرع بالصبر ، رددت كلماته مرات ومرات بينى و بن نفسى ، ولكن لم يغير هذا من الواقع الأليم شيئاً ، ولم أستطع التخلص من اليأس الذى اعترانى ، واخيراً وجدتنى افكر فى أمر آخر .

عندما اعلنت الحرب منذ اربع سنوات ، لم يكن هناك من لا يشعر بالاطمئنان إلى ما سوف تسفر عنه من نتائج ، ولكن احداً لم يفكر عندئذ فيما حدث اليوم . ترى لماذا لم يطالب من الامبراطور ان يتحدث إلى الأمة عندئذ ؟ لم يطلب منه ذلك لأن طوجو كان وحده المسيطر على الأحداث ، يصنع كل مايحلو له ، إن صدى نبرات صوته الحادة لا تزال تتردد فى أذنى .

وبدأت ألوم الجيش بيني وبين نفسي : «كيف كنتم تعاملون الامبراطور؟ لقد اعلنتم الحـــرب برغبتكم عندما بدا لكم ان نتيجتها ستكون لصالحكم ولكنكم عندما بدأتم تفقدون الحرب اخفيتم خسائركم عن الشعب ، وعندما عجزتم عن مواصلة الحرب اتجهتم إلى الامبراطور ، هل يمكن أيها القوم أن تعتبروا انفسكم جنوداً؟ ليس امامكم الآن سوى ان تقدموا على «الهراكيرى»[1] لتضعوا حداً لحياتكم .

وسمعت شخصاً يصيح وكأنه يردد صدى افكاري : «الجنرال طوجو كان عظيماً وعنيداً وغبيا ، عليك ان تشق بطنك بيدك يا طوجو وتموت» !

أثارتني الانفعالات والضوضاء التي سادت المستشفى ، ففكرت في الهرب ، وما كدت اصل إلى البوابة الخلفية بمبنى المصلحة حتى سمعت صوتاً يناديني : «يا دكتور ، ماذا حدث ؟» واعاد إلى هذا السؤال رباطة الجأش التي فقدتها ، وخجلت من نفسي لأني كنت على وشك الهرب ، وعدت إلى مبنى المصلحة وإلى مرضاي .

كانت جولاتي اليوم بعيدة كل البعد عن الطابع المهني ، فلم استطع التركيز ذهنياً على مشاكل المرضى ، ولكني وقفت عند فراش كل مريض ، وبذلت أقصى الجهد لتهدئة مخاوفهم ، وكررت القول لكل شخص رأيته : «يبدو ان الأمور لا تسير على ما يرام ، ولكن الامبراطور أصـــدر أمراً ، وعلينا واجب الطاعة» .

كانت الممرضات تنصرفن إلى اداء واجباتهن وكأن شيئاً لم يحدث . لقد جعلتني هذه الوجوه البريئة التي تعمل بهدوء اشعر بأن جواً من الكبرياء لا زال يحيط بنا ، وهدأ كثيراً من روعي .

---

(١) تقليد ياباني متوارث من العهد الاقطاعي يقدم فيه الفارس المنهزم على الانتحار بشق بطنه بسكين علانية قبل أن يقع في يد خصمه ، وقبل أن يلفظ انفاسه الأخيرة يقوم أحد رفاقه بفصل رأسه عن جسده ليخفف عنه آلام معاناة سكرات الموت .

افتقدت السيدة العجوز التي كانت ترقد بالقرب من مدخل المستشفى، فذهبت إلى مكتب العمل، وسألت السيد سيرا والسيد كيتاء عنها، فترددا لحظة ثم قالا لي: « لقد ماتت ليلة الأمس، ماتت دون أن تعلم بنبأ الاستسلام ونحن سعداء لذلك». واستوقفني جندي في الممر ليسألني: « يادكتور ماذا عساي أن أصنع؟» فأجبته بقولي: « إنني لا أعرف موقع قيادتك، ولكنك تستطيع البقاء حتى تشفى، ولا عليك، دع المسئولية لي». فسألني: « متى سينزل العدو قواته »؟ فأجبت: « إننا لا نهتم بذلك، فأنت مريض على أي حال، ودعني أشرح ظروفك إذا اقتضى الأمر، وإذا دعت الحاجة إلى فرارك، فسأيسر لك سبيل الهرب، ولكني أستحلفك بكل عزيز ألا تيأس، فقد يتأثر بحالتك بقية الجنود، ويتفشى اليأس بينهم». فأجابني الجندي وقد ارتسمت علامات الارتياح على وجهه: « سيدي سأطيع أوامرك». وحياني بلطف، ومضى يجر بطنلونه الملطخ بالدماء.

قدم لنا طعام العشاء، ولكني اكتفيت بتناول كوب من المـــاء الساخن لفقداني للشهية، وآويت إلى فراشي، وبدأت بقايا الروح المعنوية التي كنت أحتفظ بها تتلاشى مع غروب الشمس، كان كل رفاقي في القاعة قلقون على الإمبراطور، وشاركتهم أيضاً نفس الشعور، كنت أشعر بالأسف كلما تذكرته، وتركت فراشي وذهبت إلى الشرفة واتكأت على سياجها، ويممت وجهي شطر الشرق، ثم صليت من أجل استقرار نفس الامبراطور.

أخذت أتمشى قليلا، ثم التمست مجلساً، وأخذت أحملق في الخرائب المحيطة بالمكان، كان القمر يبدو وحيداً، ويتألق فوق مياه نهر أوتا تاركاً حزاماً باهتاً من الضوء، بينما كان يطل فوق المدينة التي يلفها الظلام، وبدت ملامح جبل فوتا باياما الداكنة تبدو مقابل السماء المظلمة تجاه الشرق. إذا هزمت أمة من الأمم فان مظهر الأنهار والجبال فيها يبدو حزيناً، وتملكني إحساس شديد بالوحدة، وأخذت أعاني انفعالات الهزيمة ومرارتها، واستغرقت في التفكير في المستقبل.

١٦ اغسطس ١٩٤٥

كان اليوم منذ بدايته صحوا .

لم ينعم كل من فى قاعتنا بالراحة ليلة الأمس ، فان أمل مواصلة الحرب بدده الحزن والألم اللذان سببتهما لنا الهزيمة ، وأخذنا نترقب وصول العدو إلى بلادنا ، وكان الجميع يشعرون بالضيق وخلال الليل ألقت طائرات (دوبل زيرو) التى انطلقت من قاعدة هيرو[١] منشورات تدعو إلى الاستمرار فى الحرب وعدم الاستسلام .

وبلغتنا ضمن مظاهر المقاومة أنباء قيام الأسطول الامبراطورى بهجوم فى مياه شيكوكو ، وظنها البعض أنباء تبشر بالخير ، ولكنى كنت أخشى أن تكون هذه محاولةمن جانب الضباط الصغار لإظهار الشجاعةوإرضاء كرامتهم العسكرية وهتف بعض المرضى فرحين عندما بلغتهم تلك الأنباء ، ولكنى شعرت بالرثاء لأولئك الذين فضلوا الموت على الاستسلام ، وانقسمت المستشفى فريقين حبذ أحدهما الاستسلام بينما رفضه الفريق الآخر .

زارنا هذا الصباح أحد زملاء الدكتور ساسادا فى الدراسة وكان يعمل بمحطة الإذاعة فى طوكيو قبل الاستسلام ، وأخبرنا أن المفاوضات التى انتهت بالاستسلام بدأت فى ١٠ أغسطس ، وأنه ترك طوكيو فى محاولة لتحويل ما لديه من أموال إلى أموال منقولة عن طريق شراء بعض الأشياء خشية تجميد العملة اليابانية وتخفيض قيمتها مثلما حدث فى ألمانيا ، ولم يكن لدى ما أخشى عليه ، فقدت كل شيء ، ولم يكن يشغلنى سوى أمر الهزيمة المحزنة ، فباستطاعتى أن

---

(١) قاعدة جوية تابعة للبحرية كانت مركزا للتدريب والامدادات والوقود ، وتضم مصنعا لتجميع الطائرات ، وتقع هيرو فى ضاحية بالقرب من كورى على بعد نحو ٢٥ ميلا إلى الجنوب من هيروشيما .

أعيش دون هموم ، وأن أتمتع بكرم ومعاونة أصدقائى . وقبل قصف المدينة بالقنبلة الذرية كان لدى ما يعوضنى عن المكاسب التى يحققها زملائى الأطباء الذين كانوا يزاولون المهنة دون الارتباط بوظيفة، فقد كانت وظيفتى لا بأس بها، اذ كنت أعمل لدى الحكومة بمرتب كبير جعلنى لا أكترث لأعباء المعيشة المتزايدة ، كما أن عملى بالحكومة جعلنى أتخلص من جنون الصراع من أجل الكسب ، فرغم أن راتبى محدود كنت أتوقع الحصول عليه كل شهر ، أما إذا كنت رجل أعمال ، أوطبيب حر ، فربما لقيت هذه المسألة بعض اهتمامى ، وباعتبارى موظفاً حكومياً أرتاح بالى من هذه الناحية .

كنت مشغولا هذا الصباح بمحاولة إعداد سجل لكل مريض من المرضى الذين لا زالوا بالمستشفى ، فقد كان من الصعوبة بمكان أن نفكر فى إعداد مثل هذه السجلات قبل ذلك ، لأن كل واحد من العاملين بالمستشفى كان يبذل أقصى ما يستطيع من جهد للعناية بالمرضى وتلبية طلباتهم العاجلة ، ولن أنسى ما حييت الجهد الخارق الذى بذله الدكتور كوياما ومعاونيه فى إنقاذ ما يمكن إنقاذه بالمستشفى دون أن يفكروا فى أنفسهم أوفى أن ينالوا قسطاً من الراحة، واستجاب الدكتور كاتسوبى لطلبى فأخذ على عاتقه مسئولية إعداد السجلات الخاصة بالمرضى ، وأوصيته أن يسجل فيها كل ما يمكن تسجيله من ملاحظات موضوعية ، وتولى معاونته الدكتور هانا أوكا والدكتور آ كى ياما . لم يكن لدينا مجهر أو أدوات معمل أوحتى مختبر، ولكن تسجيل تاريخ وأعراض الحالات التى نتولى علاجها قد يصبح يوما ما أمرا فى غاية الأهمية ، فلم يحدث قبل ذلك فى تاريخ العالم أن قصف شعب بقنبلة ذرية نتج عنها مثل هذا الدمار الذى كنا نعانيه .

تدهورت حالة السيدة يوشيدا ، واستدعيت لرؤيتها قبل القيام بجولاتى العادية، وبلغت حالتها ذروة السوء، فقد تورم فمها من الداخل وتقرح،وتورمت

لوزتاها بصورة حادة ، وفتحت جروحها التى كانت تبدو من قبل فى طريق الالتئام ، وتجلط فيها الدم الفاسد ، وتغطى جسدها بثور مدببه انتشرت تحت الجلد ، وإزداد وجهها شحوبا وزرقة ، كما أن نبضها كان منخفضا بدرجة كبيرة ، وبدت فى حالة ميؤوس منها .

ذهب السيد ميزوجوتشى والدكتور هينوئى بإحدى العربات منذ الصباح الباكر لإحضار الطعام اللازم للمستشفى ، وحين اجتمعت والسيدة سائيكى العجوز والآنسة كادو وزوجتى لتناول العشاء لم يكونا قد عادا بعد ، فأحسست بالقلق على سلامتهما ، وأخذت السيدة سائيكى العجوز تحاول طمأنتى مؤكدة إنهما سيعودا بعد حين .

وبينما كنت فى الظلام بلغتنى أنباء وقوع شغب عند محطة هيروشيما بعد إعلان الإستسلام،ويبدو أن ناظر المحطة وموظفيها ظلوا يعملون بهمة ونشاط لتسهيل نقل المعدات العسكرية بأقصى سرعة ممكنة ، ولكن بعد الاستسلام شرب ناظر المحطة ومعاونيه كمية كبيرة من (الساكى)[1] حتى الثمالة ، وأثاروا الشغب ، ولما كنت أعلم أن ناظر المحطة العجوز رجل يحب الشراب فقد تخيلت مدى ما يمكن أن يحدث منه فى مثل تلك الحالة ، وأيقنت أن حفلات شراب جماعى كهذه لابد أن تكون قد أقيمت فى مختلف أنحاء اليابان .

عادت الآنسة كادو وزوجتى إلى القاعة ، بينما ظللت جالساً بحجرة الطعام، على حين كانت الجدة العجوز تغسل الأطباق. إنه من السهل أن يشعر الإنسان بالإنشراح خلال النهار حيث يكثر المحيطون به ، ولكن عندما يحل الليل يقيم الظلام جدارا من الكآبة حول الإنسان ، ويصبح من الصعوبة بمكان

---

(١) خمر مصنوع من الأرز تتوافر منه ثلاث درجات حسب نسبة الكحول فى كل منها ، ويعد شرابا وطنياً فى كل من اليابان والصين وكوريا يتناوله الناس فى مناسبات الحزن والبهجة على حد سواء ويحمل معنى المشاركة .

تفادى الأفكار السوداء . ترى أى فوضى يمكن أن تحدث فى طوكيو الآن ؟ هل إنقسم الجنود على أنفسهم ، وأصبح يقاتل بعضهم بعضاً بعدما فقدوا الانضباط وأخذوا يعملون السلب والنهب؟ وهل قام الضباط والجنود الذين لم يستطيعوا مواجهة الهزيمة والإستسلام بالانتحار على طريقة « الهراكيرى » ؟ ترى ما الذى يفكر فيه الامبراطور الآن ؟

ويبدو أن صدى أفكارى قد تبينته السيدة سايكى العجوز لأنها توقفت عن غسل الأطباق وقالت وهى تشير بأصبعها إلى السن الوحيدة التى بقيت فى فمها : « يا دكتور ، كم أشعر بالأسى من أجل الإمبراطور ، إنه لم يكن مسئولا عن إعلان الحرب » .

وصدقت على كلامها ، وأحسست بالكراهية الشديدة للعسكريين الذين كنت أتحمس لهم بالأمس ، لقد خدعوا الإمبراطور والأمة اليابانية ، بعد ما حدث لهيروشيما حاولوا إخفاء الحقيقة عن الشعب فلم يعلنوا أن المدينة قد دمرت بقنبلة ذرية ، وعلى حين كانوا يعلمون أنهم فى الطريق إلى الهزيمة تجاهلوا الشعب رغم أن واجبهم كان يحتم عليهم إطلاع الشعب على حقيقة الأمر .

عاد السيد ميزوجوتشى فى ساعة متأخرة من الليل مثبط الهمة وأخبرنا أن الاضطراب والفوضى يعمان المدينة .

١٧ أغسطس ١٩٤٥

يوم صحو آخر .

نمت لماما ليلة الأمس لأننى كنت قلقا على مصير الإمبراطور ، وأعترف أنى هولت الأمر وأعطيته أهمية أكبر من الهزيمة ذاتهـا ، فقد كان ضحية العسكريين الذين لم يتورعوا عندما لحقت بهم الهزيمة عن إلقاء المسئولية كلها

على كاهله ، فتمد استطاع هؤلاء العسكريين الذين ادعوا الولاء للامبراطور أن يسيطروا تدريجيا على الأمة كلها .

لقد استخدم إسم الإمبراطور كرمز للولاء الوطنى وكوسيلة للسيطرة على مقاليد الأمور قبل أن يستطيع الشعب تبين الحقيقة ، كما أن طبقة الضباط التى كان عليها أن تخصص وقتها كله للاستبسال فى القتال تحولت إلى طبقة مستعلية متعجرفة ، حتى تلاميذ المدارس العسكرية كانوا ينشئون على الإعتقاد بأنهم فئة ممتازة ينتمون إلى طبقة معينة ، ولذلك كان يملأهم الغرور والصلافة والتعالى على كل من هم دونهم ، ولم يكن تلاميذ المدارس العسكرية بمجرد إلتحاقهم بتلك المدارس يخاطبون الجنود العاديين بأكثر من عبارة « أنت » أو « أنت هناك » ، ولم يراعوا يوما ما كرامة الإنسان ولم يعيروها إهتمامهم ، وإذا حاول جندى عادى أن يثبت شخصيته لجأ الضابط إلى إذلاله إلى حد استخدام العقوبة البدنية ، فإذا اعترض أحد الجنود على هذه المعاملة كان الضباط ـ حتى أولئك الذين يحملون أدنى الرتب بما فى ذلك تلاميذ المدارس العسكرية ـ يواجهونهم بعجرفة قائلين : « أوامرنا هى أوامر الإمبراطور يجب أن تفهموا ذلك دائماً » .

لذلك كان العسكريون ينفذون مشيئتهم سواء كانت حقا أم باطلا ، أما كبار الضباط فكانوا يشبهون الآلهة ، وفى ظل نظام كهذا كان أكثر الضباط صلافة وعجرفة واستعلاء وقدرة على البطش يصل إلى أعلى الرتب ، ومن بين هؤلاء الضباط الكبار كان يختار رؤساء الأركان العامة للجيش ، فلم تعرف الحنكة والحكمة وبعد النظر طريقاً إليهم ، وتصرفوا مثل الخنازير البرية تماما فى كل عمل تصدوا له ، فخيم الجهل على عقولهم حتى فقدوا كل حيوية لديهم ولكنهم رغم ذلك لم يسلموا بالأمر الواقع ، ولم يستمعوا إلى صوت العقل خشية فقدان السلطة والهيبة .

وعاش الجنود والشعب ومعهم الامبراطور تحت نير هؤلاء وعانوا منهم

الشيء الكثير، وإلا لما اضطر الامبراطور أن يعلن الاستسلام بنفسه ، ولما أخذ المسئولية كلها على عاتقه بدلا من تلك الطغمة العسكرية الطاغية .

بدأت جولاتي مبكراً هذا الصباح ، كانت السيدة يوشيدا لا تزال على قيد الحياة ولكنها كانت أشد وهنا من ذي قبل ، وعندما سألني السيد أوشيو رأيي لم أملك الشجاعة الكافية للتعبير عن رأيي في حالتها بصراحة ، وتركت الغرفة وأنا أشعر بالتهرب من صديقي .

كانت مفاجأة سارة بالنسبة لنا حين حضر الدكتور هيروشي موري يا زميلي القديم في الدراسة الذي يعمل بمستشفى المواصلات في طوكيو ومعه كمية كبيرة من الإمدادات الطبية والمعونة ، لقد كان عريف الصف عندما كنا بالمدرسة الإبتدائية منذ ما يقرب من ثلاثين عاماً حين رأيته آخر مرة ، وقال حين رآني مندهشاً : «عظيم أن أراك على قيد الحياة فاننا لم نكن نعلم في طوكيو ما إذا كنت حياً أم ميتاً ، كل ماعلمناه ، أن هيروشيما قد دمرت عن بكرة أبيها ، وقد استبد القلق بالدكتور هاسيجاوا والدكتور ميكي على مصيرك ، وسيسران كثيرا عندما يعلمان أنك لا زالت حياً ، لقد أحضرت لك بعض الامدادات الطبية » . وشرع يعرض أمام ناظري محتويات بعض اللفافات التي جاء بها ، وكانت تضم الملاقط الطبية والمقصات وبعض المستلزمات الطبية المصنوعة من المطاط ، وكان يحمل معه آلة تصوير ، وحين علم بما أصابني من جروح طلب مني أن أسمح له بالتقاط بعض الصور وأنا في الفراش ، فحذرته قائلا : «يادكتور موري يا حذار أن تراك الشرطة العسكرية أثناء التقاطك الصور لهيروشيما فقد يسبب لك ذلك المتاعب » ، غير أنه لم يكترث لتحذيري ، وبعد أن التقط لي بعض الصور وأنا عار تماماً ، التقط بعض الصور الأخرى من النوافذ كما التقط صور بعض العاملين بالمستشفى ، ثم غادر المستشفى للتجول في المدينة لاستطلاع ما آل إليه حالها .

علمت من الدكتور موري يا أن الحال قد هدأت فى طوكيو ، وعلمت منه فوق ذلك أن الامبراطور أعلن بيان الاستسلام على مسئوليته الخاصة لأنه أراد أن يجنب الشعب المزيد من المعاناة ، فأثرت هذه المعلومات فى تأثيرا شديداً وكانت تخالف تماماً إفتراضاتى السابقة .

جاءنا عدد من الزوار بعد الظهر ولست أدرى إذا ما كانوا قد جاءونا بأنباء صحيحة أم مجرد إشاعات ، فقد أخبرنى أحدهم أن أحد صغار الضباط قد طارد وزير الحربية،وأنه إضطر إلى الاختباء فى أحد مراحيض القصر الإمبراطورى حيث انتحر هناك على طريقة (الهرا كيرى) . كما أخبرنى آخر أن المجلس الامبراطورى قد دعى للاجتماع لمناقشة شروط الاستسلام ، وحاول وزير الحربية أن يثنى الإمبراطور عن إعلان الاستسلام ، وأن الامبراطور رفض ذلك على أساس أنه مسئول بالدرجة الأولى عن سلامة الأمة أكثر من مسئوليته عن نفسه أو عن الجيش .

قمت بجولات أخرى فى المستشفى بعد الظهر ، واكتشفت أن واحدا على الأقل من بين كل خمسة أوستة من المرضى أصبح يعانى من البثور المدببة تحت الجلد التى بدت من قبل على جسد السيدة يوشيدا ، وكانت تلك البثور كبيرة عند البعض وصغيرة عند البعض الآخر ، ولم يستطع المرضى الذين يعانون من البثور الصغيرة اكتشافها ، فقد كانت تبدو كنقاط حمراء تحت الجلد ، أما أولئك الذين كانت بثورهم كبيرة فقد سألونى عنها ، وما لبثت أن اكتشفت أن الإصابة بتلك البثور تنتشر بشكل واضح بين أولئك الذين كانوا بالقرب من مركز إنفجار القنبلة ، وأن الكثير ممن لم يصابوا بجروح قد بدت عليهم أعراض تلك البثور ، ولما كانت تلك البثور لا تصحبها الحكة أو الألم فقد كنت فى حيرة من أمرها ، وعجزت عن تشخيصها ، وأخبرت الدكتور ساسادا والسيد شيوتا عن هذا التطور الجديد عندما عدت إلى فراشي، فاقترحوا على أن أفحص نفسي ففعلت وأحسست بالراحة حين اكتشفت أن جلدي نظيف تماما.

وأثناء تناول العشاء علمت أن فرقة من الطالبات ستأتى من الريف إلى المستشفى فى الغد لمعاونتنا ، كما أن المحافظات الأخرى وعدت بمدنا بالمساعدين اللازمين لتدعيم الهيئة الطبية بالمستشفى ، كما علمت أيضاً أن الناس يتوافدون على هيروشيما لإزالة الأنقاض من الطرقات .

١٨ أغسطس ١٩٤٥

بدأ اليوم صحوا ، ثم ما لبثت السماء أن تلبدت بالغيوم وأمطرت السماء مطراً كنا فى أمس الحاجة إليه .

بدأت جولاتى التفقدية مبكراً ، وقد تناقص عدد الموتى بشكل واضح ، ولكن فى كل يوم كان يتوفى شخص أو شخصان من بين المرضى ، وفى كل حالة من تلك الحالات كانت البثور التى تبدو على شكل نقاط تحت الجلد تتزايد قبل وقوع الوفاة ، وأخذ عدد المرضى الذين بدت عليهم تلك الأعراض يزداد ، وقد ازدادت تلك الأعراض عند السيدة يوشيدا عما كانت عليه بالأمس ، وارتسمت على وجهها علامات الموت ، وأصبحت جروحها جافة لا تنزف دماء ، وأخبرت السيد أشيو أننى لا أعتقد أنها سوف تعيش حتى المساء .

كما بدت تلك البثور الحمراء على مرضى العيادة الخارجية اليوم ، وظهر أحد الأعراض الأخرى ، فقد بدأ شعر الكثير من هؤلاء المرضى يتساقط دفعة واحدة ، كما أن لون بشرتهم تغير ولو كان لدينا مجهر لاستطعنا تحليل الدم لعلنا نتوصل إلى خيط يقودنا إلى حقيقة تلك الأعراض .

عندما عدت إلى فراشى وجدت الدكتور ساسادا يفحص صدره ، وعندما رآنى غطى نفسه كما لو كان لا يريدنى أن أعرف ما يفعله ، فلم أحاول أن أتدخل فى أموره الخاصة رغم أننى أعرف أن أعراض البثور بدأت تظهر

عليه ، وكان يحاول إخفاء هذه الحقيقة عنى وهو أمر كان من السهل تبينه عندما ينظر المرء إلى وجهه ، فلم أشأ إزعاجه ، وتظاهرت بالبحث عن شيء ما فى فراشى ثم غادرت القاعة .

وفى الطابق الأرضى قابلت السيد هيروهاتا الذى كان يجلس على أريكة فجلست بجواره ، وكان السيد هيروهاتا يعمل بمصلحة التليفونات ، وقد حدث إنفجار القنبلة أثناء مزاولته العمل ، وعلى الرغم من أن مبنى المصلحة يقع على بعد نحو ٤٠٠ متر من مركز الإنفجار فانه لم يصب بسوء ، فسألته : « كيف إستطعت أن تنجو من الإصابة بينما قتل وأصيب كل من تواجدوا فى المكان؟» .

فأجاب : « لقد حمتنى حوائط المبنى الخرسانية من الإصابة ، ولكن الأشخاص الذين كانوا يقفون بالقرب من النوافذ لقوا مصرعهم على التو أو ماتوا بعد ذلك بقليل نتيجة إصابتهم بالحروق أو الجروح ، وكانت نوبة الليل تغادر المبنى لتحل محلها نوبة النهار عندما حدث الإنفجار وقد مات نحو أربعين شخصاً قرب مدخل المبنى ، كما مات على التو نحو خمسة عشر موظفا من العاملين بقسم الإنشاءات كانوا يمارسون التمرينات الرياضية الصباحية ولا يرتدون سوى سراويل قصيرة » . ثم استطرد قائلا : « يا دكتور إن الإنسان الذى يموت حرقا يتضاءل حجمه ، أليس كذلك ؟ إن هؤلاء الأشخاص بدت جثثهم بعد الإنفجار وكأنها جثث اطفال ، هل هناك سبب لسقوط شعرى وإحساسى بالوهن ؟ انى قلق يا دكتور لأنى علمت اننى سوف أموت حتما فقد حدث ذلك لبعض الأشخاص الذين نجوا من الإصابة عند حدوث البيكا » .

فأجبته بقولى : « يا سيد هيروهاتا اعتقد انه لاداعى للقلق ، لقد مررت كغيرك من الأشخاص بتجربة فظيعة ، وبالإضافة إلى ذلك فقد واصلت العمل ليلا ونهاراً بالمصلحة بعد كل ماحدث ، فماذا كنت تتوقع ؟ عليك ان تذهب إلى منزلك وتلزم الراحة بالفراش دون ان تفكر فى شيء ، وتناول ما لذ وطاب من الطعام » .

لم يكن هناك ما يمكن أن يقال لهذا الرجل ، فطريقة جلوسه وحديثه ولون جلده كانت تشير إلى أنه مشرف على الموت ، ولكني كنت عاجزاً عن إنقاذه.

وصلت فرقة الطالبات التي ستتولى معاونتنا هذا الصباح ، وقمنا بتنظيف عنابر المرضى تحت إشراف الممرضات ، وأصبح كل شيء بالمستشفى نظيفاً مرتباً .

مطر خفيف يسقط بالخارج .

نقل فراشنا إلى غرفة أخرى هذا الصباح حتى يمكن الاستفادة بالقاعة الواسعة التي كنا نشغلها لإيواء بعض المرضى الذين يشغلون الدور الأرضى ، وكانت حجرتنا الجديدة صغيرة ولكنها أحسن ترتيباً ، فقد أعد فراش لخمسة أشخاص على شكل صف بجوار النوافذ ، وفراش لثلاثة أشخاص بجانب الحائط الملاصق للممر ، وشغل الدكتور ساسادا فراشاً من تلك المجاورة للحائط حتى يكون بعيداً عن لفحات الهواء ، فقد كانت جروحه لاتزال تؤلمه ولا يناسبه سوى هذا المكان ، ووضع فراشي في مواجهة الدكتور ساسادا حيث كان باستطاعتي أن أحظى بالنسيم ، ووضع فراش زوجتي يائيكو بجواري يليه فراش الآنسة كادو يليه فراش آخر ترك شاغراً ليستخدمه الطبيب المناوب في المساء أو في الليل وليستخدم كمقعد الزوار في النهار . أما السيد شيوتا والآنسة ياما والآنسة سوسوكيدا فقد وضع فراشهم في الممر. وكان لحجرتنا الجديدة مدخلان ، ووضع كرسي محطم ومكتب بجوار فراشي لأستخدمهما عندما أستقبل الضيوف ، وكان المكان يبدو مريحاً ووجودنا بجوار بعضنا البعض أعطانا إحساساً بالانتماء والاطمئنان . أما النوافذ فكانت تقع إلى شرق الجنوب الشرقي أي أن موقعها يختلف عن موقع الغرفة الأخرى التي كنا نشغلها بنحو ٩٠ درجة فأصبح باستطاعتنا أن نرى محطة هيروشيما ومحطة كائيتا التي تقع خلفها وهي المحطة الثالثة في الطريق من هيروشيما إلى كورى ، كما أن قريتا سينو وهاتشي

هن ماتسو أصبحتا على مرمى البصر ، كما كان باستطاعتنا أن نرى الجبال التى تقع إلى جانب خط سانيو والقرى المتناثرة عند سفوحها . وذكرنى منظر الجبال التى تقع وراء الأفق بتلك القرية الجبلية التى تقع بالقرب من أوكاياما حيث كانت تقيم أمى وولدى ، ولما كان كل شىء قد دمر تماماً فيما بين المستشفى ومحطة هيروشيما فقد كان باستطاعتنا أن نرى قطارات السكك الحديدية وهى تمر بالقرب من الطرف الشمالى الشرقى للمدينة ، وبينما كنت أرقب المحطة من النافذة رأيت قطاراً يصل إليها ويقف عندها وقد اكتظ بالبشر ، وبلغ الزحام درجة كبيرة حتى بدا الناس من بعد وقد تعلقوا بالقطار من الخارج ، فكان منظر القطار يبدو وكأنه خلية نحل أو شجرة مثقلة بالثمار ، حتى مخزن الفحم الملحق بالقاطرة كان مغطى بالركاب ، وما كاد القطار يصل إلى المحطة حتى بدأ بعض الركاب يتبولون من النوافذ بينما نزل آخرون للتبول بجانب القطار ، وبينما كنت أرقب هـذا المنظر الغريب وأحمد الله لأننى أوجد بعيداً عن هذا الزحام الشديد ، انطلقت صفارات القطار وبدأ السير من جديد دون أن يخلف وراءه إلا القليل من الركاب غير أنهم لم يكترثوا لذلك وواصلوا السير على أقدامهم ببطء وهم يتألمون. كم يصبح الإنسان ذليلا عندما يخسر الحرب ! .

كانت القطارات تأتى كل يوم مكتظة بالركاب حتى قطارات البضائع كانت تنوء بحمولة من البشر .

كانت نافذتى الجديدة تقع فوق مدخل المستشفى ، وبذلك كان باستطاعتى أن أرى كل قادم ومغادر دون أن أترك مكانى ، وجاءت إلى مدخل المستشفى سيدة فى نحو الثلاثين من عمرها تحمل شكوى من زوجها الذى يعمل بمصلحة المواصلات مؤداها أن راتبه أقل من أن يغطى نفقات الطعام ، لقد كان الناس يقاسون من نفس الشىء طوال الحرب ولكنهم بعد وقوع الهزيمة رفعوا أصواتهم بالشكوى ، وكانت المرأة تصرخ وكأنها فقدت عقلها .

بلغتني أنباء سارة مفادها أن زوجة السيد أوكورا لاتزال على قيد الحياة ، إذ عندما حدث الانفجار تقوض المنزل فوق السيد أوكورا وزوجته ولكنه استطاع أن ينجو بنفسه ، وسمع زوجته تصرخ طالباً للنجاة ، وقبل أن يعود لإنقاذها كان البيت قد أصبح شعلة متأججة من النيران فاضطر إلى العدول عن محاولة إنقاذها ، وعندما خمدت النيران عاد إلى حطام المنزل فوجد بعض العظام المتفحمة فى المكان الذى سمع منه صوت زوجته وقت الحادث ، فأحضر تلك العظام واحتفظ بها خلف المستشفى ، ثم حمل العظام ليلة الأمس إلى عائلة زوجته بالريف ، وهناك وجد زوجته صحيحة معافاة ، فقد استطاعت بوسيلة أو بأخرى أن تنجو من الحريق ، والتقطتها دورية عسكرية ساعدتها فى الوصول إلى قريتها وكانت هذه القصة أغرب من الخيال ، ولكنها جعلتنى أوقن أنه لايجب أن يستسلم المرؤ لليأس .

عندما حل المساء قمت بجولات أخرى فى المستشفى فوجـــدت أن حالة مرضى البثور تزداد سوءاً ، وكان كل واحد من المرضى يفحص جسد زميله بحثاً عن تلك البثور الحمراء ، وبدا الجميع وكأنهم يعانون من (عقدة البثور) ، وانتقل الخوف إلى ففحصت كل مكان فى جسدى عندما عدت إلى فراشى وشعرت بالطمأنينة عندما وجدت جلدى خالياً من تلك الأعراض ، أننى حتى الآن لا أزال بخير .

١٩ أغسطس ١٩٤٥

كان اليوم صحواً بصفة عامة وإن تخلله بعض السحاب وترددت أصداء الرعد من بعيد .

كانت القطارات تمر على بعد نحو مائة متر من المستشفى وكنت أسمع بين الحين والآخر صوت قطار قادم ، فجلست فى فراشى وأخذت أرقب القطارات التى كانت تسير فى كلا الاتجاهين مكتظة بالجنود المسرحين ، لقد كان منظرها يؤكد وقع الهزيمة .

حتى الجنود الذين كانوا يعسكرون بجوار المستشفى بأعداد كبيرة نسبياً تركوا مواقعهم ورحلوا إلى قراهم ، وزادت رغبة الناس فى مغادرة المكان والرحيل إلى مدنهم وقراهم ، وانتقلت العدوى إلى المرضى المدنيين فغادر المستشفى الكثير منهم ممن كانوا يقدرون على الحركة بالكاد ، ولجأ الكثيرون إلى الهرب حتى يتحاشوا رؤية وجوه الأعداء .

ارتفعت اليوم معنويات السيد شيوتا ، فقد أصابه الإمساك لعدة أيام ثم عادت أمعاءه إلى طبيعتها اليوم فشعر بالارتياح ، وكنت قد نصحته أن يتجنب الانفعال والتوتر حتى يتخلص من تلك الحالة ، وفى كل يوم كنت ألقى عليه محاضرة فى كيفية التخلص من تلك الحالة ، وكان يضحك هو والمحيطون به عندما أتحدث إليه فى مثل هذا الموضوع ، فإذا كان قد استمع لنصيحتى لتجنب الكثير من المعاناة .

أما الآنسة ياما فكانت حروقها كثيرة وغطت الضمادات جسدها ، وكانت تصرخ كلما غيرت شقيقتها — وهى ممرضة أيضاً — ضماداتها ، وكنت أقدر لها ماتعانيه من آلام ولكنى أحسست بالرثاء لحال شقيقتها أكثر من حالها .

أما السيدة سوسوكيدا التى كانت جروحها أقل خطورة من جروح الآنسة ياما فكانت تجز بأسنانها دون أن تنبس بكلمة أثناء تغيير ضماداتها ، فقد كانت أقل عناداً من الآنسة ياما على الرغم من أن حروقها كانت تسبب لها الآلام وتهدد حياتها بالخطر ، وكانت ابنتها هى التى تتولى تغيير ضماداتها ، غير أنها لم تصرخ ولو مرة واحدة . ومن الطريف على أى حال أن ترى امرأتان تعانيان من نفس الآلام تصرخ إحداهما دائماً بينما تتحمل الأخرى الألم بهدوء .

قام الدكتور كاتسوبى بتغيير ضمادات الدكتور ساسادا وضمادات زوجتى وضماداتى وتألمت أثناء رفع الضمادات لأن الشريط اللاصق كان ينتزع الشعر معه ، فقد حاول الدكتور كاتسوبى ألا يؤلمنى وأخذ ينتزع الشريط ببطء ولكن انتزاع الشريط بسرعة كان من الممكن أن يجنبنى آلام انتزاع الشعر .

ماتت السيدة يوشيدا اليوم وكان آخر ماشكت منه العجز عن الرؤية ، وازداد عدد المرضى المحتضرين فى المستشفى ، وكانوا جميعاً يشكون من البثور، غير أننا كنا عاجزين عن اكتشاف أسباب تلك الأعراض .

بينما كنت أرقد فى فراشى الليلة سمعت أصوات حشرات بالدور الأرضى، إذ كانت الصراصير الصغيرة تصفر ، وبدا المكان موحشاً . وبينما كنت مستلقياً فى فراشى سمعت صرخة مدوية فى الدور الأرضى فأسرعت بالنزول لأجد سيدة من مرضانا قد أصابها مس من الجنون ، كانت تقف كالشبح وسط العنبر المظلم وقد تهدل شعرها وتصرخ بأعلى صوتها مما جعل المرضى الذين يقيمون معها فى نفس العنبر يشعرون بالفزع ، بينما كان شقيق تلك السيدة يحاول تهدئتها فيقول لها هامساً : « يا أختاه إن الجميع نائمون أرجوك أن تهدئى أنك تزعجين الناس » ، وحين أيقنت من استحالة تهدئتها أمرت بإعطائها حقنتين من المورفين ، فتقيأت مرتان بعد وقت قصير ثم غطت فى نوم عميق ، ورثيت لأخيها الذى كان يعتقد أن ما أصابها علامة على دنو أجلها .

ولما كان النوم قد فارق جفونى فقد أخذت الأفكار تتزاحم فى رأسى ، بعد اليبكا كنا نعتقد أن الذين أصابتهم الحروق أو الجروح سيتماثلون إلى الشفاء عندما نعالجهم ، ولكننا اقتنعنا الآن بعدم صحة هذا الاعتقاد ، فبعد أن تحسنت حالة بعض المرضى بدت عليهم أعراض جديدة عجلت بوفاتهم ، ومات الكثيرون دون أن نفهم سبب موتهم ، فتملكنا اليأس ، إذ لم يكن باستطاعتنا تشخيص الأعراض التى بدت على المرضى خلال الأيام الأخيرة وخاصة تلك النقط الحمراء والبثور .

لقد توفى المئات من المرضى فى الأيام الأولى التى أعقبت الحادث ، ثم انخفض معدل الوفاة ، ولكنه الآن آخذ فى الإرتفاع من جديد . وكانت الأعراض التى بدت على من توفوا فى الأيام الأربعة أو الخمسة التى أعقبت اليبكا هى : الضعف الشديد ، وفقدان الشهية للطعام ، والتجشؤ والإسهال والقىء ، وكانت أعراض الضعف العام وفقدان الشهية أكثر شيوعا بين المرضى يليهما الإسهال ثم القىء ، أما المرضى الذين كانت حالتهم بالغة السوء فقد عانوا من تلك الأعراض الخمسة مجتمعة . وبمرور الأيام كان فقدان الشهية والإسهال هى الأعراض البارزة التى بدت على المرضى الذين لم تتحسن حالتهم .

وملاحظة أخرى تبينها من متابعة تلك الحالات هى أن أعراض الاضطرابات المعوية الشديدة لا صلة لها بالحروق والجروح ، فقد أخذ بعض المصابين بالحروق يشفون بسرعة ؟ أما المرضى الذين بدت عليهم تلك الأعراض ولم تلحق بهم إصابات فقد ساءت حالتهم وماتوا ، وكان الكثير ممن توفوا يعانون من الإسهال الدموى الشبيه بالدوسنطاريا ، بينما كان الآخرون يشكون من البول الدموى والبراز الدموى . كما أن الالتهابات الرحمية الشديدة عند المريضات التى كنا قد شخصناها خطأ على أنها إضطرابات وظيفية كانت تنتشر عند النساء ، وبعض من ظلوا على قيد الحياة لمدة أسبوع ماتوا نتيجة التهاب الفم واللوزتين ، والآن

عادت أعراض التهاب الفم إلى الظهور من جديد إلى جانب البثور وارتفع معدل الوفاة مرة أخرى. وسارت حالات البثور على نفس النهج الذى لاحظناه على المرضى الذين أصيبوا بأعراض الإضطرابات المعوية ، ولاترتبطها أى علاقة بنوعية الجروح التى أصابت المرضى ، كما أن أولئك الذين لم تلحقهم أى إصابات وكانت حالتهم طيبة لدرجة معاونتهم للممرضات فى تمريض زملائهم المصابين أخذت تبدو عليهم أعراض النقاط الدموية تحت الجلد ، وكان لدينا نماذج عديدة من حالات الأفراد الذين كانوا أصحاء ثم ظهرت عليهم أعراض البثور وماتوا قبل أولئك الذين كانت حالتهم الصحية متدهورة منذ البداية ، لقد كانت تلك البثور نذير شؤم بالنسبة لنا .

ومن الواضح الآن أن الدوسنطاريا الوبائية لاعلاقة لها بالأعراض المحيرة التى رأيناها، وازداد إحتمال إرتباط تلك الأعراض بتناقص عدد كرات الدم البيضاء الذى يمكن إرجاعه إلى تأثير التهاب اللوزتين ، غير أننى لم أعلم من قبل أن التهاب اللوزتين ناتج عن نقص فى كرات الدم البيضاء .

ترى ماسبب ظهور تلك البثور ؟ .

كان هذا مايجب أن نتوصل إلى معرفته، ولكن لم يكن باستطاعتنا التخلص من المأزق الذى وقعنا فيه ، فماذا نستطيع أن نفعل ؟ وماذا سيحدث بعد ذلك ؟ أليست هناك إجابة شافية لكل هذه التساؤلات ؟ . وهكذا حرمتنى تلك الأفكار من النوم حتى الصباح .

٢٠ أغسطس ١٩٤٥

طقس صحو بوجه عام ، غائم نسبياً .

وصل هذا الصباح المجهر الذى كنا فى أمس الحاجة إليه من مستشفى المواصلات بطوكيو مع رسول خاص أرسله الرئيس إيكوتا أحد الرؤساء السابقين لمصلحة المواصلات . ولم أضع وقتاً فى إستخدامه فى فحص دماء المرضى بادئاً بالأفراد الستة الذين تضمهم قاعتنا ، وكان عدد كرات الدم البيضاء فى حالتهم يبلغ نحو الثلاثة آلاف كرة فى السنتيمتر المكعب ، أى أقل من المعدل الطبيعى الذى يتراوح بين ستة آلاف وثمانية آلاف كرة فى السنتيمتر المكعب وتولى الإشراف على فحص الدم الدكتور كاتسوبى والدكتور هانا أوكا حيث عمل كل منهما على فحص دماء أكبر عدد ممكن من المرضى ، وكان عدد الكرات عند بعض المرضى ٦٠٠ ، بينما كان عددها عند الغالبية العظمى منهم يبلغ نحو الألفين ، وكان عدد الكرات عند أحد المرضى الذين بلغت حالتهم حداً كبيراً من الخطورة ٢٠٠ كرة فقط ، وقد توفى هذا الشخص بعد أخذ عينة الدم منه . وبدا واضحاً لأول وهلة أن المرضى الذين تتناقص عندهم عـــدد كرات الدم البيضاء هم الذين يعانون أعراضاً حادة ، أما عن المرضى الذين أصابتهم الحروق والجروح فقد كنا نتوقع أن يكون عدد كرات الدم البيضاء عندهم أكثر من غيرهم غير أن الفحص لم يثبت صحة ذلك الإعتقاد ، وتأكدت شكوكى حول هذا الموضوع ، وقد شخصنا حالة من يعانون مرض الدم على أنها (أجرانو لوسيتوسيس) أو بعبارة أخرى حالة إنحدار لكرات الدم البيضاء ، وفى مثل تلك الحالة لابد أن يكون ثمة مادة سامة سببت حدوثها ، ولم يكن الاستنتاج الذى وصلت إليه دليلا على فطنتى ، فقد كنا بصدد حالة (أجرانولوسيتوسيس) نتجت عن شىء مجهول وإليها يرجع سبب أورام اللوزتين والتهاب الحلق.

وقد فحصت حالة كل واحد من المرضى الذين يشكون من تلك الأعراض، وتبينت أن معظمهم كانوا يسكنون بالمنطقة القريبة من المستشفى، كما اكتشفت أن عدد أقارب المرضى أكثر من المرضى أنفسهم، ولم أدر ماذا نفعل إزاء هذا الموقف، فقد كان من الصعب علينا أن نوفر الطعام للمرضى، فما بالنا ونحن مطالبون بتوفير الطعام لأقاربهم الذين لم يكن لهم مأوى سوى المستشفى، ولا نملك سوى إبقاءهم بها لأنهم لا يجدون مكانا آخر يلجأون إليه، فلا عجب أن اصبحت المستشفى مكتظة بالسكان. وكانت تلك الحال لا تختلف عن غيرها في الأماكن الأخرى، فقد علمت من السيد ساجادا وهو صديق من جي جوزن زارني اليوم وأحضر لي معه قميصاً وبنطلونا جديدا وحذاء، علمت منه أن كل هيكل ومعبد ومدرسة ومنزل يكتظ بضحايا «البيكا»، وأن حالة هؤلاء الضحايا كانت أسوأ من حالتنا بكثير، فلم يتلقوا علاجا طبيا أو ملابس أو ضمادات ولم يقدم لهم سوى القليل من الطعام، وعلى النقيض من ذلك كان من يقيمون بمستشفانا موضع رعاية الأطباء والممرضات، كما أن الدكتور هينوتي والسيد ميزوجوتشي بذلا أقصى جهدهما لتوفير الدواء والطعام لهم.

وغمرني إحساس بالغبطة والزهو وأنا أرتدي البنطلون الذي لا يكاد يبلغ! الركبتين والقميص المحاك باليد اللذان تركهما لي صديقي، فقد سرني أن المرضى الذين يقيمون بالمستشفى وعائلاتهم أحسن حظا من غيرهم ولذلك يفضلون البقاء معنا.

٢١ اغسطس ١٩٤٥

يوم صحو السماء .

إزداد عند الزوار بمرور الأيام وكان كل منهم يقص علينا مارآه أو سمعه كما كانوا يطلعوننا على وجهات نظرهم فيما حدث ، وسمعت القصص التى كانوا يصرون على روايتها لنا من الصباح حتى المساء ، وكثيراً ماسئلت عن مكان وجودى ساعة حدوث البيكا ، وقبل أن يعطونى فرصة الحديث كانوا يروون لى تجاربهم الخاصة مع ذلك الحادث الجلل ، ويحاول كل منهم أن يضفى على تجربته الخاصة طابعاً فريداً ، كما أن بعضهم كانوا يقصون حكايات غريبة .

وقد ذكر لنا أحد الزوار أن محطة الإسعاف التى أقيمت بمكتب العمل فى هيجى ياما كانت فى حالة فوضى ، تفوح منها رائحة الحروق التى أصابت المرضى الذين كانوا يشبهون الأخطبوط[1] المسلوق ، وأكد أنه لم ير فى حياته أجساداً متقرحة مثل أجساد أولئك المرضى ، واستطرد هذا الرجل قائلا : « يادكتور هل تعتقد أن باستطاعة الإنسان أن يرى بعين برزت من موضعها ؟... لقد رأيت رجلا خرجت عينه من موضعها نتيجة إصابة لحقت به وكان يقف وقد وضع عينه على راحة يده ، وجمد الدم فى عروقى حين لاحظت أن تلك العين تبدو وكأنها تحملق فى ، هل تعتقد يادكتور ان تلك العين كانت ترانى ؟ » .

ولم أحر جوابا ولكنى سألته : « هل رأيت صورتك بوضوح على حدقة العين ؟ » .

فأجاب الزائر : « لا فلم أكن قريباً من ذلك الرجل إلى تلك الدرجة » .

---

(١) يأكل اليابانيون الأخطبوط الصغير مسلوقا أو طازجا دون طهى ويبدو بعد سلقه غضروفى المذاق .

ولحسن الحظ قطع المناقشة وصول صديق قديم هو الدكتور ياسوهارا الذى يقيم فى تاماشيما وكان كبير الجراحين بمستشفانا منذ عامين أو ثلاثة أعوام مضت ، وما أن رآنى حتى قال : « يادكتور ان هذا مكان غير آمن ، ويجب ألا تظل هنا ، تعال معى إلى بيتى ، انك لا يمكن أن تشفى فى مثل هذا المكان » . وكنت على يقين أن الدكتور ياسوهارا عاطفى إلى حد بعيد وأنه قد يأخذنى رغم أنفى إلى حيث يريد ، غير أن حماسه فتر عندما رأى زوجتى والسيد شيوتا والآنسة ياما والآنسة سوسوكيدا ، فقد أكد له منظر أولئك الأصدقاء القدامى إننى لست وحدى الذى يعانى من تلك الحالة ، فاستدار إلى صندوق كان يحمله وقد ترقرقت الدموع فى عينه وقال بصوت مؤثر لقد أحضرت لك هدية صغيرة ، صندوق من الخوخ ، وبعد أن سألنا عن بقية الأصدقاء فى المستشفى والمصلحة أخبرنا أن إبن عمى الكابتن أوراب قد مات ، وأن أصدقاءنا القدامى ورفاقنا فى الدراسة الدكتور آكاماتسو والدكتور أوسوجى يعتبران فى عداد المفقودين . لقد اعتدت على سماع مثل تلك الأنباء المحزنة فلم تعد تؤثر فى نفسى .

تناولنا خوخ أوكاياما اللذيذ الذى أحضره لنا الدكتور ياسوهارا مع وجبة الغذاء .

عقدت العزم على تسجيل تطور حالة المرض عند أكبر عدد ممكن من المرضى خلال جولاتى التفقدية بعد ظهر اليوم ، ولكن الأمور كانت مربكة محيرة فلم أدر من أين أبدأ ، وقد استيقظت المرأة التى أصابها الجنون ليلة الأمس وأخذت تصرخ بكلمات غير مفهومة ، وزاد عدد المرضى الذين بدت عليهم أعراض البثور ، وشكا البعض من تساقط الشعر بكميات كبيرة فقمت بتسجيل بعض الحالات :

السيد ساساكى ، فى الثالثة والخمسين من عمره ، ذكر ، دخل المستشفى

يشكو من إنقباض فى الصدر إنتشرت البثور فى ذراعيه بعد ذلك وحجم كل منها مثل بصمة أصبع الخنصر ، حرارته ٣٩° مئوية ، فقد جزءاً كبيراً من شعره ، حالته سيئة .

السيدة هامادا ، انثى ، فى السابعة والأربعين من عمرها ، أصيبت فى منزل يقع فى تبو — تشو على بعد كيلو متر واحـــد من مركز الإنفجار ، كانت تشكو من القيء والضعف العام والصداع والعطش الشديد فور وقوع الإنفجار واستمرت تلك الأعراض لمدة أربعة أيام مصحوبة بفقدان الشهية والإسهال ، تحسنت حالتها تدريجياً واعتقدنا بشفائها فى ١٥ أغسطس فيما عدا فقدانها للشهية من حين لآخر ثم تفاقمت تلك الحالة فى ١٨ أغسطس ١٩٤٥ وأخذت تنتقل من سيء إلى أسوأ ، وعندما دخلت المستشفى بالأمس كان جلدها جافا وتغطى البثور صدرها وأكتافها وذراعيها وتشكو من عدم القدرة على الإبتلاع ، ورائحة أنفاسها كريهة ، حالتها بالغة السوء .

الآنسة كوباياشي ، أنثى ، فى التاسعة عشر من عمرها ، أصيبت فى شارع بحى هاتشوبورى على بعد ٧٠٠ متر من مركز الإنفجار ، تقيأت عدة مرات أثناء محاولتها الهرب ، عانت من الضعف العام خلال الأيام الثلاثة التى أعقبت الحادث بالإضافة إلى الإسهال والإضطرابات المعوية وأخذت حالتها فى التحسن بعد ذلك واستعادت شهيتها ، غير أنها ظلت ملازمة الفراش بسبب الضعف العام ، ثم ساءت حالتها بشكل عام فى حوالى ١٨ أغسطس وأدخلت المستشفى ، وبعد دخولها ظهرت عليها أعراض البثور ، نبضها عادى ، لا تعتبر حالتها سيئة .

سقوط الشعر عرض غريب ولكننا لا نفهم كنهه ، ودون أن أدرى أمسكت بحفنة من شعر رأسى وأخذت أشدها ، لم يكن برأسى الكثير من الشعر ولكني حين انتزعت بعضه بالقوة شعرت بالألم ، وأخذت أفحص رؤوس

المرضى بعناية فتبينت أثر الشعر المتساقط بدرجات متفاوتة فى كثير منهم ، وكانت حالة الآنسة كوباياشى والسيد ساكاى من أبرز تلك الحالات ، لقد ظهر عرض جديد يجب نأخذه فى الاعتبار ، وكنت أكثر الناس قلقاً بسبب هذه الظاهرة .

أما الفتاة الجميلة الشابة التى احترق جسدها كله دون وجهها فلم تبد عليها تلك الأعراض الجديدة ، وكانت لا تزال ترقد فى بركة من القيح ، وحالتها تميل إلى الثبات لا يبدو عليها التحسن أو التدهور ، ونظراً لعدم وجود من يعتنى بها من أقاربها فقد أوليتها عناية خاصة فى كل جولة من جولاتى ، وحاولت أن أحث المرضى الآخرين على العناية بها ، وكانت تقدر لى إهتمامى بها وتبتسم كلما رأتنى ، ورغم أن جسدها كان أسوداً متسخاً غير أن إبتسامتها كانت تحمل الكثير من معانى الجمال ، وزاد من جمال وجهها بريق سن ذهبية كانت تتألق مع إبتسامتها .

وعندما عدت إلى فراشى أخبرت رفاقى بظاهرة فقدان الشعر التى بدت على المرضى ، وحاولت أن أجذب كمية أكبر من شعرى ، وفعل رفاقى نفس الشىء ، أصبح كل إنسان بالقاعة يشد شعر رأسه ، ولكن شعرهم لم يسقط ، كما أننى عجزت عن إنتزاع بعض الشعر هذه المرة من رأسى ، وحين تأكدنا من أننا لا نعانى من ذلك العرض الجديد، اقتنعنا أننا فى طريقنا إلى الشفاء واحتفلنا بهذه المناسبة بتناول بعض الخوخ وعندما أكلت الثمرة التى أصابتنى أحسست أنها قد أزالت المرارة من حلقى ، وكلما تذكرت ذلك الخوخ اللذيذ يسيل لعابى .

ظهرت أعراض الحمى على زوجتى ياميكو وأعطيتها قرصاً من الأسبرين .

٢٢ أغسطس ١٩٤٥

يوم صافى السماء

استيقظت قبل طلوع النهار بوقت طويل ، ولم أستطع مواصلة النوم ، بينما غرق رفاقى فى سبات عميق ، وتركت فراشى ووقفت فى الشرفة أرقب الشمس عند شروقها ، كانت السماء صافية والجو حاراً ! ولبثت بالشرفة حتى اكتمل شروق الشمس ، وفكرت فى الخروج لاستطلاع الخرائب التى تقع مكان قيادة الفرقة الثانية التى كانت تعسكر بالجزء الملحق بقلعة هيروشيما .

وفى الطريق إلى تلك الخرائب شعرت بالحاجة إلى التبول فتلفت حولى بحثاً عن مكان لقضاء الحاجة فعثرت على مرحاض نظيف ، وسررت لأن ذلك المرحاض كان أنظف بكثير من مرحاض المستشفى الذى لم يكن سوى حفرة فى الأرض محاطة بحوائط من الحصير كما ذكرت آنفا ، ولما كان هذا المرحاض الذى اكتشفته يقع على مسافة قريبة من المستشفى فقد عقدت العزم على استخدامه من الآن فصاعداً .

توقفت عند خرائب مخازن الجيش إلى الجنوب من المستشفى فعثرت على بقايا دراجتين ناريتين مغطاة بالحجارة المهدمة وقرميد الأسقف ، ولكن لم تكن هناك أسلحة ، وعجبت كيف استطاع الجيش أن يجلو عن ذلك المكان ، كان هناك قبل حادث القنبلة مخزن خشبى بالقرب من الجانب الجنوبى من مبنى المصلحة ، وقد اشتعلت النار أول ما اشتعلت فيه فلم يبق منه شىء سوى قطع مبعثرة من قرميد السقف ، وانتقلت النار من ذلك البناء الخشبى إلى المستشفى والمصلحة ، ورغم أن الجيش كان قد دمر دون داع العديد من المنازل فى المنطقة تحسباً للحرائق ترك هذا البناء الخشبى القابل للإشتعال فى موضعه ، على الرغم من أن جميع المنازل التى كانت تقع على بعد خمسين متراً من المستشفى قد أزيلت جميعاً ، ولهذا السبب

لم يحترق المستشفى عن آخره ولكن هذا المخزن الخشبي الذى لا قيمة له ترك فى موضعه ليكون سبباً فى الدمار الذى حدث لمبانى المستشفى والمصلحة والإصابات التى حدثت لنا .

ومن السهل أن يفهم القارىء سر كراهيتنا لقادة الجيش ، فقد كانت غلظتهم وغباؤهم لا يعرفان حـــدوداً ، ولم تراع حقوقنا الشخصية، ولم نكن ندرى متى سيسمح لنا بايقافهم عند حدهم والتعبير عن إرادتنا ، وحدث ذات مرة أن أوقف السيد ميزوجوتشى عند محطة هيروشيما واستجوبه أحد أفراد الشرطة العسكرية ، وعندما تأكد من عدم وجود سبب لمؤاخذته صفعه على وجهه لمجرد أن سحنته تشبه الكوريين .

بعدما غادرت خرائب هذه المنطقة المهجورة التى ترمز إلى الاستبداد عدت إلى المستشفى لتناول طعـــام الإفطار ، وحين كانت السيدة سايكى العجوز تقدم لى الأرز بادرتنى بالحديث وقد ارتسمت على وجهها علامات الإهتمام : « يادكتور لقد سمعت أن فرق سلاح المهندسين مستعدة أن تعطيك ما تريد من القمصان والبزات العسكرية فلماذا لا تذهب أنت والسيد ميزوجوتشى لإحضار ما يسد حاجة المرضى والمستشفى ؟ ان لديهم الكثير فالجيش يملك كل شيء » ، ثم فتحت ذراعاها إلى أقصى ما تستطيع ، واستطردت تقول : « سيعطونك مثل هذا القدر ، فلديهم البطاطين والبزات العسكرية والأحذية المخزونة فى تلال ضخمة ، صدقنى ان لديهم كل شيء فالجيش يملك الكثير ! » .

ولما كان السيد ميزوجوتشى قد تحقق من مدى صدق تلك الإشاعة فقد أدلى بدلوه فى الحديث قائلا : « أيتها الجدة ، لقد كان بعض تلك الأشياء متاحاً حتى الثامن عشر من هذا الشهر ، ولكنهم الآن لن يعطونا شيئاً ، ورغم ذلك يمكننا أن نحاول معهم » . ثم التفت نحوى وقال : « لا زال لديهم مخزون كبير فإذا توجهنا إلى ضابط القيادة بسلاح المهندسين وشرحنا له مدى حاجتنا إلى تلك الأشياء من أجل المستشفى ربما استطاع أن يفعل شيئاً من أجلنا ،

وعلى أى حال فلا بأس من المحاولة » . فوافقت على اقتراح السيد ميزوجوتشى وعزمنا على التوجه إلى قيادة سلاح المهندسين بعد ظهر اليوم .

امتلأت العيادة الخــــارجية بالمرضى الذين جاءوا يطلبون فحص دمائهم وشاهدت بين من ينتظرون دورهم فى الممر اثنان لم يبق فى رأسهما إلا القليل من الشعر ، كما رأيت السيدة مائى أوكا التى كانت تعمل من قبل ممرضة بالمستشفى وقد فقدت زوجها خلال الحادث وجاءت إلى المستشفى لفحص حالتها حيث كانت تشكو من الإعياء ، ونظرة واحدة إلى تلك المرأة المسكينة الواهنة الهزيلة ذات الوجه الـكالح والعينين الذابلتين كانت كافية للتأكد من دنو أجلها ، لقد جاءت إلى المستشفى تنشد العـون ، غير أنه لم يكن باستطاعتنا أن نصنع شيئاً من أجلها .

لم يطرأ تغير ملحوظ على حالة مرضى القسم الداخلى اليوم ، ولمـا كنت أقوم بجولات مستمرة بالمستشفى ، فقد استطعت أن أميز بين المرضى وأقاربهم الذين يلازمونهم ولم يكن ثمة مشكلة سوى أن عدد أقارب المرضى كان يفوق عدد المرضى أنفسهم ، وكان هؤلاء الأقارب يغادرون المستشفى فى الصباح بحثاً عن العمل ثم يعودوا إليها فى المساء ، وبذلك كانت عنابر المستشفى أشبه ما تكون بمنطقة سكنية مليئة بالمرضى ، ونظمت كل عائلة من العائلات حصير « التتامى » الذى تتخذه فراشاً لها بصورة تسمح بجمع أفراد الأسرة الواحدة بجوار بعضهم البعض ، وكانت تلك التتامى تحيط بموضع الموقد وآنية الطبخ ، وتولى السيد نوماتا الإشراف على عنـابر المرضى بمبنى الملحق ، بينما تولى السيد كيموتو الإشراف على عنابر المرضى بالمستشفى ، وكان عملهما نموذجاً لما بذله رجالى من جهد لتوفير مكان الإقامة لهذا الخليط من الناس تحت سقف واحد .

أصبحت حالات الصلع التى انتشرت بين المرضى تثير مخاوفنا الآن أكثر من حالات البثور ، وقد ساءت حالة السيدة هامادا اليوم ففقدت شعرها جميعاً وازدادت البثور تحت جلدها . أما الآنسة كوبا ياشي فقد سقطت صريعة الحمى

وتورمت حنجرتها وأخذت تشكو من الاعياء وضيق التنفس والآلام المعوية وأصبح رأسها الأصلع يشبه القرع الأصفر وغطت البثور جسدها بأحجامها المختلفة وأصبحت حالتها هي والسيدة هامادا في غاية السوء ، أما السيدساكاى المريض الذى تحدثت عنه بالأمس فقد بدا رأسه وكأنه حليقاً ، أما الآنسة كوباياشي التي كانت قد فقدت شعرها في وقت مبكر فقد بدأ ينبت لها شعر أسود وجعل رأسها يبدو وكأنه مطلى بالحبر ، واشترك هؤلاء المرضى الثلاثة هامادا وكوباياشي وساكاى في المعاناة من الصلع والبثور ، فتساءلت : « ترى من سيموت منهم قبل صاحبه ؟ »

لم تكن لدينا وسيلة لتقدير حجم الإصابة بالبثور لأنه ما لم تبد أعراضها على المرضى فقد تمر دون أن نلحظها ، كما أننا لا نملك وسيلة للتأكد من العلاقة بين ظهور البثور وحدوث الصلع لأن كلتا الحالتين كانتا تظهران على المريض الواحد خـــلال ساعات وعندما يصاب بهما المريض دفعة واحدة تصحبهما أعراض اعياء شديد .

بعد تناول الغذاء قمت والسيد ميزوجوتشي بزيارة قائد سلاح المهندسين ، وحاولت أن أبدو حسن الهيئة ولكن ذلك كان من الصعوبة بمكان ، فقد كان بنطلوني وقميصي متسخان ، وكانت قيادة الفرقة الخامسة بسلاح المهندسين تقع في ضاحية هاكوشيما على شبه جزيرة بين فرعين من فروع نهر أوتا إلى الشمال مباشرة من المستشفى ، وكان منزلى يقع بنفس الضاحية ، وقبل حادث القصف كنت أظن أن تلك الضاحية كبيرة المساحة ، ولكنها بدت أصغر مما كنت أظن بعدما قوضت معظم منازلها ودمر ما بقى من المنازل تدميراً شديداً ، وكانت المخازن الرئيسية للفرقة تقع عبر النهر ويصلها بالضاحية جسر كوهى ، وقابلنا عند نهاية الجسر جندى يعرف السيد ميزوجوتشي من قبل عرض علينا أن يقودنا إلى مكان القائد .

سرنا عبر منطقة كانت تحيط بها الأساحة والمعدات من الجانبين حتى بلغنا مدخل مغارة حفرت فى بطن التل حيث طلب منا الجندى الانتظار ثم دخل المغارة وعاد بعد قليل وبصحبته قائد الفرقة ، وقد دهشت عندما رأيت الجندى والقائد عزل من السلاح فشعرت بالاكتئاب حين أيقنت أن جنودنا قد جردوا من سلاحهم ، إن هذا المنظر يرمز إلى الهزيمة التى منينا بها .

كان القائد متقدماً فى السن تبدو الكآبة على وجهه ، فشعرت بالرثاء لحاله ، ولم أدر كيف أبدأ الحديث إليه ، انحنيت محيياً ، وتولى السيد ميزوجوتشى تقديمى له ، ثم استعدت رباطة جأشى وأخذت أحدثه عن المستشفى وما يقع على عاتقى من مسئوليات بادئاً بذكر تفاصيل ما حدث يوم البيكا حتى اليوم ، وأنهيت حديثى بطلب المساعدة .

واستمع الضابط العجوز إلى حديثى بأدب جم ، وعندما فرغت منه أجابنى بصوت خفيض ونبرات ضعيفة قائلا : «حتى يوم ١٧ كانت لدى أوامر بتوزيع ملابس الجيش وبعض المعدات الأخرى . أما الآن فقد تغيرت هذه السياسة وتلقيت أوامر أخرى تقضى بتسليم تلك الأشياء إلى إدارة المدينة لتتولى مسئولية توزيعها على المواطنين » .

فسألته : « أليس من الممكن أن تقدم لإدارة المدينة الملابس والبطاطين والأشياء الأخرى الضرورية لتغطية حاجة مائتين من المرضى وأن تشير إلى وجوب تسليم هذه الأشياء إلى مستشفانا ؟ » . فوافق الضابط العجوز على اقتراحى ووعد ببذل ما فى وسعه لتحقيق رغبتنا ، فشكرناه على لطفه وأحنينا رؤوسنا بالتحية ثم عدنا أدراجنا .

فى الطريق إلى المستشفى ألقيت نظرة على المعدات التى كانت تبدو كنوزاً بالنسبة لنا . كان هناك الكثير من الأشياء ، بلاط ، ومصابيح بحرية ، وأوانى للطهى ، ومكاتب ومقاعد وصناديق كتب عليها عبارة (أحذية) مكدسة فى

أ سوام تكاد تبلغ عنان السماء ، بالإضافة إلى تلال من البطاطين والبزات العسكرية وصناديق كبيرة تحوى مصنوعات جلدية ، وبدا لنا أن هذه الأشياء كفيلة بتوفير الكساء لجميع مواطنى هيروشيما ، فإذا استطعنا أن نحصل على بعض تلك الأشياء لمستشفانا لوجدنا حلا لإحدى مشاكلنا الرئيسية . وأثناء عودتنا أخذت أبحث فى ذاكرتى عمن يستطيع من بين معارفى أن يتوسط لنا فى هذا الموضوع ، ولكنى لم أتذكر أحداً ، ولهذا قررت أن أوفد السيد ميزوجوتشى إلى إدارة المدينة ليبلغ المسئولين هناك بما دار فى مقابلتنا مع قائد فرقة المهندسين ، ويلتمس منهم العون قبل أن يخرج الأمر من أيديهم .

وبعد العشاء أطلعنى الدكتور كاتسوبى والدكتور هاناأوكا على النتائج الأولية لتحاليل الدم التى قاموا بإجرائها ، ولم يكن باستطاعتهم استخدام المجهر فى الليل لانقطاع الكهرباء عن المستشفى منذ حادث القصف ، ولذلك اقتصر عملهما طوال اليوم على فحص ٥٠ حالة فقط ، وتراوح عدد كرات الدم البيضاء عند الأشخاص الذين أصيبوا بمنطقة أوشيتا على بعد ثلاثة كيلومترات من مركز الانفجار مابين ٣٠٠٠ و ٤٠٠٠ كرة ، أما المرضى الذين كانوا أكثر قرباً من مركز الانفجار فكان عدد كرات الدم البيضاء عندهم أقل من ذلك ، فبلغ عدد كرات الدم البيضاء عندهم ألفاً ، أما المرضى الذين اشتد بهم المرض فقد كانت كرات الدم البيضاء عندهم أقل من الألف ، وكلما كان موقع الإصابة أقرب إلى مركز التفجير كلما نقص عدد كرات الدم البيضاء ، فإذا استطعنا فحص دماء بضع مئات من المرضى لكان بمقدورنا أن نبين العلاقة بين البعد عن مركز التفجير وعدد كرات الدم البيضاء . غير أن موقع مركز التفجير لم يكن محدداً بدقة لأن القنبلة الذرية لم تنفجر على الأرض[1] وإنما انفجرت

---

(١) انفجرت القنبلة على ارتفاع مابين ٥٠٠ : ٧٠٠ متر فوق البحر وربما كان مركز التفجير بالقرب من مستشفى شيما ، فكما ذكر الدكتور هانشيا وجدت الاعمدة الخرسانية التى شكلت دعامات بناء المستشفى غائصة فى الارض ولا ينتج ذلك إلا عن قوة ضاغطة من أعلى والا لكانت تلك الدعامات قد سقطت على الارض بدلا من الغوص فيها .

فى الهواء ولذلك لم تترك آثاراً محددة فى موقع بعينه . وقد ذكر البعض أن القنبلة انفجرت فوق جسر أيوئى بينما ذكر البعض الآخر أنها انفجرت فوق مكتب بريد هيروشيما أو مستشفى شيما أو متحف العلوم والصناعة أو مدخل هيكل جوكوك ، ولما كنا لانستطيع ترجيح أحد تلك الآراء فإنه لا يمكننا أن نحدد مركز التفجير بدقة . وقد أجمعت معظم الآراء على اعتبار مدخل هيكل جوكوك مركزاً للتفجير ، ولكنى أعتقد أن ذلك المركز يقع إلى الجنوب من الهيكل ، ولذلك افترضنا أن تلك المنطقة هى مركز التفجير .

وقد دفعتنا النتائج الأولية لفحوص الدم إلى المزيد من حب الاستطلاع فتلك هى المرة الأولى التى نواجه فيهاعدواً مجهولا هو القنبلة الذرية ، وأثارتنى نتائج التحاليل حتى أننى لم أستطع النوم طوال الليل إلا لماما .

٢٣ أغسطس ١٩٤٥

يوم صافى السماء وإن بدت بعض السحب فى الأفق وتهب نسمات عليلة .
بدأت يومى بزيارة المرحاض الأنيق الذى اكتشفته بالأمس ، وعندما عدت إلى الحجرة كان السيد شيوتا متجهماً يرقبنى من النافذة ، والسيد شيوتا هذا هو مديرنا السابق الذى أعيد إلى وظيفته منذ بضعة أيام ، وكلما أتيحت له فرصة الخروج من المصلحة كان يعود إلينا بكيسين بكل منهما خمسين علبة من السجاير ، ولاأدرى من أين أو كيف كان يحصل على تلك السجاير ، ولكننا كنا نسعد بها ، ولم أر مثل هذه الكمية من السجاير إلا فى محلات البيع ، ولم أحلم يوماً بالحصول على مثلها ، وكنا نحتفظ بتلك العلب لنستمتع بكرم السيد شيوتا ، وقد شاركنا الاستمتاع بها مدمنوا التدخين من المرضى ، وساعدت تلك السجاير معاونينا من الطلبة على أداء خدماتهم على الوجه الأكمل ، فلم يكن باستطاعتنا أن نفعل شيئاً دون أن يؤمن لنا السيد شيوتا مؤونتنا من السجاير ، وهو أمر لم يكن متاحاً لمواطنى هيروشيما فى تلك الأيام .

تحسنت حالة الدكتور ساسادا اليوم فأصبح باستطاعتنا أن نرى وجهه البرىء وراء تلك القشرة التى يختلط لونها بالأحمر والبنى ، كان تحسنه طفيفاً ، كما أن البثور التى ظهرت فى صدره والتى حاول أن يخفيها عنا شفيت تماما ، أما حروق الآنسة ياما فما زالت تؤلمها ولكن لم تبد عليها أعراض البثور أو الصلع ، وقل الرشح من حروق الآنسة سوسوكيدا وتحسنت حالة وجهها ، وهبطت درجة حرارة زوجتى غير أنها لاتزال تعانى من القشعريرة ولكنها لاتبدو فى حالة سيئة ، وقد ابتهجنا جميعاً لاختفاء البثور من صدر الدكتور ساسادا لأن ذلك يعنى أنها لاترتبط دائماً بالموت ، وهو استنتاج جعلنا نمتلىء بهجة وتفاؤلا .

وحوالى الساعة العاشرة زارنى صديقى السيد ايسون ، وكان نبأ تعيينه رئيساً لمصلحة المواصلات مفاجأة لى ، وكان يشغل من قبل منصب رئيس القسم الطبى بوزارة المواصلات عندما التحقت بخدمة المصلحة ، ونال احترامى لعلمه وكفايته فى إدارة المستشفيات ، وكان قلقاً بسبب الإشاعات التى تواترت عن أن هيروشيما لن تصبح صالحة للسكن قبل ٧٥ عاماً فلم أتوان عن بث الطمأنينة فى نفسه .

كان الجو فى العنابر الأخرى يختلف تماماً عن الجو فى قاعتنا هذا الصباح فإن المرضى الذين لم يصبهم الصلع كانوا قلقين على مصيرهم يشدون شعرهم من حين لآخر ، أما أولئك الذين أصابهم الصلع فقد ظنوا أنهم قد أصبحوا على أعتاب الموت ، ويجب أن أعترف بمشاركتهم هذا الشعور رغم أن اختفاء البثور من جسد الدكتور ساسادا قد أقنعنى أنه لاصلة بين تلك الأعراض وبين الوفاة . وحدث أثناء مرورى بالمستشفى أن استوقفنى أحد المرضى قائلا : « يادكتور ، أن شعرى قد خف أليس كذلك ؟ » فأجبته بقولى : « لقد ولدت بشعر خفيف وقضى الزمن على جزء آخر من شعرى ولعلك تعلم كما أعلم أنا أيضاً أنه لاعلاقة بين الشعر وطول العمر » . ولكن هذه الإجابة كانت تخفى ما أعانية من الخوف ، فلم أقل للمريض أننى كنت أشد شعرى مثل الجميع

لأتأكد من أنه لن يسقط ، كنت فى قرارة نفسى قلقاً إلى حد كبير ، ولم ينطل تظاهرى بالشجاعة على أحد ، وكلما حاولت أن أخفى حقيقة شعورى فضحتنى تعابير وجهى .

واكتشفت خلال جولاتى أن أولئك الذين لم تبد عليهم أعراض أخرى غير الصلع قد بدأوا فى التحسن ، وأصيب أحد مرضى العيادة الخارجية بالصلع تماماً ولكنه لايشكو من الاعياء ، غير أن الصلع لايعنى أن وفاة المريض أمر لامفر منه . وقد تجولت بين المرضى مرات ومرات ، أطايب خاطرهم ، وأهدأ من روعهم ، دون أن أستطيع أن أقدم لهم العلاج الناجع . أما المرضى الثلاثة الذين وصفت حالتهم بالأمس فقد ازدادوا وهناً على وهن ، وانتشرت البثور فى أجسادهم ، وكان السيد ساساكى أشد الثلاثة مرضاً واعياء ، ربما ذلك بسبب تقدمه فى السن ، فأصبح أصلعاً تماماً هو والآنسة كوباياشى ، أما شعر السيدة هامادا فقد خف قليلا ، ومن الصعب أن نقرر إذا كانت ستصبح صلعاء تماماً أم لا .

وكان بين مرضى البثور من اختفت بثورهم مثل الدكتور ساسادا ، بينما كانت البثور عند البعض الآخر تتناقص ، وليس لدينا دليل حتى الآن أن ثمة علاقة بين سقوط الشعر والبثور المنتشرة تحت الجلد ، وربما ارتبط الصلع بالحالة الصحية العامة للمريض أو العكس .

قمت هذا الصباح بإضافة حالة جديدة إلى سجل العيادة :

السيد أوتانى ، ذكر ، السن خمسون عاماً ، أصيب فى الطابق الثانى بمبنى إدارة التموين فى هاتشوبورى على بعد ٧٥٠ متراً من مركز التفجير ، تقيأ نحو خمسة عشرة مرة فور سقوط القنبلة ، وكان يشكو من الصداع والاعياء ، تحسنت حالته بعد أسبوع وأصبح قادراً على المشى مرة أخرى ، يشكو من التهاب اللثة ، منذ يومين أو ثلاثة أيام أصبحت حالته سيئة ، لاتبدو عليه أعراض الصلع ولكن البثور تنتشر فى جسده .

وتعد حالة هذا الرجل مماثلة لحالة الكثيرين الذين تماثلوا للشفاء ثم تدهورت صحتهم بعد ذلك ، وإذا صح ذلك فإنه يعنى أن الأشخاص الذين يبدون الآن فى حالة طيبة قد يمروا بنفس المرحلة .

انتهيت من جولاتى وذهبت لتناول طعام الغذاء ، ولم يكن هناك بحجرة الطعام سوى السيدة سائيكى العجوز ، فقلت لها أثناء جلوسى لتناول الطعام : « أيتها الجدة ، أن عدد المرضى الذين ساءت حالتهم فى ازدياد ، أننى لا أهتم كثيراً لحالة أولئك الذين فقدوا شعرهم ، ولكنى قلق على أولئك الذين يشكون من تورم الحلق والحمى إذ لا يبدو عليهم التحسن ولا أمل لهم فى النجاة ، حتى إذا تحسنت حالتهم نوعا ما فإنها لاتلبث أن تسوء من جديد » . واستمعت إلى الجدة التى تحملت كل مشاكلنا بصبر وتوقفت برهة وهى تعد الشاى لتقول : « يادكتور ، يجب أن تعتنى بنفسك أولا ، فالإرهاق فى العمل فى مثل تلك الظروف غير مستحب ، وأنت تعمل فوق طاقتك ، أن لون وجهك أصبح لا يعجبنى ، يجب عليك أن تبحث عمن يساعدك ويخفف عنك بعض العناء » . ووضعت الجدة كوب الشاى أمامى وبعد أن شربته دخنت سيجارة ثم عدت إلى غرفتى . وقلت للدكتور ساسادا والسيد شيوتا : « إن السماء تبارك هذه القاعة ، إن السماء تباركها ، ولكن مرضى الطابق الأرضى حالتهم سيئة أنه أمر مزعج ، فالذباب ينتشر بينهم ، ويغطى السقوف مثل بذور السمسم ، وإذا اقتربت من المرحاض رأيتهم يتدفقون عليه فى جلبة كبيرة ، حتى أن السيدة سائيكى العجوز تسميهم الذباب الآدمى (نيمباى) ، أتدرون لماذا ؟ لأنها رأت الناس يذبونهم كما يذبون الذباب » ، وضحك رفاقى غير أنى واصلت الحديث بضيق : « إذا كنتم لا تصدقوننى أنزلوا إلى الطابق الأرضى وانظروا بأعينكم » فرد السيد شيوتا قائلا : « أننا نعلم هذا جيدا ولم نضحك منك ، ولكننا ضحكنا من التعبير الساخر الذى أطلقته السيدة سائيكى عليهم ، ربما كانت على حق ولهذا السبب رأيناك تختار المرحاض الذى يقع خارج المستشفى » . فأجبت : « جربه مرة

ياسيد شيوتا وقارن بيته وبين مرحاض المستشفى لتعرف أيها الأحسن ، ولكنى أنصحك أن تنتظر حتى يحل الليل إذا أردت أن تقضى حاجتك » .

وجاء الدكتور كوياما بينما كنا نضحك ونمزح حول موضوع المرحاض والذباب الآدمى الذى حدثتنى عنه السيدة سائيكى ، وبداعليه الضيق فقال متعجبا : « كدت أفقد صوابى فإن محاولة تنظيم فرق الإسعاف من الصعوبة بمكان ، ولا أستطيع أن أحصل منهم على عمل مفيد ، لأنهم يجاسون ويثرثرون فى مسائل لا تتصل بعملهم ، ألا يكفى هذا العبث ؟ » .

وشرع الدكتور كوياما فى إعطائى بعض التفاصيل حول نظـــام العمل بالمستشفى حتى يغير موضوع الحديث ، فذكر لى أن الدكتور فوجى طبيب الأسنان يتولى الإشراف على عيادة الجراحة الخارجية ، أما الدكتور هانا أوكا فيدير العيادة الطبية الخارجية ، بينما كان الدكتور آكى ياما يشرف على عنابر المستشفى وملحق المستشفى بمبنى المصلحة ، ويتولى توجيه الأطباء الخارجيين الذين جاءوا لمساعدتنا ، وتفرغ الدكتور كاتسوبى لغرفة العمليات والعناية بالمرضى فى العنابر الداخلية ، أما الممرضات فقد مارسن عملهن فى هذا المكان أو ذاك كلما دعت الحاجة إلى الإستفادة بجهودهن ، وتولى الدكتور كوياما إدارة عيادة العيون بالإضافة إلى واجباته الإدارية .

وسألت الدكتور كوياما عن ملاحظاته حول مرضى عيادة العيون فذكر لى أن قاع عيون المرضى الذين كانوا ينظرون إلى الطائرة ساعة إلقائها القنبلة قد احترق ، ويبدو أن بريق الضوء الناجم عن تفجير القنبلة اخترق حدقات عيونهم وأصابهم بالعمى ، وأن معظم حالات حروق قاع العين من الدرجة الثالثة ولذلك لا أمل فى شفائهم ، أما أولئك الذين أصابتهم الحروق فى وجوههم أو أجسامهم فكانوا أحسن حظاً ، فإذا كانت وجوههم قد شوهت فإنهم على الأقل لا زالوا يحتفظون بنعمة البصر .

عاث زوجتى من الحمى من جديد وازداد إرتجافها فأعطيتها أقراصاً من الاسبرين والبيراميدون .

٢٤ أغسطس ١٩٤٥

جو لطيف بشكل عام .

كان الليل مرتعاً للبعوض ، ونتيجة لذلك لم أذق طعم النوم إلا لماما ، ورأيت فيما يرى النائم حلماً مزعجاً ، رأيتنى فى طوكيو عقب وقوع زلزال مدمر أسير وسط تلال من أشلاء الموتى ، وكانت جميـــع الجثث تنظر إلى ، ورأيت عيناً فوق راحة فتاة ، ثم طارت تلك العين فى السماء فجأة واتجهت نحوى وحين نظرت إلى السماء رأيت العين أكبر بكثير من حجمها الطبيعى ، وأخذت تحوم حول رأسى بينما كانت حدقتها متجهة نحوى ، ولـكنى كنت عاجزاً تماماً عن الحركة .

واستيقظت على إحساس بضيق التنفس ، وكان قلبي يدق بعنف ، ويبدو أننى كنت ألتقط أنفاسى بصعوبة بعد هذا الحلم المفزع ، لقد تأثرت كثيراً بالقصة التى سمعتها عن ذلك الرجل الذى كان يحمل عينيه على راحة يده فى نقطة اسعاف هيجى ياما .

واستلقيت على فراشى محاولا أن أتذكر إسم الرجل الذى قص على تلك القصة ، ولـكنى لم أستطع تذكر اسمه ، كنت أعرف الرجل تمام المعرفة ، وأعرف مكان عمله ولـكنى لا أذكر اسمه ، وقد أزعجنى عدم القدرة على تذكر الأسماء وهى ظاهرة بدت بشكل واضح بعد البيكا ، وكانت الأسماء تطرأ عـلى ذهنى أحياناً ثم تختفى تماما أحيانا أخرى ، وكثيراً ما كنت أتذكر الأسماء ولا أكاد أتذكر الملامح ، فإذا استمر الأمر على ذلك الحال ربما بلغت حد الجنون .

وتذكرت تقرير الدكتور كوياما عن المرضى الذين فقدوا البصر نتيجة تركيزهم النظر على القنبلة ساعة البيكا ، وحالتهم لها مايبررها ، فقد تلفت أعصاب عيونهم تماما ، ولكنى لم أصب بشكل مباشر ، رأيت البريق حقاً ، ولكن الإشعاعات المحرقة لم تصبنى بسوء ، وظلت عدسات عينى سليمة . وربما كان البيكا يسبب تلف الأجهزة حتى لو أصابها بشكل غير مباشر ، ولعل الضعف أصاب عينى نتيجة البيكا ، ولا أعتقد أننى أعانى حالة إعياء رجعى ، ترى هل من الممكن أن يحدث ذلك بالنسبة للعيون ؟ وهل هناك علاقة بين تلك الظاهرة وعدم القدرة على تذكر الأسماء وملامح الوجوه ؟ وهل ستتحسن حالتى أم ستلازمنى هذه الحالة حتى نهاية العمر ؟ وعندما أشرق الصباح كنت فى حالة سيئة ، أوقن أن الشفاء لن يعرف طريقه إلى .

ولم يخفف الافطار كثيرا مما أعانيه ولذلك عدت إلى فراشى بعد الإفطار ، وأخذت أحملق عبر النافذة شارد الذهن ، فوقعت عيناى على شاحنة تتجه نحو المستشفى ، ونسيت كل متاعبى ، كانت الشاحنة محملة باللوازم التى طلبناها من فرقة سلاح المهندسين وبعد تفريغها أصبحت هناك كومة هائلة من الأشياء أمام باب المستشفى تشمل المناشير والبلط وأوانى الطبخ والحبال والدلاء والمصابيح والأحذية والفؤوس والسكاكين والمكاتب والعديد من الأشياء الأخرى ، يالها من معونة ثمينة !

وساهم فى تفريغ تلك الحمولة كل قادر على الحركة من المرضى وأقاربهم ، ونالوا كل مايحتاجون إليه ، وكان إقبالهم كبيرا على أدوات الطهى ، ولم أشأ أن أتخلف عن الركب ، فحصلت لنفسى على إناء أبيض للأرز تتوسطه نجمة زرقاء ، وطبق أبيض تزينه رسوم الكريز ، وعم الفرح والابتهاج جميع من بالمستشفى ، وانقلب سكون عنابر المستشفى إلى ضوضاء وصخب لم نعشهما منذ البيكا ، فتعالت الأصوات والضحكات ، وأصبح المرضى الذين كانوا يطهون طعامهم فى علب

الصفيح يقتنون الآن أوانى جديدة وأطباق جديدة وضعوها بجوار وسائدهم ، وسعد فريق الصيانة بالمستشفى بالحصول على المناشير والبلاط فبمقدورهم الآن أن يوفروا لنا كل مانحتاجه من أخشاب للوقود ، وأصبح لدينا معدات للطهى وأوانى للطعام لأول مرة منذ وقع البيكا ، كما تتوفر لدينا الآن الآلات والأدوات اللازمة لتوفير حاجتنا من الأخشاب .

ولم أستطع أن أقوم بجولاتى المعتادة هذا الصباح ، فقد اختلط الحابل بالنابل فى المستشفى ، ولذلك قمت بتلك الجولات بعد الظهر .

توفى السيد ساكاى بعد أن اشتكى فى لحظاته الأخيرة من ضيق التنفس وفقدان الرؤية ، كما ماتت السيدة هامادا بنفس الطريقة ، أما الآنسة كوباياشى فقد بلغت درجة حرارتها ٤١° ولكنها كانت لاتزال على قيد الحياة ، وساءت حالة فمها المتقيح وأخذت تعانى من ضيق التنفس ، ومنذ الصباح داهمتها آلام معوية حادة ولم نستطع التحقق مما إذا كانت تعانى من التهاب بريتونى أو تهتك فى المعدة ، أما السيد أونومى فقد زاد وهنا على وهن ، وغطت البثور جسده ، كما أخذ يعانى من سقوط الشعر هذا الصباح ، أما المرضى الذين أصبحوا صلعى تماما أو الذين كانوا فى طريقهم إلى الصلع فلم تبد عليهم أعراضاً جديدة . وأكد هذا استنتاجنا أن الصلع لا يعنى بالضرورة دنو الأجل . وتحسنت حالة الدكتور ساسادا والسيد شيوتا ، أما الآنسة ياما والآنسة سوسوكيدا فلم تتجاوز حالتهما حد الخطورة ، وإن كانت تميل إلى الثبات ، واستمرت زوجتى تعانى من الحمى والرعشة ، ولم أملك من وسيلة لعلاجها سوى الإسبرين . وبعد العشاء تبادلت أطراف الحديث مع السيد ميزوجوتشى والآنسة كادو والسيدة سايكى العجوز بحجرة الطعام ، وعلمت منهم أن الناس هاجموا مخازن سلاح المهندسين ، وكانوا مثل قبائل البربر يجرون العربات ويحملون فوقها كل ماتصل إليه أيديهم . وعلمت أن جانبا من الإمدادات التى وصلتنا اليوم وتركت أمام المستشفى قد سرق .

لقد أصبحت هيروشيما مدينة مضطربة ، ولكنى لم أدهش لسماع تلك الأخبار، فلم تكن هناك قوات لحفظ الأمن بالمدينة غير أنى شعرت بالخجل لأعمال السلب والنهب التى حدثت .

رأيت ضوءا يتراقص أمام نافذتى فى وقت متأخر من الليل ، وحين نظرت من النافذة تبينت أنهم يحرقون جثتى السيد ساكاى والسيدة هامادا ، وكان ظل الحمام يتأرجح خلف محرقة الجثث .

٢٥ أغسطس ١٩٤٥

غيوم فى الصباح الباكر ما لبثت أن انقشعت ثم أصبح السماء صحوا .

إستيقظت وذهبت إلى مرحاضى الخاص، وفى طريق العودة إلى المستشفى توقفت عند المكان الذى أحرقت فيه جثتا السيد ساكاى والسيدة هامادا ، ولم تكن عظام الجماجم تحترق تماماً من قبل لعدم توافر الأخشاب لدينا ، أما الآن فقد توافرت الأخشاب بعد حصولنا على المناشير والباط ولم يبق من الجثتين سوى رماد أبيض .

عسكرت جيوش من الذباب حول مدخل المستشفى ، وكلما خطا المرؤ خطوة طار الذباب فى سحب سوداء ، وكان صوت طنينه فظيعاً ، ورأيت كومة من الذباب فوق بعض عظام السمك ، فمددت عصا وحركت تلك العظام لأجد تحتها كميات ضخمة من الدود الأبيض، وما كدت أرفع العصا بعيداً عن موضع العظام حتى عاد الذباب يتكوم فوقها بشكل مخيف ، ولم يكن ذلك الذباب ذبابا أدمياً (نمباى) على حد تعبير السيدة سايكى العجوز ، ولكن ليس ثمة فرق على أى حال ، فالذباب يتواجد داخل المستشفى كما يتواجد خارجه ، ولا نملك وسيلة للقضاء عليه ، فمع رداءة الجو وانتشار القاذورات إلى درجة كبيرة يتهيأ له مرتعاً خصبا ، وكان الذباب أقل مضايقة بالطابق الثانى منه بالطابق الأرضى.

كنا لا نرى ذبابة واحدة حولنا بعد البيكا ، ولكننا الآن نغرق فى خضم من الذباب والبعوض ، وقد ناقشنا هذه المشكلة أثناء تناول الافطار على أمل أن نجد فكرة عند أحدنا تفيد فى التخلص من تلك الحشرات ، ولكن السيدة سائيكي العجوز ضربت رأسها بيدها وقالت : « انه ذباب آدمى تقمصته أرواح الموتى ، ولذلك لا يمكن مواجهته ، انه يملأ الطابق الأرضى والمطبخ ، حتى أن المرء لا يكاد يفتح فمه دون أن يتفادى اندفاع الذباب فيه » . وفكرنا فى إحراق المناطق التى يتوالد فيها الذباب حول المستشفى بالبنزين ، ولكن من أين لنا به وقد أصبح البترول أثمن من دم الإنسان ، ولذلك عدلنا عن الفكرة ، كما أن الذباب كان يتكاثر فى الخرائب المنتشرة فى المدينة كلها ولذلك لا يحتمل أن تثمر الجهود التى تبذلها فى هذا الصدد .

تلقينا اليوم حمولة جديدة من المعونة العسكرية التى قدمها لنا سلاح المهندسين ولكن تلك الحمولة كانت أقل نفعاً من حمولة الأمس فيما عدا بعض أوانى الطهى وأحد المواقد وبعض المكاتب القديمة المتآكلة ، وتضمنت حمولة اليوم صناديق ممتلئة بأعلام اليابان الصغيرة وأخرى تحتوى على بعض الأدوات ذات اللون الكاكى ، كما ضمت بعض الصناديق أشياء صغيرة كان من بينها مصابيح تعمل بالبطارية داخل أكياس من الجلد .

وكان الأشخاص الذين يأتون إلى المستشفى أو يغادرونها يأخذون بعض الأعلام وبعض الأدوات ذات اللون الكاكى ، وكان الأطفال يلعبون بالأعلام ويجرون هنا وهناك ملوحين بها متصايحين ضاحكين بسعادة غامرة . وراقبت من نافذة غرفتى الناس وهم يأخذون بعض تلك الأشياء التى كومت أمام المستشفى كان بعضهم ينظر ذات اليمين وذات الشمال خلسة قبل أن يلتقط ما يريد ، بينما كان البعض يلتقط الشيء ثم ينظر ذات اليمين وذات الشمال وينصرف ، على حين كان البعض الآخر يهجم على تلك الأشياء يجوس بينها بطريقة تبعث على

الاشمئزاز ويختطف ما تصل إليه يده ثم ينصرف مسرعا . كانت تلك الدراما الصغيرة تعكس طبيعة وتربية هؤلاء وأولئك ، وكان القليل من الناس يقف امام كومة المعدات ثم يسأل بعض العاملين بالمستشفى عما إذا كان باستطاعته أن يأخذ بعضا منها ، وجعلنى هذا النوع الأخير من الناس أشعر أن الخير ما زال موجودا فى هذا العالم ، كما جعلنى أعقد العزم على مراجعة نفسى قبل الاقدام على سلوك أى مسلك .

وفى جولاتى هذا الصباح اكتشفت أن جميع مرضى القسم الداخلى يعانون الآن من البثور والصلع ، ورغم ذلك لم تتدهور أحوالهم ، مما جعل التفاؤل يعم جميع عنابر المستشفى ، وقد سألنى الكثيرون عما إذا كان شعرهم سيلبت من جديد ، ورغم أننى لم أكن على يقين من ذلك كنت أرد بالإيجاب ، ولم يكن من الأمانة أن أتصرف على هذا النحو ، ولكن عزائى الوحيد أن كلماتى كانت تبعث السرور فى نفوس هؤلاء المرضى .

وقليل من بين مرضى البثور والصلع من جفت حلوقهم وارتفعت حرارتهم وكانت حالة هؤلاء المرضى سيئة وعدد كرات الدم البيضاء عندهم أقل من غيرهم أما السيد أونومى فكان يعانى ألما مبرحاً نتيجة سقوط الشرج ، وازدادت البثور فى صدره ، وساءت حال فمه وارتفعت درجة حرارته ، وبدت حالته سيئة بوجه عام . غير أن الآنسة كوباياشى كانت أسوأ منه حالا فلا زالت تعانى آلاماً معوية وحالتها سيئة بوجه عام ، ورغم أنها لم تقاوم يدى حين قمت بفحصها إلا أن لمسات أصابعى كانت تسبب لها ألما مبرحاً ، كان فمها وحلقها جافان متورمان ، ولم يكن باستطاعتها ابتلاع أى شىء ، وبلغت درجة حرارتها ٤١° ، ورجتنى أن أيسر لها سبيل الموت .

وكان كلا من السيد أونومى والآنسة كوباياشى قد اشتكيا من التجشؤ وفقدان الشهية بعد البيكا ، ثم عانيا من القىء والاسهال بعد ذلك ، ولكن

حالتهما تحسنت بعد أسبوع ، ثم أصابتهما البثور والصلع منذ أربعة أو خمسة أيام ، وازداد شعورهما بالألم المصحوب بالتهـــاب الفم وتورمه ، وأصبح واضحاً أن هذه المجموعة من الأعراض بالإضافة إلى انخفاض عدد كرات الدم البيضاء الذى اتفقا فيه تحدد جميعاً تشخيص حالتهما .

أما الدكتور ساسادا فكان آخذا فى التحسن ، وفكرنا فى السماح له بمغادرة المستشفى ، واستمرت حالة الآنسة ياما والآنسة سوسوكيدا على ما كانت عليه دون تحسن .

دخل السيد كادويا مدير إدارة الشئـــون الاجتماعية بمصلحة المواصلات المستشفى بعد أن ظهرت عليه أعراض الإسهال ، وكان قد نقل إلى مصلحة المواصلات بهيروشيما بعد البيكا ، فنقلت زوجتى إلى فراش فى الممر حتى تخلى مكانها للسيد كادويا،وكان الإسهال عنده مصحوباً بآلام معوية شديدة ،وظننت أن حالته ستتحسن لأنه لم يكن موجوداً بهيروشيما عند إنفجار القنبلة .

وبعد تناول العشاء تبادلنا أطراف الحديث حول الآثار التى ترتبت على تفجير القنبلة الذرية،وكان الاعتقاد السائد بيننا أنه إذا كانت تلك القنبلة تحوى غازا ساما فان الموت لابد أن يكون ظاهرة عامة ، ولاحظ البعض أن من جاءوا إلى هيروشيما بعدالبيكا ظهرت عليهم أعراض شبيهة بتلك الأعراض التى ظهرت على أهالى هيروشيما الذين كانوا يقيمون بها عند وقوع الكارثة،وذكرت حالة رجل جاء من جيون إلى هيروشيما بعد البيكا ثم مات بتلك الأعراض،كمالاحظت أن التهاب اللوزتين والحلق وجفاف الفم كان عرضاً سائدا بين أولئك الذين نجوا من الإصابة،وظهرت عليهم تلك الأعراض بعد قيامهم بتمريض المصابين،وأشيع أن الكثير من الناس الذين كانوا يحتمون داخل مبانى خرسانية قرب مركز التفجير قد نجوا من الإصابة فى بداية الأمر ثم ماتوا بتلك الأعراض بعد ذلك نتيجة قيامهم بالعمل وسط الخراب.وعاد القلق يسيطر على الجميع من جديد،وعجزنا عن بعث الطمأنينة فى نفوس من أصيبوا بالصلع والبثور، فمخاوفهم لها ما يبررها.

انقضت ستة أيام على الفحص الأول الذى أجريناه للدم، وعلينا أن نكرر الفحص مرة أخرى فى الغد، وعقدت العزم على أن أعد تقريرا بنتيجة الفحص فى كل عنبر من عنابر المستشفى وأن أضمن تلك النتائج فى تقرير شامل يتضمن العلامات والأعراض التى بدت على مرضانا مع وصف ما يطرأ على حالتهم من تطور ، فقد يساعد ذلك على إستعادة الطمأنينة إلى النفوس ، وإقتنعت أن مثل ذلك التقرير الذى يعتمد على ملاحظاتنا سيفعل الكثير لازالة مخاوف المرضى . وآويت إلى فراشي لأنعم لأول مرة بنوم عميق .

٢٦ أغسطس ١٩٤٥

جو غائم ممطر طوال اليوم .

كنت منهمكا فى كتابة ملاحظاتى حول أعراض المرض بعد تناول الإفطار عندما اندفعت إحدى الممرضات إلى الحجرة لتبلغنى نبأ احتضار الآنسة كوباياشى ، وما كدت أصل إليها حتى كانت قد فارقت الحياة .

وكانت تشكو باستمرار من آلام باطنية مبرحة منذ الصباح الباكر ، رغم أن بطنها كانت قد ترهلت قليلا ، ولم نلاحظ عليها أعراض الالتهاب البريتونى ، ترى هل كانت تشكو من التهاب البنكرياس أو من فتق نتيجة حمل خارج الرحم ؟ لقد كان المرضى الآخرون يشكون من آلام البطن ولكن حالتها كانت أكثر إيلاماً من غيرها ، وقد تناقشت مع الدكتور كاتسوبى حول الاحتمالات المختلفة للمرض ولم نصل إلى نتيجة أفضل من تلك التى بدأنا بها ، وكان ثمة سبيل واحد للوصول إلى الحقيقة فقلت للدكتور كاتسوبى : « يجب أن نشرح الجثة فهذا هو السبيل الوحيد للتعرف على هذه الحالة » ، فوافقنى الدكتور كاتسوبى على هذا الاقتراح وهو مستغرق فى التفكير .

حل ميعاد فحص الدم بالنسبة لنا ، فنزلت مع الدكتور كاتسوبى إلى العيادة

الخارجية بالطابق الأرضى ، وعلمنا من الدكتور هانا أوكا أن أولئك الذين كانوا بالقرب من مركز التفجير لا زال عدد كرات الدم البيضاء عندهم منخفضاً ، أما أولئك الذين كانوا على بعد يتراوح بين ثلاثة إلى أربعة كيلو مترات من مركز التفجير فقد كان عدد كرات دمائهم البيضاء متزايداً . وسررت حين علمت أن عدد كرات دمى البيضاء أخذت تتزايد من ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف ، وربت الدكتور هانا أوكا على كتفى وقال : « إن كل شيء على ما يرام الآن يا دكتور » .

وحين عدت إلى حجرتى أخبرت الجميع أن خلايا دمى البيضاء قد تزايد عددها وحثثتهم على الذهاب لإجراء الفحص ، وقد كان لهذا النبأ وقع طيب عندهم ، وبينما كنت أتحدث مع من حولى فرحاً جاءنى من يبلغنى أن الرئيس إيسونو يريد أن يرانى ، فذهبت إلى مكتبه لأجـــده قلقاً مرتاعاً ، وبادرنى بالسؤال دون تحية : « يا دكتور هاتشيا هل أنت بخير ؟ إن لون بشرتك لا يبدو طبيعياً ، هل صحيح أن الناس الذين جاءوا إلى هيروشيما بعد البيكا سيلاقوا حتفهم ؟ وهل يجب أن نترك المصلحة ونذهب إلى مكان آخر ؟ إن العاملين معى ينتابهم القلق ولا يقبلون على العمل كما يجب ، فما رأيك ؟ » فأجبته بقولى : « أيها الرئيس إيسونو ، أعتقد أنك منزعج لأنك نقلت إلى هنا من مكان آخر ، أما نحن الذين لم نترك هـذا المكان منذ وقع الحادث الأليم فقد اعتدنا الظروف التى نعيشها ، ولم نعد نشعر بالضيق نحوها ، وقد سمعت مثلك تماماً أن الناس لن يستطيعوا الحياة هنا طوال الخمسة وسبعين عاماً القادمة ولكنه هراء ، انظر إلىّ لقد عاصرت الحادث من بدايته ولم يبق مكان فى جسدى دون إصابة ، وها أنذا أسترد صحتى ، ويحدث نفس الشيء لبقية العاملين معى ، فلم يمت منا أحد ، وعدم انتظام موظفيك فى مزاولة أعمالهم راجع إلى ارتباطاتهم المنزلية وإلى ما يقع على عاتقهم من مسئوليات عائلية عاجلة ، وأنت تعلم — كما أعلم أيضاً — أن

كل بيت فقد واحداً أو أكثر من أفراد الأسرة أو لحقت بهم الإصابات ، أما الذين قضوا نحبهم فقد كانوا أقرب الناس إلى مركز التفجير ، وثمة علاقة بين تأثير القصف والأعراض التي بدت على المرضى والتي تطورت على شكل بثور أو صلع ، وسنقوم بتشريح جثة أحد هؤلاء المرضى اليوم ، ونحن قلقون على حال المرضى وليس على غيرهم ممن جاءوا إلى هيروشيما بعد سقوط القنبلة ، وأعترف لك أننا لا نعرف سبب تلك الأعراض كما أننا لا ندري ماذا نفعل » .

وحاولت أن أطمئن الرئيس إيسونو غير أنى لم أنجح فى ذلك ، فقد استطرد قائلا : « إذا لم يكن باستطاعتك أن تصنع شيئاً فإن عدد العاملين سوف يتناقص ثم لا نجد بعد ذلك من يقوم بالعمل ، وأعتقد أن ما يجب أن نفعله لاستعادة ثقة العاملين هو أن تنقل المصلحة إلى مكان أكثر أمناً ، فربما كانت السموم لا تزال تنتشر فى المدينة » .

فأجبته بحدة : « إننى أعلم أن هناك من يقول إن جو المدينة مسمم ، ولكنها أكذوبة ، وهذا المستشفى خير مثال لعدم صحة هذه المعلومات ، فلم يمت منا أحد بعد ، ولن يدرك الموت أحدا » .

فأجاب الرئيس إيسونو بلهجة تنضح بالشك : « إننى أعجب لذلك » . فاستطردت قائلا بحماس: أيها الرئيس ، ثق تماماً أن كل شىء سيصبح على مايرام وفى نيتى أن ألصق تقريراً فى مكان يستطيع كل فرد أن يقرأه لإزالة مخاوف الناس التى ثارت نتيجة الإشاعات الكاذبة التى انتشرت فى المدينة » ، فأجاب الرئيس متعلقاً بالأمل : « حسناً ، أرجوك أن تفعل هذا » .

كان الرئيس إيسونو المسكين يحاول أن يصدقنى بصعوبة بالغة وأفكاره شاردة فقلت له وأنا أغادر المكتب : « دع الأمر لى » .

عقدت العزم على ألا أدخر جهداً فى سبيل الوصول إلى الحقيقة ، وأن نلصق بياناً بالنتائج التى نتوصل إليها حتى يصبح بمقدور كل إنسان أن يطلع عليه فى صبيحة الغد .

تناولت طعام الغـــداء وبينما كنت أهم بالذهاب إلى حجرتى نادتنى السيدة سايكى العجوز قائلة : « يا دكـــتور ، إن الدكتور كاتسوبى يبحث عنك ، لقد تركته واقفاً أمام غرفة الأشعة ، وتجده فى انتظارك هناك » .

وجدت الدكتور كاتسوبى فى حجرة الأشعة مع جثة المريضة المسجاة فوق منضدة ، وكان يهم بتشريحها ، فانحنيت احتراماً لروح المتوفاه ، واتجهت نحو المائدة ، وفتحت بطن الجثة لأجدها ممتلئة بسائل دموى ، فصحت متعجباً : « إنه أمر غريب يا دكتور كاتسوبى ، فهى حالة تهتك البنكرياس» . فهز الدكتور كاتسوبى رأسه قائلا وقد أخذت يده تجول داخل تجويف البطن: « لا أعتقد أن البنكرياس هو السبب » .

كان الطحال ضامراً ، أما الكبد فكان بنياً داكناً محتقناً وقد اكتسى ببقع دموية صغيرة ، وتمددت الشعيرات الدموية للمعدة والأمعاء ، واكتست الأمعاء ببقع مخاطية دموية كالكبد تماماً ، ووجدنا بين الشريان الحرقفى كمية كبيرة من السائل الدموى ، وكلما حرك الدكتور كاتسوبى يده داخل تجويف البطن انبثق بعض هذا السائل الدموى خارجها .

واتضحت أسباب ما كانت تعانيه تلك المرأة المسكينة من آلام باطنية ، كما اتضحت أسباب وفاتها ، فإن هـــذه البثور التى أخذت شكل النقاط الدموية الحمراء لم تكن منتشرة على الجلد فقط ولكنها كانت تكسو الأحشاء جميعاً ، وتجلى ذلك بوضوح بعد فحص معدتها وأمعائها وكبدها وغشاء التجويف البطنى .

كما لاحظنا أمراً آخر ، فإن الدم لم يتجلط داخل تجويف البطن رغم مرور بعض الوقت على الوفاة ، ولعل السبب فى ذلك فقدان الدم خاصية التجلط ، وذلك يرجع إلى تناقص عدد صفائح الدم بقدر مايرجع إلى نقص كرات الدم البيضاء ، وقد أبديت وجهة نظرى هذه للدكتور كاتسوبى فوافقنى عليها .

لقد علمنا من تشريح جثة واحدة الشىء الكثير ، وإذا كنا قد لجأنا إلى التشريح قبل ذلك لما احترنا فى تعاليل الأعراض التى بدت على مرضانا ، ولم أقتنع يوماً ما بأهمية التشريح مثلما اقتنعت به فى ذلك الحين .

وقضيت بقية النهار فى إعداد التقرير ، وحين جاء المساء كنت لا أزال أعالج البيانات الخاصة بالعلاقة بين المسافة بين مواقع المرضى ومركز التفجير ونتائج فحص الدم لأقوم بإعداد تقرير مختصر يتضمن ما شاهدته وسمعته وما احتوته سجلات المرضى . ووجدت صعوبة فى التعبير بالكتابة عما أريد ، ومزقت الكثير من الأوراق ، حتى استطعت أخيراً أن أنجز التقرير فى ساعة متأخرة من الليل .

وفيما يلى نص البيان الذى دفعت به إلى السيد ميزوجوتشى ورجوته أن ينسخه على فرخ كبير من الورق يلصق نسخة منه فى كل مكان بالمستشفى والمصلحة قبل طلوع النهار :

بيـــان حول مرض الإشعاع الذرى

مستشفى المواصلات بهيروشيما

١ — لم يحدث تغير فى دماء الأشخاص الذين يعملون فى المدينة بعد حادث سقوط القنبلة الذرية ممن لم يتواجدوا بها وقت حدوث البيكا ، ولم يكتشف أى تغير فى دماء الأشخاص الذين كانوا موجودين بيدروم مصلحة التليفونات عند حدوث البيكا ، ويرجى من الأشخاص الذين تنطبق عليهم هذه الحالة الاستمرار فى عملهم كالمعتاد .

٢ — تبين أن الأشخاص الذين يعانون من نقص فى خلايا الدم البيضاء كانوا بالقرب من مركز تفجير القنبلة ، وهم موظفوا مصلحة التليفونات ، وموظفوا مكتب التلغراف ، والأشخاص الذين كانوا يقيمون فى المناطق المجاورة لتلك المصالح ، أما الأشخاص الذين كانوا يعملون بمصلحة المواصلات عند وقوع الانفجار فإن خلايا دمهم البيضاء طبيعية وقد تنقص قليلا عن المعدل الطبيعى .

٣ — لا يبدو ثمة علاقة بين الإصابة بالحـــروق البالغة وتناقص خلايا الدم البيضاء .

٤ — لا يحمل فقدان الشعر بالضرورة أية دلالة تنذر بالخطر .

٥ — على الأشخاص الذين يعانون من نقص فى خلايا الدم الأبيض تجنب الإصابة بالجروح والإجهاد لأن مقاومة أجسامهم ضعيفة .

٦ — على أولئك الذين أصيبوا بجروح أن يتأكدوا من عدم إصابتهم

بموض الإشعاع الذرى ، أما المصابون فعليهم مداومة العلاج حتى لا تتسرب العدوى إلى مجرى الدم .

٧ — وفقاً للتقارير التى نقلتها السلطات عن جامعة طوكيو لا يبدو أن ثمة إشعاعات يورانيوم متبقية فى المدينة .

انتهى

(توقيع)
متشهيكو هاتشيا
المـــدير
مستشفى هيروشيما للمواصلات

وجدت صعوبة بالغة فى النوم لأن فراشى كان مبتلا بسبب الأمطار وقضيت معظم الليل أطارد البعوض .

٢٧ اغسطس ١٩٤٥

جو غائم ممطر .

اليوم العاشر بعد المائتين يقترب[١] ، لذلك نتوقع هطـــول موجة من الأمطار وقد أصبح المبنى كله مبتلا نظراً لعدم وجود نوافذ زجاجية تقى الغرف من الأمطار ، وكانت المياه تنساب على الأرض وأصبح الفرش مبتلا ، وزاد البعوض والذباب من ضيقنا ومتاعبنا .

(١) فى التقويم اليابانى القديم يوافق يوم ٢١٠ من السنة مقدم الخريف ، ويكون مصحوباً برياح شديدة وأيام ممطرة ولما كان هذا التقويم يبدأ حوالى ٤ فبراير ، فان بداية الخريف وفقاً له تقع فى أول سبتمبر من التقويم الميلادى الحالى .

لم أكن قد اغتسلت منذ وقع البيكا بسبب ما أعانيه من جروح وكان جرح فخذى متهتكا حتى أن اللحم كان بارزاً خارج الجلد مثل ورق الشوجى الممزق ، وأصبحت رائحتى كريهة بسبب العرق حتى أصبحت أتأفف من نفسى كلما اقتربت ذراعاى أو ركبتاى من أنفى ، وكان جسدى لزجاً يتصبب عرقاً هذا الصباح ، وبعد تناول الافطار طلبت من السيدة سائيكى العجوز أن تعاوننى على الاغتسال بقطعة من الإسفنج وقليل من الماء الساخن ، فلم يكن لدينا صابون للاغتسال ، واستغرق تنظيف جسدى من الأوساخ التى علقت به وقتاً طويلا وشعرت بعده بالراحة .

عندما أخلو إلى نفسى أتجه إلى التفكير فى أشياء كثيرة ، فها هى ذى السقوف السوداء المحترقة ، والجدران التى أتت النيران على طلائها ، والنوافذ التى تفتقر إلى الزجاج ، بينما قبع (الكونرو) أو الموقد اليابانى الصغير الذى يعمل بالفحم النباتى يعلوه إناء الشاى المكسو بالهباب وقد تغطى بطبق بدلا من غطائه المفقود، وبجواره سلة من الغاب تختلط فيها أطباق الأرز التى كان الجيش يستعملها يوماً ما بأكواب الشاى دون تمييز ، فذكرتنى هذه الأشياء بآلام الحرب .

وأخذت أفكر من ناحية أخرى فى تلك الحجرة التى تتعدد ألوانها ويندر أن يجد المرء مثلها ، إن كل ما نستعمله من أشياء يحمل بصمات القنبلة الذرية ، فكل إناء أو وعاء كان إما مكسوراً وإما محترقاً ، وكانت مائدة الطعام التى نتناول عليها وجباتنا يوماً ما مكتباً قديماً متهالكا ، ترك الزجاج المتطاير على سطحه خطوطا وفجوات ولا تزال بعض قطع الزجاج مرشوقة فى سطحه ، فبدا وكأنه مطعم بالزجاج بيد عامل محترف ، واحتلت الصناديق ذات اللون الأصفر التى تحتوى على بعض أعلام الجيش أحد أركان الغرفة ، وكانت السيدة سائيكى العجوز تستخدم هذه الأعلام لتجفيف الأطباق ومسح الأرض ،

وعلى أحد الأرفف كان هنــاك ترمس ممتلئاً بالماتشا[١] أحضره السيد ميزوجوتشي من بيته في سينو منذ يومين مؤكداً أن فيتامين «ج» الذي يتوفر في هذا النوع من الشاي يفيدني صحياً ، وعندما شربت بعض الماتشا عادت إلى ذهني ذكرى الأيام الخوالي ، وحتى كوب الشاي المكسور أو الهاشي[٢] القديمة التي استخدمتها في تقليب الشاي لم تفقد الماتشا نكهته وشذاه . تذكرت ذلك كله عندما رأيت الترمس الفارغ قابعاً فوق الرف ، وجعلتني تلك الذكرى أفكر في بيتي وأكواب الشاي التي كانت لدى قبل حادث القنبلة ، وأثارت تلك الذكريات الأشجان في نفسي .

أثناء جولاتي بالمستشفى أمس علمت أنه ليس لدينا تيتانوس نقدمه للمرضى ومن بينهم الجرحى الذين كانت جراحهم ملوثة وكيف حدث ذلك ؟ هل قضت البيكا على جراثيم التيتانوس ؟ أم اننا أغفلنا التيتانوس في غمرة الفوضى التي عانينا منها وعقدت العزم على أن أجد إجابة لهذه التساؤلات .

لم تتحسن حالة الإسهال التي عاني منها السيد كادويا ، واعتقد البعض أنه يعاني من الدوسنطاريا ، بينما رأى آخرون أنه يعاني من نزلة قولونية ، ومهما كان الأمر فقد كثر تردد السيد كادويا على المرحاض ، وعلى الرغم من ذلك كان يتمتع بروح مرحة فكان يمزح مع رفاقه حول مكوثه في المرحاض وقتاً طويلا ، ويبدو أن معاناة الناس من البيكا جعلت شر البلية عندهم مايضحك .

غادر الدكتور ساسادا المستشفى بعد الظهر ، ولما لم يكن هناك مايأخذه

---

(١) الماتشا نوع جيد من الشاي الاخضر الناعم ، وهو صيني الاصل ، أدخله إلى اليابان كهنة مذهب الزن البوذي في العصور الوسطى ، ويستخدم في حفلات الشاي اليابانية التقليدية .

(٢) العصي التقليدية التي يتناول بها الصينيون واليابانيون الطعام .

معه لم يتطلب الرحيل إعداد مسبق ، والتفت إلى السيد شيوتا قائلا : « نحن السابقون ياسيد « شيوتا » . فابتهج السيد شيوتا عند سماعه كلمة الوداع هذه .

جاءتنا اليوم فرقة الأطباء والممرضات من كلية الطب بأوكاياما على رأسها الدكتور يادانى ، وهو زميل قديم كان يدرس معى على يد الأستاذ إينادا ، وكان هذا الفريق يتكون من ثمانية ممرضات وإثنين من طلبة الطب ، وكان بين الممرضات بعض الوجوه المألوفة لى ، وعندما علمت أن هذه المجموعة ستقيم معنا لمدة أسبوع وأنهم أحضروا معهم المجاهر ، أحسست أن جيشاً كبيراً جاء لمعاونتنا ، فإن الحصول على هذه المساعدة القيمة كان بالنسبة لنا كما يقول المثل اليابانى القديم بمثابة « تسليح الشيطان بقضيب من الحديد » ، وقد أنسانى الابتهاج لرؤيتهم عبارات التحية الواجبة ، ورأى السادة سيرا وكيتاءوا وميزوجوتشى أن نقدم لهم أفضل مالدينا من طعام وفراش ، وتنازل الأصحاء من الأطباء والعاملون بالمستشفى عن فراشهم لأعضاء الفريق الذين خصصنا لإقامتهم ملجأ بالقرب من المستشفى ، فقد ضاق المستشفى بمن فيه حتى أننا كنانستخدم حجرات الكشف وحجرة العمليات بقسم أمراض النساء لإيواء المرضى .

وتخصيص مثل هذا المكان لضيوفنا ليس من اللياقة بمكان ، ولكنه كان أفضل مايمكن عمله لهم ، إذا وضعنا فى الاعتبار رجلا كالدكتور كاتسوبى مثلا الذى كان يستخدم فراشا قديماً محترقاً بإحدى دورات المياه بالطابق الثانى ، وكانت حوائط المرحاض الذى ينام فيه ملطخة بالدماء وتكسو أرضه قطع الزجاج والأنقاض ، وكانت نافذته محطمة ، ورغم ذلك ظل قانعاً بفراشه هذا دون أن يشكو أو يتأفف ، أما بقية العاملين بالمستشفى فكانوا ينامون حيثما وجدوا مكاناً خالياً كل ليلة ، إما فوق أحد المكاتب ، وإما على أحد الكراسى ، ونادراً ما كان المرؤ منهم ينام فى مكان واحد ليلتان متتاليتان .

غير أن مشكلة توفير الفراش الكافى للضيوف ظلت مستعصية على الحل

فلجأنا إلى إدارة المدينة وطالبنا توفير ما يكفى لإيواء خمسة عشر شخصاً ، فاستجابوا لنا وأرسلوا إلينا بعض البطاطين والملاءات والبزات العسكرية ، وبذلك توفر لدينا بعض البطاطين التى تزيد عن حاجتنا ، فوزعت علينا وأصابنى منها اثنتان ثبت واحدة منها على النافذة لتقى فراشى مياه الأمطار ، واستخدمت الأخرى كسجادة فرشتها على الأرض المبتلة بجانب الفراش .

شغلتنى تلك المسائل اليوم عن القيام بجولاتى المعتادة بالمستشفى حتى حل المساء ، وبعد أن خلوت إلى نفسى قليلا بدأت أشعر بألم حاد فى فخذى الأيمن ، ولست على يقين من مبعث هذا الألم فلعلها الرطوبة أو الإجهاد الشديد ، غير أنى فضلت أن أخلد للراحة فى الفراش . وعندما عدت إلى حجرتى دهشت حين رأيت الدكتور ساسادا هناك فسألته متعجباً : « ماذا تفعل هنا ؟ لقد ظننت أنك غادرت المستشفى » فأجابنى السيد شيوتا ضاحكا : « لقد غادر المستشفى بالفعل ، ألم تر السيارة السوداء الأنيقة التى أخذته من هنا ؟ » فسألته : « إذن ماذا حدث ؟ » فانفجر الدكتور ساسادا والسيد شيوتا فى الضحك وعلمت أطراف القصة خلال الفترات التى توقفا فيها عن الضحك ليلتقطا أنفاسهما ، فقد تولى أحد الأشخاص مسئولية تأجير سيارة لتنقل الدكتور ساسادا إلى منزله بصورة لائقة ، وما كادت السيارة تقترب من حدود مدينة هيروشيما فى طريقها إلى إلى بلدته حتى أوقفها رجال الشرطة العسكرية عند أحد الجسور ، وتم ضبط السيارة وقائدها ، فقد اكتشفوا أنها كانت تابعة للبحرية وأن السائق سرقها واستخدمها كسيارة أجرة . وبعد اعتقال السائق ترك الدكتور ساسادا على الجسر ، ولم يكن أمامه مفر من العودة إلى المستشفى . ورغم جو المرح الذى أحاط بالقصة فقد شعرت بالأسى لما أصاب الدكتور ساسادا من متاعب غير أنى سررت لرؤيته مرة أخرى .

كنا أقل ضيقاً بالبعوض هذه الليلة ، فقد عثر البعض على قطعة من خشب الكافور أحرقناها فى أوعية خاصة حول المستشفى ، وحالت البطانيات التى

أستخدمناها بين المطر وفراشنا ، وعندما آويت إلى الفراش كانت فخذى تؤلمنى وما هى لحظات حتى أدركنى النعاس .

وفى ساعة متأخرة من الليل استيقظت من النوم على وقع أقدام شخص يصعد الدرج ويتحدث بصوت مرتفع محدثاً جلبة مزعجة ، كان هـذا الشخص هو الدكتور تاما جاوا أستاذ الباثولوجى فى كلية الطب بهيروشيما ، واستطعت أن أميز صوته قبل أن يصل إلى الغرفة ، وكان زميلا لى بكلية الطب بأوكاياما ، وأصبحنا منذ ذلك الحين صديقان حميمان ، وقد كنا نتنافس معاً فى الثرثرة وتبادل الأحاديث لأن كلانا مغرم بالمناقشات . وما كاد الدكتور تاماجاوا يلتقط أنفاسه حتى وجه إلى الحديث دون أن نتبادل التحية : « هاتشيا ، هل تعلم أننى ذهبت إلى إدارة المحافظة اليوم وعلمت من أولئك الحمقى أنهم لن يسمحوا بتشريح الجثث فى هيروشيما ؟ ، يالهم من أغبياء عتاه ! فقلت له : «لقد تأخرت كثيراً ياتاماجاوا » ، وطفق الدكتور تاماجاوا يعرض خطته فقال : « يالها من سياسة حمقاء أيمنعون تشريح الجثث ؟ ألا تعتقد أن هذا التصرف يدل على الغباء ؟ كيف نستطيع الوصول إلى حقيقة مايعانيه الناس من أمراض إذا لم نلجأ إلى التشريح ألا توافقنى على ذلك ؟». فقلت له : « اهدأ بحق السماء أننى أوافقك على رأيك بكل تأكيد ، ووجودك معنا منحة من السماء ، وترحيبنا بك يفوق ترحيبنا بأى إنسان آخر » . كان الوقت متأخراً فدعوته إلى النوم فى فراشى .

٢٨ اغسطس ١٩٤٥

السماء ملبدة بالغيوم .

كان البيان الذى أصدرته بالأمس بخلاصة تجاربنا مع مرض الإشعاع الذرى بالغ الأثر ، فقدجاءتنا منذ الصباح الباكر مجموعة من الصحفيين وحاولت أن أجيب على أسئلتهم بقدر المستطاع حول المرضى ، والأعراض التى يشكون منها ، وتشخيص تلك الأعراض ، وخططنا التى رسمناها للعناية بهم فى المستقبل .

وزارنى بعد ذلك صديقى الحميم السيد ياماشيتا الذى كان يعمل بمصلحة البريد قبل البيكا ، وكان معروفاً بذوقه الأدبى الرفيع وبمقدرته الفائقة على كتابة « الواكا[1] » . وكثيراً ما كان يبدى ملاحظات قيمة حول ما كنت أكتب من مقالات فى إحدى المجلات المحلية التى كانت تصدر عن مصلحة المواصلات تحت اسم « هيروشيما تى يو » ، ويوميات طبية كنت أنشرها تحت اسم « داروما طوطورا »[2] . ويمكنك أن تتصور مبلغ سعادتى عندما رأيت هذا الصديق الأديب القديم . وبينما كنت أعدله كوبا من الماتشا ، أخذت أقص عليه ما عانيته من تجارب شخصية وغير شخصية سجلتها منذ كان حادث سقوط القنبلة الذرية ، وبعد أن شرب السيد ياماشيتا ، كوب الماتشا فى رشفات سريعة

---

(١) الواكا ضرب من ضروب الشعر اليابانى يرجع إلى العصور الوسطى عرف بصوره اليابانية البديعة .

(٢) وهى تعنى « داروما والنمر » ، وداروما حيوان خرافى ليس له أطراف يمثل أحد الآلهة القديمة المعنية بالعزيمة والصبر ، وتقول الاسطورة القديمة أن داروما قضى أياماً وليالى عديدة فى التفكير والتدبر حتى غلبه النعاس ، وحين استيقظ من نومه آلمه انقطاع التدبير خلال النوم فقطع جفونه حتى تظل عيونه مفتوحة فلا ينام مرة أخرى وقد نبت الشاى اليابانى لأول مرة حيث سقطت الجفون ، وبذلك قدم للناس مايدفع عنهم النوم .

شرد ذهنه قليلا ثم وجه إلى سؤالا عما أكتبه ، فأجبته بقولى : « إنك تعلم أن الكتابة بالنسبة لى ليست أمراً سهلا ، فلا زلت أعانى من ذلك ، وربما زادت معاناتى ، لخبرتى بالكتابة محدودة ولا ريب أنه ينقصنى الكثير ، وأحياناً أكتب يومياتى أولا بأول ، وأحياناً أخرى أكتبها كلما سنحت لى الفرصة بعد مرور بضعة أيام ، هل تكتب شيئاً الآن ياسيد ياماشيتا ؟ » فرد قائلا : « لقد كنت أكتب يومياتى بانتظام حتى حادث البيكا ، ولكنى توقفت عن الكتابة منذ الحادث ، فقد ملت ولدى ياشوشى ، وتحطم بيتى ، ولذلك أعيش حياة يأس وقلق » . فسألته : « هل تسمح بإلقاء نظرة على يومياتك فلاريب أنها ستساعدنى كثيراً فى متابعة الحوادث السابقة على سقوط القنبلة وأريد أن أعرف على سبيل المثال ما كان يجرى فى أوشيتا » ، فأجابنى برقة : « يسرنى أن أطلعك على يومياتى وسأحضرها لك خلال أيام » .

وبعد أن عاد السيد ياماشيتا أدراجه انصرفت إلى العمل ، فقد خفف من أعبائى وصول الفريق الطبى من كلية الطب بأوكاياما الذين اضطلعوا بمسئولية متابعة حالة المرضى ، وتفرغت بذلك للإدارة ، وتركت مهمة الخدمة الطبية لضيوفنا .

اتفق الدكتور كاتسوبى مع الدكتور يادانى على أن يختص طالبا الطب باستطلاع تاريخ المرضى والكشف الطبى وفحوص الدم ومتابعة اختبارات المعمل ، وقد برهن هذان الطالبان على كفايتهما ومقدرتهما ، وكان أحدهما ابن الأستاذ هاتا الأستاذ بجامعة أوكاياما ، أما الآخر فكان نجل السيد أوجاوا الكاتب المشهور .

أما ممرضات أوكاياما فكن متعاونات مقبلات على العمل بالاشتراك مع ممرضاتنا ، وأصبح المستشفى بفضلهن قريب الشبه بالمستشفيات ، فقد كان الأطباء

والممرضات الذين ضمهم الفريق يرتدون ملابس بيضاء ناصعة بينما كانت ملابسنا ممزقة متسخة .

لقى الدكتور تاماجاوا ترحيب الجميع ، ولكن قدومه جعلنا نواجه مشكلة تدبير المكان الذى يمكن استخدامه كمشرحة يزاول فيها عمله ، فلم يكن هناك مكان خال بالمستشفى الذى يكتظ بمن فيه ، وبقى مكان واحـــد لامناص من التفكير فيه هو كشك خشبى تركه الجنود بالقرب من الباب الخارجى للمستشفى فصحبت الدكتور تاماجاوا إلى هناك ، وحين رأى المكان أبدى ارتياحه وأكد صلاحيته للعمل كمشرحة ، ودون أن يضيع وقتا عمل الدكتور تاماجاوا على تحويل الكشك إلى مشرحة ومعمل للفحص الباثولوجى ، وحول بعض النوافذ والألواح الخشبية إلى مائدة للتشريح ، ولم يمض وقت طويل حتى تحول هذا الكشك إلى معمل لم أر له مثيلا من قبل ، ولم يعد ثمة ما يضايق الدكتور تاماجاوا سوى عدم وجود مادة للدراسة .

وبعد تناول طعام الغذاء تبينت أن رصيدنا من السجاير يوشك على النفاذ ، وسألت السيد شيوتا عما إذا كان باستطاعته حل هذه المشكلة ، فأجابنى بقوله : « لا عليك ، اترك الأمر لى فسأحضر لك كل ماتحتاجه منها » .

وشعرت بالارتياح ، ووزعت ماتبقى لدينا من السجاير على مدمنى التدخين بما فيهم الدكتور تاماجاوا الذى ارتسمت على وجهه علامات السرور فلم يكن باستطاعته متابعة التدخين بنفس القدر الذى اعتاده من قبل نتيجة ارتفاع أسعار السجاير ارتفاعا جنونياً ففى مدينة هيروشيما المدمرة كانت النقود أقل قيمة من السجاير ، واستخدمت السجاير كوسيلة للتبادل فى المعاملات .

مر يومان دون أن أقوم بجولات فى المستشفى ، فقمت اليوم بإحدى الجولات ، وكان البيان الذى أصدرته حول مرض الإشعاع الذرى معلقاً فى

مكان بازز أمام مدخل مبنى المصلحة . أما عنابر المرضى فكانت نظيفة مرتبة ، وتفقدت أحوال المرضى فوجدت أن السيد أونومى المريض الذى يعانى من البثور الدموية والتهاب الحلق وسقوط الشرج قد أصبح فى حالة يرثى لها ، متورم الوجه ، وعاد الجرح الصغير بجوار أذنه ينزف من جديد بعد أن كان قد التأم ، فأدركت أنه على شفا الموت .

أما الفتاة الجميلة الشابة التى كان جسدها محترقا فلازالت على حالها ، ولم تظهر عليها أعراض الصلع أو البثور ، وكان جيرانها بالعنبر يبذلون أقصى جهدهم لخدمتها . ووجدت أن ثمة مرضى جدد قد أدخلوا إلى المستشفى يشكون من البثور الدموية ، غير أن حالتهم لا تبلغ حد السوء .

غادرت مبنى المصلحة إلى المستشفى ، واستنتجت من تلك الجولة أن عدد المرضى قد تناقص خلال اليومين الماضيين رغم أن عدد المقيمين بالمستشفى لم ينقص بسبب عائلات المرضى التى كانت تلازمهم ، وكان بينهم عائلتى ياسوئى وأواتانى اللتان أعرفهما منذ سنوات . وقبـــل أن أغادر العنابر اكتشفت حالة آلمتنى كثيراً فبعد وفاة الدكتور تشودو فى الثالث عشر من هذا الشهر متأثراً بحروقه ظلت زوجته وطفلته فى المستشفى ، ولم تكن تبدو على السيدة تشودو أى علامات المرض ، كما لم تلحق بها أى إصابات وبدت عليها علامات الصحة ، ولكنى دهشت حين رأيتها اليوم راقدة فى الفراش فسألتها عن شكواها فأجابت بصوت خافت — بلهجة أهل أوكيناوا أو كيوشو ، لست أدرى — بما يفيد أنها تعانى من ضيق فى التنفس ، وهبوط فى النبض ، فحاولت أن أواسيها مؤكداً لها أن كل شىء سيصبح على ما يرام ، وأن عليها أن تكون رابطة الجأش من أجل طفلتها . ويبدو أن ورود ذكر الطفلة على لسانى فجر عندها جرحا دفينا ، فالتفتت نحو الطفلة المسكينة التى كانت ترقد بين أحضانها وأخذت تبكى ، وفتت بكاء هذه المرأة المسكينة قلبي ، ترى من يعتنى بطفلتها إذا أصابها

مكروه ؟ وتركت المكان حتى أهدىء من روعى ، ولكن أحداً لم يلاحظ النقاط الدموية الداكنة التى أخذت تنتشر على صدر المرأة المسكينة .

أضفى الدكتور تاماجاوا بروحه المرحة جوا من البشر فى المستشفى وحجرة الطعام ، وقد استطاع أن يجعل السعادة ترتسم على وجوه من حوله ، حتى طعامنا بدا حلو المذاق بالنسبة له ، وكثيراً ما كان ينهانى عن التبذير إلى هذه الدرجة . وبعد تناول طعام العشاء تناول أطراف الحديث وراح يخبرنا عن المشاكل التى واجهته فى أوكاياما بعد حادث القنبلة ، وكانت الطريقة التى يقص بها حكاياته والفكاهات التى تتضمنها تلك القصص تبعث البشر والمرح فى نفوسنا ،وحدثنا عن نوادر كثيرة طريفة صادفته حتى غرق الجميع فى الضحك ، ولم تكن تلك النوادر غريبة على ، فقد سمعتها منه مراراً من قبل ، ولكنها كانت جديدة على رفاقى ، ولذلك لزمت الصمت طوال الحديث ، ومالبث رفاقى أن نسوا أن الدكتور تاماجاوا أستاذ له مكانته وراحوا يتحدثون معه دون تكلف .

ساءت حالة زوجتى هذا المساء وبلغت حرارتها ٤٠,٥ درجة وكانت تشكو من ضيق فى التنفس ، وبينما كانت الآنسة كادو تناولنى سماعة الكشف وأخذت أتفحص صدرها تظاهرت بعدم الاهتمام ، وقلت لها : « يبدو أنك أصبت بنزلة برد مرة أخرى ، لقد توقعت ذلك أمس عندما رأيتك تنامين مع الآنسة كادو فى فراش واحد » .

وبينما كنت أستمع إلى صدرها أحسست بوجود التهاب فى الرئة اليمنى ، فأسرعت بالبحث عن الدكتور هينوكى رئيس الصيادلة لأسأله عما إذا كان لديه دواء التريونون أو أقراص السلفاميد ، وقد أحسست بالراحة عندما علمت منه أن لدينا رصيد من هذا الدواء ، وعندما عدت إلى الحجرة طلبت من الآنسة كادو أن تعاوننى فى نقل زوجتى إلى حجرة الدكتور ياتانى حتى تكون بمنأى عن الرياح والأمطار . كان يجب على أن أهتم بحالة السعال والبصاق التى كانت

تعانى منها ولكن نظراً لأنها لم تكن تشكوا ألماً فقد تغاضيت عن تلك الأعراض المبكرة للالتهاب الرئوى .

ترى هل يمكن أن تنجو زوجتى من الإلتهاب الرئوى بعد أن عاشت مأساة البيكا ؟ ولماذا لم أولها عناية أكبر من قبل ؟ كيف أستطيع الحياة وحيداً ؟ وكيف أواجه عائلتى إذا حدث شيء لزوجتى ؟ .

قمت بترتيب العلاج لزوجتى يائيكو وطلبت من الآنسة كادو أن تحقنها بالجلوكوز والتريونون .

٢٩ أغسطس ١٩٤٥

طقس غائم تتخلله بعض فترات من الصفاء .

لم أستطع النوم خلال الليل بسبب القلق على زوجتى ، ترى لماذا لم أتنبه فى الصباح إلى الرطوبة التى سببها المطر المتواصل والبرودة التى تنذر باقتراب الخريف ؟ إذا لم تصب زوجتى بالرجفة ولم تبتل فربما نجت من الإلتهاب الرئوى .

يجب أن أفكر فى أمر بقية المرضى أيضاً فقد يحدث لهم نفس الشيء ، فليس بينهم من يستطيع جسمانياً تفادى الإصابة بالالتهاب الرئوى ، لقد وزعنا حقا البزات العسكرية الصوفية الثقيلة على المرضى من النساء وأعطينا البزات الكاكية الخفيفة للمرضى من الرجال ولكن هذا لا يكفى ، لابد من الحصول على عدد آخر من البطاطين يكفى لتدفئة جميع الموجودين بالمستشفى .

وأخذت أفكر فى طلب معونة أخرى وقد وصلتنا كمية من أحذية الجيش وزعناها على المرضى من الرجال ، وبدأ الجميع قانعين ، ولكن النساء مالبثن أن

جأرن بالشكوى لأنهن لم ينلن منها شيئاً وواصلن الاحتجاج حتى وعدتهن بأن تكون معونة الأحذية التالية من نصيبهن ، وعجبت لطمع الناس وتطلعهم إلى المساواة مهما كان الأساس الذى تقوم عليه تلك المساواة ، فالنساء يعلمن أن أحذية الجيش قد لاتناسبهن ، وعندما قلنا لهن ذلك خلال المناقشات التى دارت معهن ، قلن انهن يردن نصيبهن من الأحذية ليأخذنها معهن لأزواجهن وأطفالهن أو يقمن باهدائها لأقاربهن ، وقد ضايقنى هذا الموقف لأن أحدا لم يكن يدفع اجر الإقامة أو الطعام أو العلاج . وعندما وزعنا الملابس عليهم راعينا مبدأ المساواة ، ولكن هذا لم يكن كافيا ، فالنساء يردن نصيبهن من أحذية الجيش كالرجال تماما .

وكأن السماء استجابت لدعائى الصامت، فقد تلقينا هذا الصباح شحنة جديدة من المعونة العسكرية ، وسعدت حين علمت أنها تتضمن الناموسيات والبطاطين والأحذية والشباشب ، وتأكدت من توزيع هذه الأخيرة على النساء .

لم تكن هناك بطاطين كافية لكل شخص ، ولذلك طلبت كمية اخرى منها ووزعتها على المرضى .

وعند الظهر سمعنا ان وثيقة الاستسلام بلا قيد او شرط ستوقع فى اوائل سبتمبر على ظهر البارجة ميسورى فى خليج طوكيو ، فسألت من نقل إلى النبأ : « هل سيحضر رئيس الوزراء واعضاء مجلس الوزراء توقيع الوثيقة ام ان الامبراطور سيوقعها بمفرده ؟ »

وقال احدهم متعجباً : « ترى ماذا يحدث لو أخذ الامبراطور أسيراً ؟ » فانزعجت السيدة سائيكى العجوز ، واندفعت تقول : « لاتقل مثل هذا الشىء الفظيع ، ان الامبراطور لم يرتكب جرما » .

وقال آخر « يشاع أن الامبراطـــور سيأخذ إلى ريوكيوس وسيظل حبيساً هنـاك » .

فقالت السيدة سائيكي العجوز بنبرات حزينة وهي تضع خدها فوق راحتها وتشير كعادتها بأصبع يدها تجاه السن اليتيمة التي بقيت في مقدمة فمها : « إنهم يريدون أن يأخذوه بعيداً تماماً كما فعلوا في سالف الزمان » .

ربما كان هذا الأمر مستحيلا ، وفكرت في ذلك وأنا أستمع إلى المناقشات التي تدور بين من حولي ، ولكن ما هو المستحيل ؟ إننا نستطيع الرجوع إلى التاريخ لنبحث عن أمثلة مشابهة : لقد قضى نابليون أيامه الأخيرة في سانت هيلانة، كما عوقب القياصرة والأباطرة بالنفي من بلادهم حين حلت بهم الهزيمة إن كل ما يجب أن نفعله هو أن ننتظر ونترقب فكل شيء ممكن أن يحدث لأمة نزلت بها الهزيمة.

وصليت من أجل الامبراطور، من أجل بقائه على أرض الوطن ، وقتاً أن أسره فوق تلك البارجة سيكون نهاية كل شيء .

وأخذت أتفقد المرضى بالمستشفى حتى أخلص ذهني من عناء هذه الأفكار السوداء وأنسى للحظات قلقي على حالة زوجتي ، كان المرضى سعداء بالمعونات التي وزعت عليهم وخاصة النساء اللاتي حصلن الآن على نصيبهن من الأحذية تماماً كالرجال وانحنت بعضهن أمامي شاكرات ، ولما كانت حالتي النفسية لا تسمح بتقبل ثنائهن ومشاركتهن الابتهاج فقد كنت أرد عليهن بحدة وخشونة قائلا : «هذه الأشياء قدمتها لكن إدارة المدينة فتوجهوا بالشكر إليها وليس لي » .

إزداد عدد المرضى الذين بلغت أحوالهم حد الخطورة، وكانوا جميعاً يعانون من شيء واحد هو البثور الدموية ، ومات السيد أونومي بعد نزيف حاد من أنفه وشرجه ، كما ماتت الآنسة ني شي التي دخلت المستشفى منذ يومين ، وكانت لحظاتها الأخيرة مليئة بالأنين والألم . وانتهت جولتي التفقدية دون أن أرى

السيدة تشودو وأصابني الجزع حين علمت أنها ماتت، لم أصدق ذلك ، فقد رأيتها فى الممر هذا الصباح ترى ماذا يمكن أن يحدث لطفلتها ؟

كان الدكتور تاماجاوا يتأهب للعمـــل ، وسرت الهوينى نحو حجرة المشرحة ، فراعني منظر آلاف الذباب التي كانت تطير كلما أحست بموضع قدم لتستقر فوق الأرض من جديد ، وكان الدكتور تاماجاوا منهمكا فى العمل يعاونه السيد أوجاوا طالب الطب بجامعة أوكاياما فى تسجيل الملاحظات ، ووقفت لحظة أراقب الدكتور تاماجاوا وهو يعمل بخفة ومهارة لعله يستطيع أن يتوصل إلى سر وفاة مرضانا ، فإذا استطاع التوصل إلى هذا السر فقد يكون بمقدورنا أن ننقذ المرضى الآخرين من هذا المصير .

وعقدت العزم على مقارنة نتائج التشريح بالأعراض الأكلينيكية ، فعدت إلى المستشفى لدراسة سجلات هؤلاء المرضى الذين تشرح جثثهم . لقد ماتت الآنسة كوباياشي نتيجة نزيف باطني حاد ، أما السيد أونومي فقد مات نتيجة نزيف حاد من الأنف والشرج ، ترى هل كان النزيف أيضاً السبب فى وفاة السيدة تشودو والآنســـة نى شى ؟ إذا كان الأمر كذلك ، فكيف حدث هذا النزيف ؟

وكان سجل الآنسة نى شى يتلخص فيما يلى :

نى شى إيميكو ، أنثى ، العمر ١٦ عاماً ، تم الكشف عليها لأول مرة فى ٢٨ أغسطس ١٩٤٥ تشكو من الإعياء الشديد والبثور والأرق ، وعند سقوط القنبلة كانت بالطابق الثانى من مبنى مكتب التليفونات المركزى وهو مشيد بالخراسانة المسلحة ويقع على بعد ٥٠٠ متر من مركز التفجير ، الأثر المباشر للإصابة: عدم وضوح الرؤية والضعف العام والقيء المستمر، ثم عانت فى الأيام الثلاثة التالية من الغثيان والاعياء، وتماثلت للشفاء تدريجياً ، غير أنها لم تبرأ تماماً، وعادت لممارسة الأعمال الخفيفة رغم إصابتها بالإسهال والضعف العام، وظهرت

عليها أعراض الصلع الحاد فى ٢٣ أغسطس ١٩٤٥ وزادت وطأة حالة الإعياء التى أصابتها كما زادت حدة آلام البطن خلال ليلة ٢٧ أغسطس حيث لوحظت البثور لأول مرة .

نتيجة الكشف : متوسطة القامة ، التغذية سيئة ، لون الجلد شاحب ما بين الأسود والبنى ، جاف ، عدد كبير من البثور على الصدر والأطراف ، تبدو على الوجه علامات الاحتضار ، السطح الداخلى لجفون العين يشير إلى وجود أنيميا حادة ، الفم طبيعى من الداخل ، الأنفاس واهنة مع عدم تردد صدى الطرق على تجويف الرئتين ، يبدو القلب متضخماً ، النبض ضعيف وسريع بمعدل ١٣٠ فى الدقيقة ، التنفس ٣٦ ، درجة حرارة الجسم ٤١ ، تقلص ، ماتت فى ٢٩ أغسطس ١٩٤٥ نتيجة ضيق حاد فى التنفس .

وحالة هذه الفتاة تمثل النموذج الشائع لحالة جميع المرضى الذين ماتوا خلال اليومين أو الثلاثة أيام الماضية ، وكانوا جميعاً على مسافة أقل من ألف متر من موقع التفجير عندما سقطت القنبلة ، وبناء على ذلك أصبح واضحاً تماماً أن المرضى الذين كانوا أكثر قرباً من موقع التفجير أكثر تعرضاً للوفاة من غيرهم .

كنت متلهفاً لمعرفة نتيجة تشريح جثة السيدة تشودو والآنسة نى شى والسيد أونومى ، فعدت إلى غرفة التشريح قبيل المساء لأطلع على ما توصل إليه الدكتور تاماجاوا من نتائج ، ولم أعرف منه سوى القليل لأن الأمر يتطلب عدة أيام حتى يستكمل التحاليل ويصل إلى نتائج نهائية ، كما أن عدم وجود الكهرباء يجعل نتيجة التحاليل تستغرق وقتاً طويلا ، وحتى أيسر له سبيل العمل ليلا بحثت فى المستشفى عن شموع وطلبت من السيد سيرا أن يبذل قصارى جهده لتوفير مصدر للإنارة بالكهرباء (وكنت قد لاحظت أن الكهرباء قد وصلت أخيراً إلى نيجتسو وأوشيتا على الضفة الأخرى من النهر) .

لم تتغير الحالة العامة لزوجتى يائيكو ، وكنت قد وضعت فوقها ناموسيةً تقيها عتو الرياح ، وصرخت عنـدما حقنتها بالجلوكوز والتريونون على ضوء شمعة ، وصممت بعد ذلك أن أطلب من الآنســـة كادو أن تتولى حقنها لأن الطبيب لا يحسن عادة علاج أفراد أسرته .

كنت والدكتور ساسادا والسيد شيوتا نجلس حول المائدة بعد تناول العشاء وقد لفنا الحزن ، فقد بعثت حوادث الوفاة اليوم الاكتئاب فى نفوسنا ولـكن وفاة السيدة تئودو كانت أشد وقعاً علينا ، ولازال منظرها حين رأيتها بالممر ماثلا فى ذهنى ، وقلت هامساً : « ترى ماذا يحدث لطفلتها ؟ » ، فأجاب السيد شيوتا : « ألم تسمع أن السيدة فوجى زوجة طبيب الأسنان ستتبنى الطفلة ؟ » وكنت قد نسيت أمر السيدة فوجى ، وجعلنى النبأ الذى سمعته من السيد شيوتا أحس ببعض الراحة ، فإن التبنى قد يوفر حلا لمشكلة الطفلة وللسيدة فوجى على الســواء ، فقد فقدت هذه السيدة المسـكينة طفلا ولد بعد البيكا بوقت قليل ، كما أن إبنتها الـكبرى ماتت محترقة .

وفى ساعة متأخرة من الليل استيقظت على صوت الدكتور تاماجاوا الصاخب كعادته عنـدما عاد من المشرحة ليئام ، وقال دون أن يلقى على تحية المساء : « سأحتاج إلى عدد أكبر من زجاجات العينات ياهاتشيا ، فثمة حالة وفاة الليلة » .

فوعدته بأن أبذل قصارى جهدى لتوفير ما يطلبه .

٣٠ أغسطس ١٩٤٥

جو ملبد بالغيوم ممطر بين الحين والآخر .

أحرقت جثة السيدة تشودو خلال الليل ، ولما كان الجو ينذر بالمطر فقد ذهبت فى الصباح الباكر إلى المحرقة لأجمع رمادها وبقايا عظامها ، وقد جرت العادة على استخدام قارورة خاصة لهذا الغرض ، وهو مالم يكن متوفراً لدينا ، فجمعت الرماد والعظام فى صندوق من الكرتون حصلت عليه من الصيدلية ، وجمعت عظمة من كل من الرأس والوجه والصدر والأطراف ووضعتها فى الصندوق وكتبت اسمها فوق بطاقة ثبتها عليه وسلمته لمكتب العمل .

حاولت تدبير بعض الأوانى الخاصة بعينات التشريح تلبية لطلب الدكتور تاماجاوا ، وتذكرت البطاريات الزجاجية القديمة (التى تستخدم فى التليفونات) المكدسة قرب مدخل مصلحة المواصلات ، فذهبت إلى هناك وانتقيت نحو عشر منها ، وتحولت هذه البطاريات إلى آنية للعينات بعد أن أفرغناها من أصابع الكربون وغسلناها جيداً لتنظيفها مما علق بها من حامض الكبريتيك ، ثم جمعت من الصيدلية كل الزجاجات الخالية التى كان باستطاعة الصيدلى الاستغناء عنها . وفى نفس الوقت بحث الدكتور تاماجاوا بين أنقاض المنازل حتى عثر على آنية كبيرة (هيباتشى) تكفى لاحتواء عينات ثلاث جثث .

وظننت أن الوقت أصبح ملائماً للوقوف على نتائج التشريح ، فسألت الدكتور تاماجاوا عما إذا كان باستطاعتي أن ألقى نظرة على ما دونه من ملاحظات فأجاب بعد لحظات من التفكير كعادة كبار العلماء : « من الأفضل أن تنتظر حتى تتوفر لدى الفرصة لدراسة خمس أو ست حالات » . ولم تفلح محاولاتى فى دفعه لتغيير موقفه .

آلمتنى فخذى بضعة أيام ، ولكن جراح وجهى وكتفى وظهرى التأمت تماماً ، ولم تعد تسبب لى المتاعب ، غير أن جرح فخذى يؤلمنى بشدة رغم أنه فى طريقه إلى الالتئام ، وأدركت أن الطقس الرطب له علاقة بهذه الحالة ، كما أن نشاطى الزائد عن الحد مسؤول عن هذه الآلام ، وقد عانيت من جرح فخذى هذا الصباح بعد أن بذلت جهداً محدوداً ، فصممت على التزام الفراش ، ولما كنت لا أريد أن أبقى بلا عمل ، فقد أرسلت إلى الدكتور كاتسوبى طالبا بعض عينات الدم حتى أقوم بفحصها بينما يتاح لفخذى قسط من الراحة .

وافق الدكتور كاتسوبى على طلبى وأرسل لى بعض الشرائح التى تحمل عينات الدم وأحد المجهرين اللذين حصلت عليهما المستشفى ؛ فثبت المجهر فوق منضدة أمام النافـــذة وجلست لمزاولة الفحص ، وكنت أظن أنه من السهل الجلوس فى الفراش واستخدام المجهر ، غير أننى عدلت عن الفكرة ، فقد مضى وقت طويل لم أستخدم خلاله مجهراً ، ولذلك أختلطت الأشياء أمام ناظرى ، ووجدتنى عاجزاً عن التركيز ، ولا أدل على ذلك من أن فحص ثلاث عينات فقط إستغرق منى ثلاث ساعات كاملة ، وكانت هذه العينات قد أخذت من مرضى بلغت حالاتهم حد الخطورة ، وقد وجدت فى هذه العينات الثلاث أن عدد كرات الدم البيضاء يتراوح بين ٧٠ ، ٨٠ كرة ، وحتى هذه لم تكن تبدو طبيعية ، وبدت كرات الدم الحمراء طبيعية فى البداية ولكن حين دققت النظر اكتشفت أنه تبدو عليها أعراض نمو غير طبيعى ، ولم أعثر على نواة لخلايا الدم الأبيض . لقد كان تناقص عدد كرات الدم البيضاء متوقعاً ، ولكنى حتى الآن لم أكن أدرى أن كرات الدم الحمراء تتأثر هى الأخرى بالمرض ، واستنتجت أن الدورة الدموية كلها تتأثر بالمرض بشكل يؤدى إلى التأثير على النخاع والطحال والغدة الليمفاوية والكبد حيث يتم تكوين كرات الدم ، وكلما نظرت إلى العينات عبر المجهر كلما وجدت صعوبة بالغة فى ملاحظة كرات الدم ، فقد كان بصرى عاجزاً عن التمييز بين المرئيات ، واضطررت إلى النظر

عبر النافذة بعض الوقت حتى تذايلني هذه الحالة ، فكنت كالولد الذى يكره الاستذكار ويشغل عنه باللهو فلم أستطع الانكباب على العمل وقتاً طويلا ، وكان ذهني يشرد دائما فيما يحيط بي من أشياء،فاذا مر شخص مثلا التمست العذر لنفسي وتجاذبت معه أطراف الحديث .

وما هى إلا لحظات حتى فقدت الصبر على العمل وتركت المجهر فوق المائدة ، وعجبت لما أصابني ، أنني أرى الأشياء جيدا ولكني لا أستطيع التمييز بينها ، وحاولت أن ألقى المسئولية على عيني ولكن ذهني كان يتحمل نصيباً كبيراً من المسئولية ، فلم يصقل بالإطلاع لفترة طويلة ، ولمت نفسى الاحتفاظ بالمجهر بينما هناك من يستطيع إستخدامه خير مني . واستغرقت فى التفكير فيما أصابني منذ يوم البيكا ، فخشيت أن أكون قد فقدت الحواس الخمس ، وتذكرت أنى لم أشعر بآلام الجروح التى أصابتني يومئذ إلا عندما خيطت ، وأكد جميع زوار المستشفى أن المنطقة كلها كانت تفوح بها رائحة كريهة ، فأدهشني ذلك لأنني لم أشم تلك الرائحة ، ويبدو أن حاسة الشم عندى كانت مفقودة ، فلم أتأثر بالأوساخ والأقذار المحيطة بي ولا بالذباب والبعوض الذى كنت أتضايق منه قبل الحادث، كما أن حاسة الذوق عندى أصبحت أيضاً على قدر من الضعف غير أنها عادت إلى حالتها الطبيعية فيما بعد ، كما أن أذنى إستعادت قدرتها على السمع لأنني لم أعد أجد صعوبة فى فهم ما كان يقال لى ، وأحيانا كانت حاسة السمع عندى تبدو أكثر حدة، ولعل هناك حاسة سادسة جعلتني أواصل العمل رغم تعطل حواسى الأخرى مثل التمييز بين المرئيات .

وعند حلول المساء جاء السيد ميزوجوتشى إلى الحجرة وقد بدت على وجهه علامات الانزعاج، فسألته عما وراءه من أخبار ملتمساً فى ذلك الفرصة للتخلص من المجهر ومن أفكارى المضطربة ، فذكر لى أنه لا يستطيع أن يستمر فى أداء واجبه كمسئول عن توفير الإمدادات للمستشفى والمرضى ما لم يستطع الحصول على سيارة خاصة بالمستشفى ، وذكر لى أن هناك سيارات تقف أمام

المستشفى تملكها بعض المصالح الحكومية الأخرى ولكنهم يرفضون إعارتها لنا إلا إذا حصلوا على نسبة معينة من الإمدادات الخاصة بالمستشفى ، وقال لى أن جانباً كبيراً من معونة الجيش لا تزال خارج حدود المدينة ولا تتوافر وسيلة لنقلها ، وستعرض للتلف بسبب الأمطار أو تذهب إلى جيوب الانتهازيين الذين يثرون على حساب معاناة الناس .

وأسفت لهذه الأخبار ، فمثل هذا المسلك يضيف عناء كبيراً إلى ما يعانيه شعب منى بالهزيمة ، فالجشعين والانتهازيين أصبحوا الآن يحكمون المدينة ، ولم يسبق لنا أن شهدنا مثل هذه الظاهرة ، وأصبح أملنا الآن معقوداً على ظهور زعيم شريف يهب من بين هـذا الركام والفساد ليعيد الأمور إلى نصابها ، وتذكرت مثل صينى قديم يقول : « إن السمكة الكبيرة لا تعيش إلا فى الماء العكر » ، وقد كنا جميعاً أسماكا صغيرة تعيش فى المياة النقية التى جرت فى عصور مايجى وتايشو وشووا[1] ، ولعل مياه تاريخنا وقد أصبحت الآن مكدرة توفر البيئة الملائمة لنمو سمكة كبيرة ، فقد تظهر بيننا شخصية ذات شأن تعيد بناء اليابان من جديد .

ورغم أن مثل هذه الأفكار الفلسفية لم تحل المشاكل التى واجهت السيد ميزوجوتشى وتيسر له سبيل العمل فقد جعلتنى أشعر ببعض الراحة النفسية .

سمعنا بعد تناول وجبة العشاء إشاعة عن احتمال توصيل الكهرباء إلى المستشفى وأن ثمة اسلاكا تمد وأن المستشفى سيضاء بالكهرباء خلال أيام ، وقد انطلقت هذه الإشاعة عندما لاحظ أحد الأشخاص وجود سلك أصفر يمر

---

(١) عصر مايجى يحدد بداية بنـاء الدولة الحديثة فى اليابان والأخذ بمظاهر الحضارة الغربية ويبدأ بعام ١٨٦٨ أما عصر تايشو فقد استمر من ١٩١٢ حتى ١٩٢٦ عندما اعتلى الامبراطور هيروهيتو العرش وتلقب بشووا .

بطريق هاتنوبورى فى اتجاه المستشفى ، ثم اتضح فيما بعد أن هذه الأسلاك كانت خطا تليفونياً أقامه الجيش لإستخدامه الخاص .

أيقظنى الدكتور تاماجاوا من النوم فى ساعة متأخرة من الليل ليبلغنى أنه وجد تغييرات كبيرة فى جميع أعضاء الجسم فى الحالات التى قام بتشريحها .

٣١ أغسطس ١٩٤٥

جو ممطر فى الصباح الباكر يتراوح بين الصفاء والأمطار بقية اليوم .

كان أول ما فعلته هذا الصباح أن اتجهت إلى شرفة السطح وأحنيت رأسى نحو الشرق مصلياً من أجل الامبراطور ، فقـــد رأيت فيما يرى النائم حلماً أزعجنى خلال الليل إذ شاهدت جمعاً كبيراً من الناس احتشد ليشاهد الامبراطور وهو يعتلى ظهر البارجة ميسورى الراسية فى خليج طوكيو ، وكان السيد جرو سفير الولايات المتحدة يقود الامبراطور إلى غرفة المحاكمة ، ثم بدأ البحارة يرفعون مراس السفينة إستعداداً للاقلاع ، وما هى إلا لحظات حتى كانت السفينة قد اختفت من الأفق ، ثم تغير المنظر فشاهدت السفينة عند الضفة الأخرى من نهر أوتا حيث تقع حديقة آسانو سنتاى وقد إمتلأ جسر النهر بالآلاف من ضحايا القنبلة الذرية ، وما كادت البارجة ميسورى ترفع مراسيها حتى ألق هؤلاء بأنفسهم فى النهر وأخذوا يسترحمون البحارة ويرجونهم إبقاء الامبراطور على أرض الوطن ، بينما سبح بعضهم فى إتجاه السفينة بجنون محاولين منع البحارة من رفع مراسيها . وعند هذا الحد استيقظت من النوم مفزعاً خائفاً وقد تفصد جسدى عرقاً ، لقدكان عقلى الباطن نشطاً اثناء النوم ، واجتمعت فيه اطراف القصص التى سمعتها عن ضحايا القنبلة فى حديقة اسانو سنتاى مع اطراف الأحاديث الى دارت حول مصير الامبراطور

والاستسلام ، ولكن السفير جرو لم يتبادر إلى ذهنى منذ زمن بعيد ولكنه كان يرمز بالنسبة لنا إلى الجماعة التى حاولت ان تحول دون قيام الحرب عند بداية اندلاعها .

لم يكن الجو اقل رطوبة او كآبة اليوم عنه فى الأيام السابقة ولكن نخذى كانت آخذة فى التحسن ربما لأننى اعتكفت طوال يوم أمس .

توجهت إلى العيادة الخارجية فوجدت المرضى يصطفون لفحص دمائهم وكان الدكتور هانا أوكا وطالبي الطب منهمكون فى فحص العينات ، ولمحت على المنضدة امامهم زجاجة تحمل بطاقة كتب عليها « لفحص صفائح الدم »[1] فسألت الدكتور هانا أوكا عن ذلك فذكر لى ان الكثير من شرائح العينات تخلو تماما من صفائح الدم ، فسألته عما إذا كان الدكتور كاتسوبى يواجه نفس المشكلة فأكد لى ان جميع الحالات التى فحصت كانت اما خالية من الصفائح او تحتوى على عدد ضئيل منها .

وذكرتنى ملاحظات الدكتور هانا أوكا بالحالات التى تم تشريحها، فلعل السبب فى عدم تجلط الدم راجع إلى تناقص صفائح الدم ، فأسرعت بابلاغ هذه النتيجة إلى الدكتور تاماجاوا. فرد على متعجبا : «إذا كان الأمر كذلك فاننا نعرف الآن

(١) تلعب صفائح الدم الكروية أو البيضاوية دورا هاما فى الدورة الدموية المعقدة وفى الحالات الطبيعية يبلغ عددها ٣٠٠ ألف فى السنتيمتر المكعب من الدم ، فاذا تأثرت الأعضاء التى يتكون منها الدم بالاشعاع فان عدد هذه الصفائح يتناقص وقد تختفى تماما وينتج عن ذلك حدوث نزيف من مخارج الجسد (الأنف أو الفم أو الشرج) فصفائح الدم تساعد علي التجلط وبدونها يفقد الدم قوامه .

سبب عدم تجلط الدم بعد مرور سبع ساعات على حدوث الوفاة »، وتركت الدكتور تاماجاوا غارقاً فى التفكير وكأن ملاحظتى قد أعطته مفتاحاً لحل لغز محير ، وراح يقلب بعض الأعضاء التى استخرجها من بعض جثث المرضى وقد امتلأت بالبثور الدموية الحمراء وأكد لى أن نقص صفائح الدم مسئول عن ازدياد البثور إلى هذا الحد ، وكانت تلك ظاهرة سائدة فى الحالات التى تولى الدكتور تاماجاوا تشريحها وكذلك الحالة التى كان الدكتور كاتسوبى قد قام بتشريحها ، ويحدد الفحص الإكلينيكى لتلك الحالات الفوارق بين درجات الإصابة ودون الحاجة إلى استخدام المجهر ، فإن نتيجة فحص وتشريح تلك الحالات أثبتت أن الوفاة نتجت عن نزيف داخلى ونقص فى عدد صفائح الدم.

فالآنسة كوباياشى التى ماتت فى السادس والعشرين من هذا الشهر نتيجة آلام باطنية حادة وضيق فى التنفس كانت تعانى من نزيف حاد فى البطن ، وانتشرت البثور داخل البطن وخارجها . أما السيدة تشودو التى ماتت فى التاسع والعشرين فقد كانت تعانى نزيفاً فى جدار القلب ، والسيد ساكاى الذى مات فى نفس اليوم نتيجة ضيق فى التنفس ثبت بالتشريح وجود البثور بالقفص الصدرى وتجويف البطن ، أما السيد أونومى فقد مات إثر نزيف حاد من الأنف والشرج ، والسيد ساكى نيشى الذى مات بالأمس كان يعانى من بثور كثيفة بالقفص الصدرى ، كما أن البثور كانت تكسو رئتيه وجميع أحشائه ، ولما كانت أسرته قد أصرت على عدم استئصال مخه فلم نستطع أن نعرف ما إذا كان يعانى نزيفاً فى المخ .

لقد كان النزيف سبب الوفاة فى جميع الحالات التى تم فحصها ، وكثافة البثور التى تعد بمثابة العرض الخارجى للنزيف لا علاقة لها باتساع مصدر النزيف فى الأحشاء ، كما أن النزيف الداخلى كان يتفاوت من عضو إلى آخر داخل الجسد الواحد ، فقد ينزف أحد هذه الأعضاء بينما لا يتأثر الآخر ،

وكانت أكثر الأعضاء تأثراً بالنزيف الداخلى الكبد والطحال ، فنى الحالات التى تم تشريحها كان حجم الكبد والطحال فيها أصغر من المعتاد بوجه عام .

وحتى الآن كنا نعتقد أن تناقص عدد كرات الدم البيضاء هو السمة الغالبة على مرض الإشعاع الذرى ، ولكننا تبينا الآن أنه واحد من تلك السمات التى تشمل صفائح الدم أيضاً ، فاختفاء الصفائح مسئول عن النزيف ، والنزيف هو السبب المباشر للوفاة .

لقد تغاضينا عن فحص صفائح الدم لأن تقديرها كان من الصعوبة بمكان، على حين كان تقدير كرات الدم البيضاء أقل صعوبة ، ونحن نعلم الآن أن جميع أعضاء الجسم المكونة للدم ذات صلة بالمرض ، فكرات الدم البيضاء وصفائح الدم وحتى كرات الدم الحمراء تتأثر جميعاً بالمرض ، فقد اكتشفنا تغيرات غير عادية كثيرة طرأت عليها نتيجة المرض ، ولكن هـــذه التغيرات قد تحدث بسبب الأنيميا الناتجة من النزيف ، لذلك لم نكن على ثقة من ارتباطها بالمرض، أما الصلع فراجع إلى اضطراب عملية تغذية بصيلات الشعر ، لقد أصبحت الآن الصورة الباثولوجية لمرض الإشعاع تلقى الضوء على حقيقة ذلك المرض .

تنبهت على صوت السيدة سائيكى العجوز وهى تقول : « يا دكتور ماذا حدث لك لقد نسيت تناول طعام الغذاء وقد أصبحت الآن الساعة الرابعة ، لا يجب أن تهمل نفسك إلى هذا الحد فإن تقيم السجاير أودك ، إنك تؤذى صحتك بهذه الطريقة » فأجبتها برقة : لقد اكتشفنا أيتها الجدة بعض المسائل التى كانت تحيرنا من قبل ، فسألتنى عما إذا كنا نستطيع الآن علاج المرض غير أنى لم أحر جواباً .

وبعد تناول الغذاء الذى أعدته لى السيدة سائيكى أحضرت لى ماء مغلياً فقمت بإعداد الماتشا لجميع رفاقى بالحجرة ، وقد بدت عليهم علامات التحسن اليوم ، فتماثل الدكتور ساسادا والسيد شيوتا للشفاء ، وتوقف الإسهال الذى

كان يعانى منه السيد كادويا ، وتجاوزت السيدة سوسوكيدا والآنسة ياما مرحلة الخطر ، أما زوجتى فقد زايلتها الحمى وتحسنت حالتها بشكل عام ، وقد قضينا جانباً كبيراً من الليل مستغرقين فى الضحك بسبب الطرائف التى كان يقصها علينا الدكتور تاماجاوا .

أول سبتمبر ١٩٤٥

يوم ممطر غائم .

ابتل فراشى من المطر هذه الليلة ولكنى كنت أغط فى نوم عميق فلم أكتشف ذلك إلا فى الصباح ، وظهرت على نتيجة لذلك أعراض نزلة برد حادة .

عندما استيقظت من النوم كانت السماء تمطر بانتظام مطراً مدرارا ، وزادت متاعبي عندما أحسست بالعجز عن بلوغ المرحاض الخاص الذى اعتدت الذهاب إليه كل صباح ، وبعدما انتظرت وقتاً طويلا حتى تخف حدة المطر لم أجد مفراً من استعارة مظلة والتوجه إلى مرحاض المستشفى ، وقد راعتنى قذارة المكان والعدد الهائل من البعوض الذى كان يظلله ، وأيقنت أن هذه المسألة لا تحتمل البقاء بلا حل وإلا تعرضنا لوباء الدوسنطاريا الأميبية . وبعد تناول الإفطار ذهبت إلى مكتب العمل على الرغم من الصداع الشديد والسعال اللذان عانيت منهما ، وناقشت المسألة مع السيد سيرا والسيد كيتاءو فعلمت منهما أنهما حاولا حل هذه المشكلة مع مصلحة المواصلات ولكنهما لم ينالا سوى وعداً ببناء مرحاض صحى ، ولكن هذا الوعد لم يترجم إلى عمل جاد ، فطلبت منهما أن يقوما بصب بعض المطهرات كالليزول فى تلك الحفــــرة لمنع انتشار العدوى والقضاء على الذباب ، فوافقا على ذلك ولكنهما اعتذرا لعدم وجود أى مطهرات من هذا النوع بالمستشفى وأنهما لم يستطيعا الحصول على كمية منها . وكان من الواضح أن هذان المسكينان يبذلان جهداً يفوق طاقة البشر لتلبية حاجات

المستشفى . وأحسست بالتعب فسحبت صندوقاً خشبياً وجلست فوقه وسألتهما عن الأحوال بصفة عامة ، فذكرا لى أن الآنسة تاكامى والسيد ياماموتو قد عادا إلى العمل بعد أن شفيا من جراحهما ، وأنهما حصلا على كمية من أسلاك الكهرباء ، وأن عمال إدارة الكهرباء أبلغاهما أنه سيتم توصيل الكهرباء إلى المستشفى قبل نهاية هذا اليوم ، فسعدت لهـــذا النبأ ، لأن الإنارة الكهربائية ضرورة ملحة بالنسبة لنـا . وتبادلت معهما أطراف الحديث لحظة وقبل أن أغادر مكتب العمل جاءتنى رسالة مفادها أن الدكتور تسوزوكى الذى ينتمى إلى قسم الجراحة بالجامعة الامبراطورية بطوكيو سيزورنا فى الثالث من سبتمبر لمناقشة المشاكل المترتبة على إصابات الإشعاع الذرى .

زاد عدد العاملين بالمستشفى هذا الصباح بانضمام طبيبين من أطباء هيروشيما إلينا على سبيل التطوع ، وكان أحدهما هو الدكتور ناجاياما الذى كان يزاول المهنة فى ضاحية هاكوشيما القريبـة من هيروشيما ، أما الآخر فهـو الدكتور إيتاءوكو الذى كان يدير عيادة بأحد أحياء المدينة ، وكلاهما فى مطلع العقد الخامس من عمره ، وكانا قد أصيبا بالحروق ثم شفيا فرحبنا بهما .

وعندما حان موعد الغذاء لم أشعر بالرغبة فى الطعام ، فآويت إلى فراشى بعد ارتشاف الماتشا وقد جعلنى مذاق الشاى المر ودفئه أحس ببعض التحسن .

زارنى بعد ظهر اليوم ممثل للجمعية الطبية بأوساكا يدعى الدكتور هورى ، وقد استاء لمـا أصاب هيروشيما من دمار ، ولاحظ أن حجم الدمار يفوق ما كان يتصوره وماورد بالتقارير الرسمية التى أبلغت إليه قبل مغادرته أوساكا . وبعد أن أبدى أسفه لمـاحدث ، سألنى عما فعلناه ، لمواجهة ما ترتب على الحادث من مشاكل طبية فأجبته قائلا : « يجب أن تعلم أن ٧٢ طبيباً من بين ١٩٠ طبيباً كانوا موجودين بهيروشيما يوم البيكا قد قتلوا أو فقـــدوا ، ومن ثم تستطيع أن تستنتج ما كانت عليه حال الخدمة الطبية فى المدينة بعد الحادث ،

ولكنى أستطيع أن أخبرك بالوضع بالنسبة لمستشفانا ، فبفضل شجاعة وجهود هيئة المستشفى وموظفى المصلحة الذين كانت إصاباتهم طفيفة استطعنا مواجهة الموقف ، فقد تصدوا لخدمة المرضى الذين كانوا يتدفقون على المستشفى ، وزاد من صعوبة مهمتهم اندلاع النار فى مبنى المستشفى ومبنى المصلحة المجاور له » .
فسألنى الدكتور هورى عما فعلناه بالمرضى الموجودين بالمستشفى عند سقوط القنبلة ، فأجبته بأنه لم يكن لدينا مرضى بالقسم الداخلى لأننا قمنا بإخلاء المستشفى خلال الأسبوع الأول من يونيو ونقلنا المرضى إلى مكان أكثر أمناً لضمان سلامتهم حتى تصبح المستشفى خالية لمواجهة الطوارىء فى حالة وقوع كارثة .

فسألنى الدكتور هورى عن دواعى إقدامى على إخلاء المستشفى فقلت له :
« ربما لم تكن الدواعى التى دفعتنى إلى إخلاء المستشفى بذات بال ، ولكن الشك ساورنى عندما لاحظت أن الجيش قام بإخلاء المدرسة العسكرية المجاورة للمصلحة ونقل طلابها إلى منطقة المرتفعات المجاورة للمدينة ، كما أن الجيش أخذ ينقل مخازنه ومستودعاته التى تقع جنوبى المدينة ، هذا بالإضافة الى تعدد الغارات الجوية على المدينة وترحيل الجنود خارجها ، وترك عدد محدود منهم بالثكنات ، غير أن هؤلاء كانوا بلا حيلة فاستنتجت من ذلك كله أن الجيش يفكر فى الجلاء عن المدينة فى حالة تعرضها للهجوم ؛ كما أن ثمة شىء آخر دفعنى إلى اتخاذ قرار إخلاء المستشفى ، فعندما كانت مدننا الكبرى تتعرض لقصف شديد ، رددت الصحف بيانات تقول إن الخسائر المترتبة على هذا القصف محدودة ، ودفعنى ذلك إلى القلق على مصير مدينتنا ، كما أن هذا المستشفى يتمتع بموقع لا يحسد عليه إذ تحيط به المنشآت العسكرية من كل جانب ، وفى حالة تعرض المدينة للقصف قد يصاب المستشفى بطريق الخطأ بدلا من القيادة العسكرية ، ولم تكن هناك استعدادات كافية للدفاع المدنى ، ألا تعتقد أن هذه كلها مبررات كافية لاتخاذ قرار الإخلاء ؟ لقد طلبت أيضاً من مرضى العيادة

الخارجية أن يغادروا المدينة إذا استطاعوا ، وعندما سقطت القنبلة الذرية كان المستشفى خالياً إلا من بعض الحراس المدنيين الذين استخدموا الطابق الثاني من المستشفى كمأوى لهم » . ثم سألنى الدكتور هورى عن الجراح التى تبدو فى وجهى فقصصت عليه قصة تلك الجروح ، وأجبت عن أسئلته التى دارت حول ظروف الإصابة ، وقد راقنى الحديث إليه فهو رجل هادىء الطبع ذكى متعاطف معنا ، فشعرت بالارتياح لهذه الزيارة .

قبيل المساء بدأت أتفقد عنابر المرضى ، والتقيت فى الممر الذى يقع بين قسم الأشعة وحجرة الفراشين بالسيد كيتاءو والسيد يامازاكى وبعض الممرضات وهم يلاعبون إبنة السيدة تشودو التى توفيت ، وعلمت أنهم سيرسلون الطفلة إلى دار حضانة فى أوجينا لأن السيدة فوجى التى تبنت الطفلة لا يتوافر لديها الحليب الكافى لإطعامها ، وقد ثبت السيد يامازاكى صندوقاً فوق دراجته ليحمل فيه الطفلة إلى دار الحضانة ، فلم أتمالك نفسى من الانفجار فى البكاء ، فإن حال هذه الطفلة اليتيمة التى مات والداها بعد معاناة الألم ذكرنى بظروف وفاة أمها ، ولكنى شعرت بالطمأنينة لأن هذه الطفلة تتمتع بحب الناس ، ولأنها قد تجد الراحة فى الدار التى ستأويها .

بعد تناول طعام العشاء ، جلسنا حول المائدة وتجاذبنا أطراف الحديث ، وكانت إشاعة نفى الامبراطور هى الموضوع الرئيسى لحديثنا ، حتى بدأ رفاقى ينصرفون الواحد تلو الآخر إلى حجرة النوم وتركونى وحدى فى حجرة الطعام ، ولما لم أجد من أتحدث إليه آويت إلى فراشى ، ولكنى لم أستطع النوم لأن الفراش كان لا يزال رطباً ، كما أن مشكلة طفلة السيدة تشودو سيطرت على تفكيرى ، وجرنى التفكير فى أمر هذه الطفلة إلى تذكر اليتامى الذين خلفهم حادث القنبلة ، لقد كان بالمستشفى طفلة فى الثامنة من عمرها فقدت جميع أقاربها كما ماتت جدتها التى كانت آخر من بقى على قيد الحياة من أسرتها ، وصبي في الثالثة عشر من عمره مع أخته التي تبلغ الثامنة من عمرها جاءا إلى

المستشفى ليبحثا عن والديهما ، فعثرا على أمهما وشقيقهما الأكبر ، ولكنهما ماتا بعد ذلك وتركا هذين الطفلين وحدهما فى هذا العالم ، وقد تبنى السيد ميزوجوتشى أولئك الأطفال المهذبين الأذكياء الذين أصبحوا موضع اهتمام كل فرد فى المستشفى ، وجرنى التفكير فى هؤلاء اليتامى إلى تذكر ولدى وأمى التى تتولى رعايته وزاد إحساسى بالوحدة والحزن ، ولم يطرق النوم جفونى إلا فى ساعة متأخرة من الليل .

٢ سبتمبر ١٩٤٥

زخات مطر .

كان المستشفى هادئاً هذا الصباح، وقضيت وقتاً طويلا مستلقياً على فراشى محملقاً فى الأفق عبر النوافذ المحطمة فى قوس قزح ارتسم فى السماء إيذاناً بسقوط زخات المطر ، وقطعت السيدة سائيكى العجوز خلوتى حين جاءت إلى الحجرة تناديني قائلة : «ماذا حدث لك يا دكتور ، طعام الإفطار جاهز ، ولازلت راقداً فى الفراش حتى الآن ! » .

تمطيت وتثاءبت ثم نهضت من الفراش فى إثر السيدة سائيكى العجوز فى الطريق إلى حجرة الطعام ، حاولت أن آكل ولكن الطعام كان لا طعم له بالنسبة لى ، فأعددت كوباً من الماتشا ولكنه كان عديم الطعم ، فلم أستسغ طعاماً أو شراباً ، وكلما حاولت أن أتناول شيئاً عافته نفسى ، فتجرعت دواء للمعدة وتحاملت على نفسى حتى عدت إلى حجرتى لأرقد من جديد ، كان أنفى مزكوماً وأحسست بثقل فى رأسى ، فقد أصابتنى نزلة برد حادة ، ولكنى لم أكن أستطيع الرقاد حتى أبلو من المرض ، فغادرت الفراش قاصداً مبنى المصلحة . كان كل شيء هادئاً هناك كما هو الحال فى المستشفى ، وحين سألت عن سر ذلك الهدوء قيل لى إن اليوم هو الأحد ، حتى الآن كانت الأيام بالنسبة لى لا معنى لها ، وكان هذا اليوم عندي أول يوم منذ وقع البيكا يترك أثراً فى نفسي

دون غيره من أيام الأسبوع ، لقد أصبح يوم الأحد منذ الآن يوم الراحة بالنسبة للعاملين بالمستشفى ، غير أنى لم أسترح له . فقد اعتدت على الجلبة والضوضاء اللذان عاشهما المستشفى ، وهذا السكون المطبق يجعلنى أشعر بالانقباض .

كان السيد أوشيو رئيس الشئون العامة يجلس وحيداً فى حجرته وقد بدا أكثر تقدماً فى السن أكثر من ذى قبل ، ولم يكن مكتبه أحسن منه حالا ، فقد كان يشغل حجرة أنيقة جميلة قبل البيكا ، ولكنه الآن يقيم فى حجرة كئيبة اكتست جدرانها بالهباب تشبه تماماً غرفة المطبخ فى منزل حقير ، لقد كان رجلا عجوزاً أصابته الحروق يشغل حجرة تحمل آثار الحريق. وحاولت أن أشيع جواً من البشر رغم الأفكار التى جالت برأسى ، فامتدحت علامات الصحة التى ادعيت وجودها على وجه السيد أوشيو ، وقلت له إنه محظوظ لأن مكتبه لم يدمر تماماً كما دمرت بقية حجرات المصلحة ، فرد على عباراتى هذه بقوله : «كيف لا أكون محظوظاً وأنا أنام فى فراش جاف فكما ترى أضع فراشى بجوار الحائط المقابل للنافذة حتى أتفادى مياه المطر ، لماذا لا تنقل فراشك إلى هنا فكم يسعدنى أن تكون معى ؟ »

فشكرته ووعدته بأن أنتقل إلى غرفته إذا لم يتوقف المطر ، وتحدثنا قليلا ثم عدت إلى المستشفى .

وجدت الدكتور تاماجاوا جالساً فى حجرة الطعام يعد بعض الملاحظات حول نتائج التشريح ، ونظر إلى من فوق نظارته قائلا : «يوافق غداً عيدميلادى كما يوافق موعد محاضرة الدكتور تسوزوكى» . ثم عاد إلى الانشغال بمذكراته دون أن يزيد شيئاً ، فعدت إلى حجرتى حتى لا أعطله عن العمل حيث كان الدكتور ساسادا والسيد شيوتا يتحدثان عن الطقس، وعلمت أن السيد ميزوجوتشى قد دبر مسكناً فى سينو ليقيم فيه الدكتور ساسادا ، وأن الدكتور ساسادا

يعتزم مغادرة المستشفى من جديد عندما يتوقف المطر عن الهطول ، كما أن السيد شيوتا يتأهب لمغادرة المستشفى بدوره ، ففكرت فى مغادرة المستشفى أيضاً ، ولكن يقينى أن مكانى هنا جعلنى أطرد هذه الفكرة من رأسى .

٣ سبتمبر ١٩٤٥

زخات مطر .

لم تلح فى الأفق علامات توقف المطر ، ولذلك خيم على المستشفى جو من الكآبة ، فقد أصبح كل شىء مبتلا ، وكنا جميعاً نرتجف حتى العظام ، ونضحت حوائط المبنى بالمياه وابتلت ثيابنا وفراشنا وأخذت رائحة العطن تفوح من كل شىء ، وبالأمس قام السيد إيماتشى والسيد يامازاكى بإقامة حمام خاص للعاملين بالمستشفى قرب مدخل المطبخ وقد استخدما فى إقامته أنبوب حديدى قديم وبعض الصخور وصفائح الزنك ، وباستطاعتنا أن ننعم الآن بحمام ساخن يجعلنا نتمتع براحة الأعصاب والذهن إذا توفرت لدينا الأخشاب الجافة ، لأن معظمنا لم يغتسل منذ وقع البيكا ، فإذا استطعنا أن نغتسل كل يوم وننعم بدفء الحمام فإن ذلك سيعيننا على تحمل متاعب المطر .

أثناء عودتى من المرحاض هذا الصباح لمحت كلباً هزيلا كئيب المنظر يسير فيما بين مبنى المصلحة وسور المستشفى وقد أمسك فى فمه شيئاً عثر عليه اكتشفت أنه بعض الخضروات التى ربما يكون قد عثر عليها بالقرب من مطبخ المستشفى ، ياله من منظر يدعو إلى الأسى ! ، لقد أصبحت الكلاب فى هيروشيما نباتية ، وكان معظم شعر الكلب قد تساقط فاستنتجت أنه يعانى من مرض الإشعاع الذرى أيضاً . لقد كان هذا الكلب بمنظره الكئيب يرمز إلى ما أصاب المدينة بعد سقوط القنبلة .

ذهبت إلى حجرة الطعام مبكراً لتناول الإفطار والتمتع بالحديث مع السيدة سائيكى ، فقد كان تفاؤلها وانشراح صدرها يبعثان القوة فى نفسى .

لما كان الدكتور تسوزوكى يعتزم إلقاء محاضرة حول مرض الإشعاع الذرى بعد ظهر اليوم ، فقد ذهبت إلى عنابر المرضى بعد الإفطار وقضيت معظم الوقت فى مراجعة بطاقاتنا واستطلاع أحوال المرضى وكتابة بعض الملاحظات حتى أكون على استعداد للتعقيب على محاضرته إذا سنحت الفرصة، فوجدت أن هناك بعض المرضى الجدد الذين أدخلوا إلى المستشفى ممن يعانون البثور ولكنهم يختلفون عن المرضى الآخرين لأنهم يصرون على أن حالتهم كانت طبيعية بعد سقوط القنبلة ، ولم يشعروا بأعراض المرض إلا منذ ثلاثة أو أربعة أيام ، وكان بعضهم قد بدأ يفقد شعره .

بعد تناول الغذاء قصدت خرائب بنك جى إيبى فى ياماجوتشى بصحبة طالبى الطب وأطباء المستشفى سيراً على الأقدام لنستمع إلى المحاضرة التى يلقيها الأستاذ الدكتور تسوزوكى ، وكان قد انقضى وقت طويل منذ تجولت آخر مرة فى المدينة المدمرة المخربة ، فتأثرت كثيراً عندما رأيت أكواخاً أقيمت وسط الحطام هنا وهناك ، ومعظم هذه المنازل كانت مقامة من عروق الخشب وألواح الصاج .

وبعد قليل بلغنا المبنى الخرسانى الذى يشغله بنك جى إيبى على خط الترام بالقرب من إينارى باشى ، وكان من المقرر أن تلقى المحاضرة بإحدى حجرات الدور الثانى التى كانت نوافذها تطل على خرائب هيروشيما من جهة الخليج ، ولاحت فى الأفق جزيرة نينوشيما بوضوح تام كما لو كانت تقع على الجانب المقابل لمبنى البنك ، وبدت أحياء أوجينا وإيبا واضحة للعيان صوب الجنوب وكأنها تقع على بعد خطوات من مبنى البنك فشدنى منظر مدينة هيروشيما المحطمة وقد بدت صغيرة المساحة وكأنها إحدى القرى

وحين عدت بعد تناول طعام الغذاء إلى مكتبي لمتابعة العمل في إعداد التقرير، حضر فجأة ضيف لم أكن أتوقع قدومه ولكني رحبت بمقدمه هو السيد هاشي موتو، وكان الرجل قد تطوع لمساعدتنا بضعة أيام بعد حدوث البيكا، وأسعفني عندما جئت إلى المستشفى مصابا، كما قام بمساعدة الدكتور كاتسوبي عندما أجرى لي العملية الجراحية.

وعندما سقطت القنبلة كان السيد هاشي موتو داخل عربة من عربات الترام التي تعمل على خطوط الضواحي، وكانت تلك العربة قد غادرت للتو محطة اتسوكا اتشي[1] في الطريق إلى هيروشيما، ولما كان التيار الكهربائي قد قطع فور سقوط القنبلة، فقد اضطر السيد هاشي موتو أن يسير على الأقدام حتى محطة كوئي، ومن هناك وصل إلى هيروشيما متتبعا خط الترام، وما كاد يصل إلى المستشفى حتى تحولت المدينة إلى ألسنة من اللهب، وكلف بمعاونة الدكتور كاتسوبي والممرضات في تنظيف غرفة العمليات، ثم أسندت إليه مهمة جمع الأخشاب لاستخدامها في غلي الماء اللازم لتطهير أدوات الجراحة.

وما كدت آراه حتى بادلته التحية بحرارة وقلت له: «انني مدين لك بالكثير ياسيد هاشي موتو، فلولا معاونتك لما استطاع الكثير هنا البقاء على قيد الحياة».

فتقبل كلماتي بتواضع جم، وحاول أن يهون من قيمة ما أداه لنا من خدمات، وعلمت منه أن أحداً لم يكن يتوقع لي النجاه، وأنه يعزى الفضل في بقائي على قيد الحياة إلى العناية الفائقة التي أولاني إياها الأطباء والممرضات. ويبدو أن هذا الحديث قد أوقع السيد هاشي موتو في الحرج فحاولت أن أغير الموضوع بسؤاله عن التجربة التي مر بها عندما سقطت القنبلة.

---

(١) اتسوكا اتشي قرية تقع في الطريق إلى مياجيما على بعد نحو أربعة أميال إلى الجنوب الغربي من هيروشيما.

فأجاب بعد أن أطرق مليا : « لقد كانت تجربة مهولة ، كانت عربة الترام قد غادرت لتوها محطة اتسوكا اتشى ، وكانت تسير بمحاذاة مستشفى مياكى للجراحة عندما سمعت دويا هائلا (دُنْ) ، وتوقفت عربة الترام فجأة ، وقفز كل من فيها وعدوا نحو المحطة ، فخشيت أن تكون المحطة أكثر تعرضا للخطر فعدوت نحو الطريق العام ، عندئذ رأيت سحابة ضخمة ترتفع فوق هيروشيما ، وعلى جانبي تلك السحابة الكثيفة كانت تتناثر سحابات صغيرة جميلة تبدو وكأنها شاشات ذهبية .

وكانت الساعة العاشرة صباحا عندما وصلت إلى كوئى ، وبلغت يوكوجاوا نحو الظهر ، وكان كل شيء قد احترق فيما بين يوكوجاوا وهيروشيما وبدأ يتساقط مطر غزير ، فاحتميت بأحد المنازل التى لم يدركها الحريق حيث كانت هناك سيدة عجوز تصرخ منادية ابنتها التى خرجت من الدار ولم تعد ، ويبدو أنها كانت ملتحقة بإحدى فرق العمل ، وعندما وصلت إلى جسر ميساسا الذى يعبره الخط الحديدى كانت قوائم الجسر تحترق ، وعند نقطة الحراسة الأولى شاهدت رجلا ميتا وكثير من الناس يجلسون داخل صهاريج المياه يلتقطون أنفاسهم بصعوبة ، يا له من منظر مفزع ! وكانت الساعة الرابعة بعد الظهر عندما وصلت إلى مبنى المصلحة ، وما كدت أصل إلى المصلحة حتى كان حذائى قد بلى نتيجة سخونة الأسفلت وذوبانه .

ولا أكاد أذكر عدد القنابل التى ألقيت على المدينة ، ولكنى أتذكر جيدا أننى شاهدت مظلتان تهبطان من السماء ، وكان هناك نحو عشرين أو ثلاثين جنديا يرقبونها معى وهم يصفقون فرحين وقد ظنوا أن الطائرة ب — ٢٩ قد أصيبت وأن طياريها يحاولون النجاة » .

واستمر السيد هاشى موتو يقص أطرافا من تجربته خلال الأيام الأولى التى تلت القصف ثم استأذن فى الانصراف . وبعد أن تركنى حاولت أن

الصغيرة التى يسكنها الصيادون ، وكأنها لم تكن يوماً ما تلك المدينة الكبيرة التى تطل على خليج هيروشيما .

أدهشنى أن أجد عدد الحاضرين محدوداً ، ويبدو أن ظروف المطر منعت الناس من الحضور للاستماع إلى المحاضرة ، وإن كانت قلة عدد الحاضرين ترجع إلى تناقص عدد الأطباء فى مدينة هيروشيما وكان بين الحاضرين بعض الأصدقاء القدامى فتبادلنا التهنئة بالبقاء على قيد الحياة .

جاء الدكتور كيتاجيما رئيس الإدارة الطبية بصحبة الأستاذ تسوزوكى ومعهما الدكتور مياكى أستاذ الباثولوجى وآخرون لم أكن أعرفهم من قبل ، وبعد مقدمة قصيرة بدأ الدكتور تسوزوكى أستاذ الجراحة بجامعة طوكيو الامبراطورية فى إلقاء محاضرته ، فبدأ بمناقشة النظريات التى تكمن وراء تطور القنبلة الذرية ، ثم تحدث عن مدى القوة التى تنجم عن تفجيرها ، وانتقل إلى الأثر الذى تركته قنبلة هيروشيما ، والإصابات التى نجمت عن ارتفاع درجة الحرارة بعد التفجير ، وآثار الإشعاع ، ثم ناقش أخيراً موضوع امتصاص الإشعاعات .

وبعد أن انتهى الدكتور تسوزوكى من إلقاء محاضرته قام الدكتور مياكى بإلقاء محاضرة حول النتائج التشريحية التى ترتبت على فحص جثث مرضى الاشعاع الذرى ولم يخرج ما ذكره عما توصلنا إليه فى مستشفانا ، وقد ضايقنى بعض الشىء لسبقه فى إعلان هذه النتائج قبلنا ، غير أنى شعرت بالاشفاق عليه لأنه واجه نفس المتاعب التى واجهناها ، وقد استمتعت بصفة خاصة بحديثه عن تأثير الاشعاع فى الدم ، فقد كانت لدينا الكثير من التساؤلات حول هذا الموضوع ، وبذلك جاءت خلاصة أفكار المحاضر مطابقة تماماً لما توصلنا إليه فى المستشفى ومؤكدة له .

وأثناء عودتنا إلى المستشفى فكرت فى ضرورة تلخيص وتنظيم النتائج التى توصلنا إليها ، فقد كان الدكتور تاماجاوا منهمكاً فى أبحاثه

الباثولوجية ولم أشأ أن أخذله بالتوقف عن الأبحاث الاكلينيكية، وعندما عدت إلى حجرتي جمعت ملاحظاتي وحاولت ترتيبها، وكلما بذلت الكثير من الجهد كلما بدت المهمة صعبة، وأخيراً عدلت عن محاولتي بعدما تملكني اليأس، ولعلي أستطيع مواصلة العمل بصورة أحسن إذا اكتفيت بتحليل الإحصاءات وتلخيص ما توصلنا إليه من استنتاجات بدلا من محاولة ترتيب ملاحظاتي المبعثرة المختلطة ببعضها البعض.

بعد تناول العشاء قصصت على الدكتور ساسادا والسيد شيوتا ما سمعناه بعد ظهر اليوم، وكان الدكتور ساسادا يريد مغادرة المستشفى بفارغ الصبر، وضايقه استمرار هطول الأمطار الذى حال بينه وبين الرحيل إلى سنيو.

تحسنت حالة زوجتي هذا المساء، وقد سررت عندما سمعتها تمزح مع بعض المرضى الآخرين، ولذلك طلبت من الآنسة كادو أن تتوقف عن حقنها بالتريونون على أن تقوم بمراقبة حالتها بضعة أيام.

٤ سبتمبر ١٩٤٥

طقس غائم ممطر.

أنفقت معظم فترة الصباح فى ترتيب أوراقى وتجميع البيانات الاحصائية الضرورية لكتابة تقرير يتضمن ما توصلنا إليه من نتائج، ثم عاد إلى الارتباك مرة أخرى، وفقدت المثابرة على العمل فأهملته، وان كنت على ثقة أن ما توصلنا إليه من معلومات نتيجة متابعتنا لأحوال المرضى كفيل بكتابة تقرير يفوق كل ما كتب عن الظروف التى واجهتها المدينة، فان الباحثين الذين أتوا من خارج المدينة لم يمكثوا فيها إلا وقتا قصيرا، فلم تتح لهم فرصة الاطلاع على حقيقة الأوضاع ومتابعة حالات المرضى مثلما أتيحت لأولئك الذين أقاموا طوال الوقت فى المدينة، غير أنى لم أستطع حتى الآن أن أبدأ فى كتابة التقرير، فاسترحت قليلا لارتشاف بعض أكواب الشاى وتدخين السجاير.

أتصور فى ذهنى السماء الجميلة التى تزينها السحب الذهبية التى وصفها ، فعندما كان يبدى إعجابه بمنظر السماء ، كنا نحن نحاول النجاة من الموت تحت أنقاض بيوتنا التى كانت تتداعى . كما كنا نسير على غير هدى فى شوارع المدينة التى لفها الظلام . لقد كانت رؤية الناس للبيكا داخل المدينة تختلف تماما عن رؤية غيرهم له خارجها، فبدت السماء لمن كانوا داخل المدينة مكسوة بسحاب أسود داكن جعل الناس يتلمسون طريقهم بصعوبة ، أما من كانوا خارج المدينة فقد شاهدوا سماء ذهبية اللون جميلة المنظر ، وإن كانوا قد سمعوا صوت انفجار رهيب .

لقد أعجبنى فى رواية السيدهاشى موتو دقة ملاحظته ، فقد وصف السحابة بأنها كانت كبيرة سوداء اللون متعددة الطبقات تتفتح مثل نبات عش الغراب ، ولكنى لم أسمع من قبل أنه كان يحيط بتلك السحابة سحابات أخرى تختلف عنها فى اللون . لقد سمعت عرضا من أولئك الذين كانوا يقيمون خارج هيروشيما مثل سكان فوتشو وفوروواتشى[1] أن السماء كانت جميلة ، ولكنى تبينت الآن سر جمال السماء يومذاك ، فهذا الجمال الذى بدا لمن راقبوا المشهد من الخارج كان يخفى تحته الدمار للمدينة العظيمة والموت لسكانها .

(١) فوتشو قرية تقع شرق هيروشيما على بعد ٥٠٠٠ متر من مركز التفجير وتختفى خلف التلال ، أما فوروواتشى فمدينة تقع على بعد ثلاثة أميال شمال هيروشيما .

٥ سبتمبر ١٩٤٥

جو غائم فى بداية اليوم ثم ما لبثت الغيوم أن انقشعت وأصبح السماء صحوا.

مر اليوم العاشر بعد المائتين الذى يحدد بداية موسم التيفون[١] دون أن يحدث ما يكدر الصفو ، ربما كان المطر يعوق هبوب العواطف ، ولكن الرياح بدأت تهب بقوة محدثة ضوضاء شديدة ، لذلك كان نومى متقطعا ليلة الأمس بسبب زئير الرياح ، وحلمت أن شيئا ما يطاردنى ، ولكن عندما استيقظت فى الصباح كنت خالى الذهن تماما .

تناولت طعام الافطار مع كوب مركز من الماتشا ، وسمعت أن بعض الصحف اليومية قد وصلت إلى المصلحة ، فذهبت إلى هناك لعلى أقرأ شيئا عن الاستسلام ، ولكن خاب ظنى عندما علمت أن الصحف لم تصل بعد ، كما أن السيد أوشيو لم يسمع شيئا سوى أن الاستسلام غير المشروط كان موضع قبول هيئة الأركان ووزير الخارجية ، وعلمت أن ما قمنا به من جهود منذ البيكا قد أبلغ إلى وزارة المواصلات فى تقرير شامل ، فسعدت لسماع ذلك النبأ وتمنيت أن تكافىء الوزارة العاملين معى على ما بذلوا من جهد .

عدت إلى حجرتى وقضيت بقية فترة الصباح فى كتابة بعض الملاحظات عندما زارنى السيد ماتسوموتو محرر جريدة سان جيوكيزاى (الصناعة والاقتصاد) .

رتبت النتائج الاكلينيكية التى توصلنا إليها بنفس الطريقة التى صنف بها الأستاذ الدكتور تسوزوكى أنواع الحالات التى عرض لها فى محاضرة الأمس وهى : جروح الانفجار ، وحروق بريق الضوء ، ومرض الاشعاع ، وكانت

---

(١) التيفون إعصار ممطر يصيب منقطة الشرق الأقصى فى مطلع فصل الخريف على فترات متقاربة ويحمل كل منه اسما خاصا .

تنقصنى المعلومات عن المرضى الأوائل الذين أدخلوا إلى المستشفى لأننا لم نكن نحتفظ عندئذ بسجلات خاصة ، كما أن المرضى الذين كانوا موضع اهتمامى ماتوا جميعا . غير أنه يتوافر لدينا سجلات لنحو مائتى حالة أدخلت المستشفى فيما بعد. وقمت بترتيب هؤلاء وفقا للأعراض والشواهد ونتيجة فحص الدم والمسافة بين مواقعهم عند الاصابة ومركز التفجير ، وكانت محاضرة الدكتور تسوزوكى والدكتور مياكى ذات قيمة بالغة لأن معاملنا وأدواتنا كانت قد دمرت تماما ، كما فقدنا الاتصال بالعالم الخارجى ، فكنا نجهل تماما المعلومات العلمية والفنية الضرورية لاستخلاص النتائج . وقضيت فترة بعد الظهر فى إعداد جدول كبير على مسطح من الورق حصلت عليه من المصلحة ، ولم أتوقف عن العمل الا للحظات ودعت فيها الدكتور ساسادا وتناولت وجبة سريعة . وعند حلول المساء بدأت أدفع ثمن التركيز الشديد والافراط فى التدخين فالتهب حلقى وآلمتنى معدتى ، فتناولت بعض الغرغرة وتجرعت قليلا من بيكربونات الصودا فأخذ حلقى يتحسن ، وبعد أن تجشأت عدة مرات أحسست بالراحة فى معدتى وآويت إلى فراشى .

٦ سبتمبر ١٩٤٥

سماء صافية ينتشر فيها السحاب أحيانا ثم مايلبث أن ينقشع .

سطعت الشمس اليوم وأصبحت السماء زرقاء صافية والهواء نقيا لأول مرة منذ أسابيع ورأينا الشمس مرة أخرى بعد غياب طويل فوضعنا كل شىء راطب أو مبتل فى الشمس مثل الفرش والملابس حتى الأعلام الملونة التى حصلنا عليها من سلاح المهندسين فأضافت إلى المنظر لمسة من الألوان المتعددة وشيئا من البهجة .

وحاول السيد شيوتا الاستفادة من هذا اليوم المشمس في الاعداد للرحيل،

وقد رحل الدكتور ساسادا بالأمس ، واعتزام السيد شيوتا الرحيل اليوم ملأنى حزناً رغم يقينى أن من مصلحتهما ترك المستشفى .

غادر السيد شيوتا المستشفى بعد الظهر وبرفقته زوجته المخلصة والآنسة ميازاكى فتركوا فراغاً فى مجموعتنا الصغيرة من الصعب أن يملأ من جديد ، وبعد رحيلهم بقليل تلقت المستشفى معونة من الجيش تتكون من جوالات السكر التى يزن كل منها مابين ١٠٠ و١٥٠ كيلوجراماً وقد جاءت هذه المعونة فى وقتها فقد طال بنا الشوق إلى الحلوى ، وتمنينا لو كان معنا الدكتور ساسادا والسيد شيوتا لينالا نصيباً منها .

واصلت العمل فى إعداد أوراقى قبيل المساء مستعيناً بخريطة للمدينة رسمت عليها دوائر تقع على بعد ٥٠٠ و١٠٠٠ و١٥٠٠ و ٢٠٠٠ متراً من مكتب بريد هيروشيما الذى اعتبر مركزاً لمنطقة التفجير ، ثم حاولت أن أحدد موقع كل مريض من المرضى الذين تتوافر لدينا سجلات عن حالتهم ساعة الإصابة . كان هذا العمل أصعب مما كنت أتوقع ، فمعلوماتنا عن المواقع كانت تقريبية ، كما أن خطوط الخريطة كانت غير واضحة لدرجة يصعب معها تحديد الكثير من الأماكن ، وراحت عشرات الأفكار تتسابق فى ذهنى أثناء العمل لتحول بينى وبين التركيز على نقطة واحدة لفترة من الوقت ، فتوقفت عن العمل يائساً ، وتناولت دواء منوماً ، وآويت إلى الفراش .

كانت حالة زوجتى اليوم أحسن من ذى قبل ، فقد تماثلت للشفاء تقريباً ، كما أن الآنسة ياما والسيدة سوسوكيدا كانتا فى طريقهما للتحسن ، وقبل أن أغط فى النوم شعرت بالقلق عندما تذكرت أن الدكتور ساسادا والسيد شيوتا قد رحلا عنا .

٧ سبتمبر ١٩٤٥

جو غائم .

استيقظت من نوم عميق مرتاح الذهن ، وأحسست لأول مرة منذ البيكا بالقدرة على التركيز ، ولذلك فحصت نحو عشر حالات قبل تناول الإفطار .

وبعد تناول الإفطار فحصت عشرين حالة أخرى قبل أن يقطع خلوتى قدوم بعض الزائرين ، ولكنى واصلت العمل بعد انصرافهم . وقبل الظهر كنت قد فرغت من دراسة نصف مالدينا من حالات .

واصلت العمل بحماس ملحوظ بعد تناول الغذاء ، وبدأت تتضح معالم الدراسة أمامى بصورة شيقة ، فرتبت جداول المسافات بين مواقع الإصابة ومركز التفجير كالتالى: ٥٠٠متر فأقل ، و٥٠٠ـ١٠٠٠ متر ، و١٠٠٠ـ٢٠٠٠متر و ٢٠٠٠ متر فأكثر . ووجدت سهولة كبيرة فى تحديد مواقع المرضى عند الإصابة ، وعندما دعيت لتناول العشاء كنت قد انتهيت من فحص ١٧٠ حالة .

لقد أصبح واضحاً أن هناك علاقة وثيقة بين تناقص كرات الدم البيضاء والقرب من مركز التفجير ، وقد بدأت بإعداد هذا الجدول لأنه كان أسهل جزء فى الدراسة ، ثم قمت بعد ذلك بمقارنة العلاقة بين الأعراض والمسافة من موقع التفجير ، وقسمت الحالات المختلفة إلى مجموعتين : حالات الإصابات الشديدة ، وحالات الإصابات البسيطة واستفدت من هدوء الليل وبرودته فلبثت أعمل حتى الثالثة صباحاً ثم تناولت منوماً وآويت إلى فراشى .

٨ سبتمبر ١٩٤٥

طقس غائم مع سقوط أمطار على فترات متقطعة .

استيقظت حوالى الساعة الثامنة منتعشاً مستعداً لمواصلة العمل ، فاتضح لى بصفة عامة أن أقرب المصابين إلى مركز التفجير هم أولئك الذين ظهرت عليهم أكثر الأعراض حدة ، أما أولئك الذين أصيبوا على مسافات أبعد فقد كانت إصابتهم أقل خطورة ، كما أن الأعراض التى بدت عليهم كانت أقل منها عند غيرهم وعلى كل حال كانت هناك استثناءات قليلة ، فبعض المرضى الذين كانوا بالقرب من مركز التفجير ظهرت عليهم أعراضاً محدودة ، وكانت كرات دمهم البيضاء تكاد تكون طبيعية . وعندما درست تلك الحالات كل على حدة توصلت إلى معرفة السبب ، فقد كان هؤلاء المرضى يحتمون داخل مبانى خرسانية أو خلف أشجار ضخمة أو غيرها من الحواجز القوية .

تلقيت اليوم بعض الصحف كانت جميعاً تحمل مقالات حول الإصابة بالإشعاع الذرى كتب أحدها الدكتور تسوزوكى ، فوجدتنى موزعاً بين الرغبة فى قراءة تلك المقالات والميل إلى الاستمرار فى مواصلة دراستى الخاصة ، وأخيراً نحيت الصحف جانباً وعدت إلى مواصلة العمل .

وبعد الغذاء حاولت أن ألخص نتائج بحثى فى تقرير قصير ، ولكنى اكتشفت أن مثل هذا العمل أصعب بكثير من جمع المادة ، وبذلت أقصى الجهد غير أنى عجزت عن ترجمة أفكارى ، وكنت لا أزال أعمل عندما حل المساء ، وأخيراً بدأ ذهنى يتقد فى وقت متأخر من الليل ، وأخذ قلمى يتحرك على الورق بثبات ، وغدت الكتابة بالنسبة لى أسهل من ذى قبل ، فواصلت الكتابة

مبهوراً بوضوح الأفكار وسهولة التعبير ، وما كاد الليل ينتصف حتى فرغت من إعداد التقرير .

وظننت أن باستطاعتى النوم بعمق هذه الليلة ، ولكن ذهني كان لايزال نشطاً فلم أستطع النوم دون أن أتناول دواء مهدئاً .

٩ سبتمبر ١٩٤٥

طقس غائم مع انقشاع السحب أحياناً .

استيقظت فى الثامنة صباحاً ، وواصلت إعداد التقرير حتى حان موعد الإفطار ، ولكن مابدا لى رصيناً ليلة الأمس عندما كنت منهمكا فى الكتابة وجدته اليوم غثاً هزيلا . فقد انطلقت كالصاروخ غير أنى سقطت كما تسقط العصا ، أو مثلما يقول المثل القديم : « رأس تنين وذيل ثعبان » . فتملكنى الضيق وأخذت أبذل الجهد لقص رأس التقرير وإطالة ذيله ، غير أنه كان بعيداً عن الرصانة ، ولكنى استطعت أن أدخل بعض التعديلات عليه حتى استقام شكله ، وإن ظلت صورته لاتبعث الرضا فى نفسى .

وعندما جاء الصحفى السيد متسو موتو بعد الغذاء بقليل لاستلام نص التقرير طلبت منه أن يمهلنى يوماً آخر لأرمم صدعه وأصلح من شأنه ، فضحك وطلب أن يقرأ التقرير أولا ، وما أن فرغ من قراءته حتى طمأننى بقوله : « يادكتور ، أنه تقرير ممتاز ، وسأوليه عنايتى ، ثم أعيده لك بعد النشر » . وقبل أن ينصرف التقط لى صورة وأنا أحمل التقرير فى يدى ، ونصه كالتالى :

القنبلة الذرية والإشعاع الذرى

مامدى قوة القنبلة الذرية التى أحرقت هيروشيما وأهلها ، ودمرت التلال، وقتلت الأسماك فى الأنهار ؟ لقد كانت بريقاً أبيض نجم عنه أثر مدمر . أننى واحد ممن بقوا على قيد الحياة من أهل المدينة ، وصلت بالكاد إلى المستشفى عقب سقوط القنبلة ، وقد غطت جسدى الدماء التى أخذت تنزف من جروح أصبت بها نتيجة تطاير الزجاج . كان منزلى يقع على مسافة تتراوح ما بين ١٧٠٠ — ١٨٠٠ متراً من مركز التفجير ، بينما كان المستشفى يقع على مسافة ١٥٠٠ — ١٦٠٠ متر من ذلك المركز ، وظننت أنى ميت لا محالة بعدما لحقنى من إصابات ، فعقدت العزم على أن أموت فى المستشفى . وعندما وصلت إلى المستشفى لم تكن النيران قد اشتعلت بعد ، وكان أول سؤال وجهته للناس هناك هو : « هل قتل أحد ؟ » ثم رحت فى غيبوبة كاملة ، ووضعنى زملائى على محفة ، وأصبحت منذ ذلك الحين عبئاً عليهم ، ينقلوننى هنا وهناك فى محاولة لإنقاذى من ألسنة اللهب التى أخذت تنتشر من حولنا . ولحسن الحظ لم تقتل القنبلة أحداً من العاملين بالمستشفى بسبب بعدها عن مركز التفجير ، كما أن البناء كان قوياً متيناً ، غير أن العاملين بالمستشفى أصيبوا بجروح ، ورغم إصاباتهم ناضلوا ببسالة يجمعهم شعور الأخوة الذى أمدهم بالقدرة على مواجهة الموقف وأدهشنى هدوءهم ورباطة جأشهم رغم أن الموت كان يهددهم فى كل لحظة . وأود أن أعبر هنا عن امتنانى الشديد لهم . وكنت أتمنى خلال اللحظات الحرجة أن أحظى بالهدوء والطمأنينة اللذان رأيتهما على وجوه الممرضات . ومنذ ذلك اليوم حتى الآن أصبحت أعيش فى مستشفى جيد التهوية ، وكان بمقدورى أن أعبر عن إحساس المريض والطبيب فى نفس الوقت ، وحاولت أن أدرس التغيرات التى تطرأ على حالات مرضانا أولا بأول .

لقد كان انفجار القنبلة حادثاً عرضياً وقع فى لحظة محددة ، ولكنه غير

مجرى حياة مواطنى هيروشيما ، فلقى من كانوا بالقرب من مركز التفجير حتفهم، أما أولئك الذين كانوا على مسافة بعيدة عن مركز التفجير فأخـذوا يتماثلون للشفاء . لقد مر شهر على الحادث عالجنا خلاله ودرسنا حالات نحو خمسة آلاف مريض ، ولازلنا نواصل العمل . ويمكننى أن ألخص النتائج التى توصلنا إليها فى الوقت الحاضر على النحو التالى :

١ — أولئك الذين كانوا على بعـد ٥٠٠ متر من مركز التفجير خارج بيوتهم ماتوا فى الحال أو لفظوا أنفاسهم الأخيرة بعد أربعة أو خمسة أيام .

٢ — بعض من كانوا داخل مبان تقع على بعد نحو ٥٠٠ متر من مركز التفجير نجو من الموت حرقاً نتيجة احتمائهم بتلك المبانى ، غير أن الكثيرين منهم ظهرت عليهم أعراض مايسمى « بمرض الإشـعاع الذرى » فى فترة تراوحت مابين يومين إلى خمسة عشر يوماً من تاريخ الحادث ، ومالبثوا أن ماتوا . وأعراض هذا المرض هي : الإعياء ، والقيء ، والبثور ، والإسهال الدموى .

٣ — أولئك الذين أصيبوا فى مناطق تقع على بعد ٥٠٠ — ١٠٠٠ متر ظهرت عليهم أعراضاً شبيهة بتلك التى ظهرت على من أصيبوا بالإشعاع الذرى فى حدود دائرة الـ ٥٠٠ متر ، ولكن أعراض هـذا المرض ظهرت عليهم متأخرة وبشكل أقل حـدة ، غير أن معدل الوفاة بين هذه المجموعة كان عالياً .

٤ — قمت بدراسة مواقع الإصابة بالنسبة لمرضى القسم الداخلى وعدد كبير من مرضى العيادة الخارجية ، فاتضح لى أن معظمهم قد أصيب على مسافة تتراوح مابين ١٠٠٠ — ٣٠٠٠ متر من مركز التفجير ، وبين هذه المجموعة كانت الأعراض التى ظهرت على من يقتربون من مركز التفجير أكثر حـدة

من غـيرهم ، وقد مات بعضهم ، غـير أن حالة معظمهم تميل إلى الثبات أو التحسن .

٥ ـ عانى عدد كبير من المرضى من سقوط الشعر بعد أسبوعين من وقوع الانفجار ، وبعض هؤلاء المرضى كانت حالتهم معقولة ، أما بعضهم الآخر فـكانت أحوالهم سيئة .

٦ ـ تمثلت نتائج الفحص الا كاميكي لمرضى الإشعاع الذرى فى تناقص عدد كرات الدم البيضاء ، كما أثبت الفحص الباثولوجى وجود تغيرات كبيرة فى مكونات الدم وخاصة نخاع العظام ، وقد مات كل من أصيب إصابات بالغـة خلال الشهر الماضى ، أما المرضى الذين يعانون من نقص فى كـرات الدم البيضاء وظلوا على قيد الحياة حتى الآن ، فلم يطرأ تغيير ملحوظ على حالتهم ويميل بعضهم إلى التحسن .

وقد علمنا مؤخراً أن الصحف ومحطات الإذاعة الأمريكية قد تناولت الآثار التى تترتب على القصف الذرى ، غير أننا لانستطيع الوقوف على هـذه المعلومات لعدم وجود جهاز راديو لدينا ، كما أن الصحف لاتصل إلى هيروشيما . وقد انزعج الناس فى بداية الأمر عندما علموا أن المنطقة التى تصاب بالقنبلة الذرية لاتصلح مكاناً للسكنى لمدة ٧٥ عاماً ، وبسبب تلك الإشاعة يتردد الناس المقيمون على أطراف المدينة فى دخولها والعيش فيها ، ولذلك فإن مبنى المستشفى ومصلحة المواصلات يقفان وحدهما وسط الدمار الذى حل بالمدينة ، كما أننا نفتقر إلى المعونة الخارجية ، وحتى نستطيع مواجهة تلك الإشاعة قمنا عند نهاية شهر أغسطس بإجراء فحوص طبية على الأفراد القلائل الذين قدموا من الضواحى إلى المدينة بعد حادث القنبلة ولم نـكتشف وجود ظواهر غير عادية فى هذه الحالات ، فقد كان عدد كرات دمهم البيضاء فى حدود المعدل الطبيعى أى من ٥٠٠٠ ـ ٧٠٠٠ خلية ، كما أننا فحصنا بعض الأفراد الذين كانوا بالقرب

من مركز التفجير مثل الأشخاص الذين كانوا فى بدروم مكتب التليفونات ، والأشخاص الذين كانوا يحتمون داخل مخابىء الوقاية من الغارات الجوية ، وكذلك بعض الأفراد الذين كانوا يحتمون داخل آليات حصينة ، وكانوا جميعاً يتمتعون بقدر طبيعى من كرات الدم البيضاء وحالتهم الصحية طبيعية ، وقد دفعتنا هذه النتائج إلى الاعتقاد بأن جو هيروشيما لم يصبح مسموما أوملوثا بعد حادث القنبلة الذرية .

وأعلنا نتائج هذه الدراسة على جميع العاملين بمصلحة المواصلات لتشجيعهم على العودة إلى أعمالهم دون الخوف من احتمال الإصابة بأضرار صحية ، وقد زار الأستاذ تسوزوكسى ومجموعة من خبراء طوكيو مدينة هيروشيما وبعد أن درسوا الوضع وصلوا إلى نتائج شبيهة بماتوصلنا إليه ، واستنكروا الإشاعة التى تقول أن هيروشيما لن تصلح للسكن خلال الخمسة وسبعين عاما التالية .

كما أن جميع العاملين بالمستشفى دون استثناء قد لحقهم قدر من الإصابات ورغم ذلك ظلوا بالمدينة واستمروا فى متابعة عملهم بالمستشفى الذى لايبعد كثيراً عن مركز التفجير ، وانقضى شهر كامل على قيامهم بالعمل ، وعدم حدوث مضاعفات لنا دليل على أن هذه الاشاعة لاأساس لها من الصحة .

ولايملك المرء سوى أن يعجب لقوة تلك القنبلة التى استطاعت تدمير مدينة هيروشيما وقتل وإصابة نحو نصف مليون من سكانها ، لقد هزمنا فى حرب علمية ، ولم نهزم فى حرب تعتمد على القوى البشرية ، وإذا أمعنا الفكر فى الماضى والمستقبل فسنجد مسائل كثيرة فى حاجة إلى إعادة نظر .

ويمكن تنشيط مكونات الدم عن طريق العلاج وتناول العناصر اللازمة للجسم لتحقيق هذه الغاية ، وقد أوصى الدكتور تسوزوكى الأستاذ بجامعة طوكيو الإمبراطورية باستخدام فيتامين ج عن طريق الحقن ، وتناول الأطعمة

الغنية بهذا الفيتامين ، وشرائح الكبد الطازج أو المطهو ، ونقل الدم والعلاج بالبروتين غير المتجانس ، والكى[1] . ونقوم باستخدام هذا العلاج الذى أوصى به الأستاذ تسوزوكى، وقد اتبعت المثل الصينى القائل - بأن المريض الذى يتمتع بشهية طيبة لا يمكن أن يموت - فى معالجة عشر حالات ، فقدمنا لهؤلاء المرضى الطعام المحتوى على فيتامين ج دون أن نحقنهم أو ننقل الدماء إليهم ، وأولينا جروحهم وحروقهم عناية خاصة ، فبدأت هذه المجموعة فى التحسن بشكل ملحوظ أكثر من أولئك المرضى الذين قدمنا لهم طعاما عاديا وعالجناهم بالحقن ونقل الدم .

وعلى ذلك فإن من كانوا فى هيروشيما عند وقوع حادث القنبلة يجب أن يفحصوا طبياً باستمرار ، فإذا ظهرت على أحدهم أعراض مرض الإشعاع الذرى ، مثل تناقص كرات الدم البيضاء ، فعليه أن يلزم الراحة التامة ، وأن يتناول الكثير من الطعام الجيد . وحتى أولئك الذين لا تبدو عليهم أى أعراض يجب عليهم أن يأكلوا أكثر من ذى قبل . أما المرضى فعليهم أن يكثروا من الأكل بقدر المستطاع وأن اتباع مثل هذا العلاج المنزلى ضمان أكيد للشفاء طالما نعانى من نقص فى الأطباء والمعدات الطبية .

ودعوت من قلبى أن ينجح السيد ماتسو موتو فى تنقيح مقالى فيقطع أرجل التنين دون أن يترتب على ذلك تغيير المعنى . ولا أدرى لماذا لم أصر على أن يمهلنى يوما آخر أتولى فية تنقيح المقال بنفسى ، ولكن لا جدوى الآن فعلى أن أترقب نشره وما سيترتب عليه .

---

(١) كان يتم الكى وفق طريقة تقليدية يستخدم فيها كومة مخروطية صغيرة من الأعشاب الجافة توضع فوق أماكن خاصة من الجسم وتحرق للتخلص من الالتهابات وهذه الطريقة كانت متبعة فى الصين القديمة نقلا عن مصر الفرعونية ، وقد أدخلها رجال الدين البوذيين إلى اليابان .

١٠ سبتمبر ١٩٤٥

طقس غائم وأمطار متقطعة .

استغرقت فى نوم عميق ليلة الأمس بعدما تخلصت من التوتر الذى لازمنى خلال كتابة المقال ، ومر الصباح بهدوء ، وأخذت أطوف بأرجاء الحجرة وأشرب الشاى وأتبادل الفكاهات مع السيدة سائيكى العجوز وغيرها ممن رأيتهم .

وبعد الظهر قمت بتفقد أحوال المرضى،ولكن لم يكن لدى ماأفعله وخاصة أن جميع المرضى فيما عدا موظفى المصلحة كانوا تحت رعاية الدكتور ناجاياما والدكتور ايتا أوكا ، ورأيت الآنسة فوتاكامى إحدى ممرضاتنا تجلس فوق مقعد أمام حجرة الفراشين وتحملق فى الفضاء ، كانت هذه الممرضة صحيحة البدن هادئة تعمل بجد ونشاط منذ التحقت بقسم الأسنان بالمستشفى ، وكانت تعمل ليل نهار منذ وقوع البيكا دون أن تنال قسطاً من الراحة ، ولذلك بدا عليها الضعف والوهن والهزال ، وحين اكتشفت أننى أرقبها أحمر وجهها خجلا وانصرفت فى الحال . إن نشاط البنات اللائى يعملن بالمستشفى مثل هذه الفتاه هو الذى جعلنا نتمكن من إعادة الأمور إلى نصابها ، ويجب علينا أن نقدر لهن جهودهن فاجتمعت بالسيد سيرا مدير مكتب العمل لننظر فى الوسيلة التى نستطيع بها مكافأة هؤلاء ، وقد أيد الفكرة ، وأحسست بالارتياح حين وجدته يسجل كل الساعات التى قضاها موظفو المستشفى فى العمل وعلمت منه أنه ينوى تقديم تلك الكشوف إلى وزارة المواصلات .

وفى الطابق العلوى قابلت السيد أويوكوتا أحد أعضاء مجلس المدينة الذى جاء لزيارة بعض المرضى ، وحين زارنا فى الشهر الماضى كان يعانى من جراح

بالغة فى قدميه ، وكان بادى الاعياء ، أما اليوم فقد بدت عليه علامات الصحة . فتجاذبنا معاً الحديث حول أحوال المدينة ، وأطلعته على تطور الحال فى المستشفى ، فقلت له : « أن المستشفى فى النهار ، يختلف عنه فى الليل فخلال النهار لايتواجد بالمستشفى سوى المرضى ، وعندما يحل المساء يفد إلى المستشفى أفراد عائلات المرضى الذين يقضون اليوم فى العمل ، ويتحول المستشفى إلى فندق مجانى لهؤلاء الذين لايجدون مكانا يأويهم ، ولكننا لانستطيع أن نتحمل هذا الوضع إلى مالا نهاية ، فاذا استطعنا الحصول على بعض الخيام العسكرية الكبيرة لاستطعنا أن نقيم معسكراً يأويهم فى خرائب ثكنات الجيش الجنوبية ونزيح عن كاهلنا عبء إطعامهم وإيوائهم » . فراقت له الفكرة وطلب منى أن أمهله حتى يتدارس الموضوع مع إدارة المدينة .

وعندما عدت إلى حجرة الطعام وجدت فى انتظارى خمسة عشر خطابا فوق المنضدة كان من بينها ستة أو سبعة خطابات أرسلها إلى بعض أصدقائى القدامى من أوكاياما أعربوا فيها عن ابتهاجهم حين علموا أننى لازلت على قيد الحياة . ولم أشعر بالسرور لتلقى خطابات الأصدقاء فحسب ، بل سررت حين علمت أن مقالى قد نشر بالفعل ، وأن الناس قرأوه فى مختلف المدن .

جاءت السيدة سائيكى العجوز إلى حجرتى وقالت لى : « يادكتور ، لقد تلقيت الكثير من الخطابات اليوم ألا تدرى أننا سنحصل على إنارة كهربائية إعتباراً من الليلة أنظر إلى تلك المصابيح التى يركبونها هناك » وأشارت إلى موقع المصابيح التى ستجعل النور يشع مرة أخرى فى أرجاء المستشفى .

لقد بدأ تسليم الخطابات ، وعادت الكهرباء ، وآن الأوان أن نستريح ونهدأ بالا ، وحين حل الليل كان الممر مضيئاً ، ورغم أن المصباح كان صغير الحجم فإن نوره كان متألقا ، ولم أقدر يوماً قيمة الكهرباء مثلما قدرتها اليوم . يجب أن نحصل على مصابيح كافية لانارة المستشفى جميعه . ولما كان السيد

ميزوجوتشى قد ذهب إلى قريته سينو ولم أتمكن من العثور على الدكتور تاماجاوا ، فقد جلست أتجاذب أطراف الحديث مع السيدة سائيكى العجوز على الضوء الخافت حتى ساعة متأخرة من الليل .

١١ سبتمبر ١٩٤٥

طقس غائم ممطر بين حين وآخر .

فاتنى أن أذكر أن السيد شيوتا كان قد ذهب لاستطلاع أحوال بيته للمرة الأولى منذ سقوط القنبلة وعاد اليوم إلى المستشفى فى الصباح الباكر ولما سألته عن أحوال بيته قال :

« يا دكتور ، لقد لحق الدمار ببيتى إذ اتخذه نحو ٢٥٠ جندياً من أولئك الجنود الذين أرسلوا من طوكيو للمعاونة فى تطهير المدينة مقراً لهم لمدة أسبوع وضعوا خلالها اللمسات الأخيرة للدمار الذى حـــل بالبيت ، فقاموا بإزالة السقف والأثاث وقرميد السقوف وكل ما وجدوه داخل البيت المنهار ، وتركوه قاعا صفصفا ، فأصبحت تستطيع أن ترى السماء فوق السقف بوضوح وعندما يسقط المطر ينساب الماء داخل البيت عبر فجوات السقف . وقد تآكل حصير الأرضية (التتامى) وأصبح كل شىء فى حالة تدعو إلى الرثاء ، وأسوأ من ذلك كله أنهم أتلفوا اللوحة التى تحمل العبارات الصينية الفلسفية (جاكو) المعروفة باسم نوكينا التى أودعتها أمانه لدى » .

شعرت بالاكتئاب والأسى عندما علمت نبأ إتلاف الجاكو التى سبق أن أهديتها إلى السيد شيوتا ، فان هذه الجاكو كانت تحفة نادرة من الفن القديم كتبت على قماش القنب ، ورثتها عن أجدادى ، وتحمل توقيع (هو) من مدينة أوكاياما بخط زخرفى أنيق ، وكتب عليها الحكمة التالية : « حتى تصبح ناجحاً

شريفاً متواضعاً عليك أن تكون رجلا قوى العزيمة واسلك سبيل السلف».

ومنذ نعومة أظفارى كان آبائى يقرءونها لى ويذكروننى بها عندما يؤنبوننى على ما قد ارتكبه من أخطاء، وعندما شببت عن الطوق كنت أجد متعة فى تأمل جاكو كيوكو. لقد كانت هذه الحكم المصوغة شعراً تعد دعامة التربية الخلقية فى تلك الأيام، حتى أننى أكاد أرى الجاكو كيوكو ماثلة أمامى وأنا أكتب هذه اليوميات، وأستطيع أن أكتب بوضوح كل واحدة من تراكيبها الصينية (كانجى) وأذكر الأجزاء التى بهتت منها بفعل الزمن والنقاط الصغيرة التى خلفها الذباب على سطحها.

وهناك جاكو أخرى من أعمال بوكودو اينوكاى أودعتها عند صديق آخر هو السيد بى شيما الذى كان يسكن على مسافة قريبة من منزل السيد شيوتا وسألت نفسى عما يكون قد حدث لها هى الأخرى وهذه الجاكو كنت أعتز بها كثيراً وأعلقها فى حجرة استذكارى، وأبياتها التى ما زلت أذكرها بوضوح تقول: «ان جانش (تلميذ كانفوشيوس) الذى لم يتوقف عن دراسة الفضيلة كان فقيراً معدماً لا يملك من حطام الدنيا سوى قلة ماء ولكن فقره لم يؤذ أحداً، أما المتكبر الذى يصد عن الفضائل فهو إنسان بالغ السوء حتى لو كان هذا الإنسان هو الملك كى رى كو (أحد ملوك الصين القدامى)، صاحب آلاف الأتباع الذين يقفون رهن إشارته على صهوات جيادهم».

لقد أيقنت الآن كم كانت تلك الأشياء ثمينة، وأننى عندما كنت ممتلئ بالثقة بالنصر ومشغول الذهن بالامبراطور لم أشعر بتلك القيمة، لقد شعرت بهذا عندما لحق الدمار بيتنا فى أوكاياما فى يوليو الماضى ودمرت معه الكثير من النفائس التى كانت تقتنيها أسرتى والتى أرسلتها إلى هناك لتكون بمأمن بعيدا عن هيروشيما، وعندما فقدت كل شى لم أعد أشعر بالجزع، شعرت أننى

قد تخلصت من عبء ثقيل فان فقد الهيكل البوذى الخاص بأسرتى[1] ، لا يجعلنى أشعر بالأسى لأن فقده يعطينى الحق فى أن أعيش فى أى مكان وأتوجه حيث أشاء ، فكل مكان أحل به بعد الآن سيصبح بيتى وموطنى ، وهذا الموقف ولده عندى الشعور بواجب التضحية بكل شىء من أجل الوطن، ولا ريب أن أسلافنا وأحفادنا سيلتمسوا لنا العذر .

لقد تغيرت الظروف ، فمنذ البيكا أصبحنا جميعاً ممزقين ، وقتالنا كان قتال المهزومين . لم يعد هناك معنى لبيوتنا أو للنفائس الثمينة الخاصة بعائلاتنا ، حتى السيد شيوتا الذى لحق الدمار بمنزله لا زال يتمسك بما بقى منه ، فالبيت عند اليابانى هو البيت ، لذلك أحسست بالوحدة كما لم أحس بها من قبل فقد أصبحت بلا بيت .

إن الأوضاع فى عنابر المستشفى آخذة فى التغير ، فقد مات أحد المرضى ، وغادر المستشفى بعض المرضى الآخرين ، ودخلها مرضى جدد ، وتحسنت حال الفتاة الجميلة التى كانت ترقد وسط بركة من القيح ، وكانت تبدو عليها السعادة عند ما أخبرتنى بعد ظهر اليوم أنه أصبح باستطاعتها أن تذهب إلى المرحاض بنفسها دون الإعتماد على أحد ، ولعل تحسن حالتها راجع إلى أن حروقها كانت ناجمة عن النار وليس عن الإشعاع الذرى ، ولاحظت أن حالة أربعة أو خمسة من المرضى الثلاثين الذين دخلوا المستشفى مؤخراً تختلف بعض الشىء عن المرضى الذين دخلوها من قبل ، فهؤلاء المرضى لم تبد عليهم أية أعراض حتى نهاية أغسطس ، ثم ظهرت عليهم بعد ذلك أعراض الضعف العام

---

(١) تحتفظ العائلات اليابانية بهيكل بوذى صغير داخل البيت تؤدى له الصلوات ، ويمثل المحور الذى يربط أفراد العائلة بالمكان الذى نشأوا فيه وعلى الأجيال المتعاقبة — وفق التقاليد اليابانية — المحافظة على هذا الهيكل وعلى موقع البيت الذى تسكنه العائلة ، ففى المحافظة عليها محافظة على تراث الأسلاف .

والبثور والصلع والتهاب الحلق ، وعلى الرغم من ذلك فأعراضهم أخف حدة مما كان يعانيه المرضى الذين سبقوهم فى الإصابة ، وجميع هؤلاء المرضى أصيبوا على بعد يزيد على ١٠٠٠ متر من مركز التفجير ، وكان أحدهم فى موقع يبعد ١٧٠٠ متر من ذلك المركز ، فأزعجتنى حالته لأن بيتى كان يقع على مسافة تتراوح ما بين ١٥٠٠ — ١٦٠٠ متر من مركز التفجير .

وعدت إلى حجرتى وقد تملكنى شعور بالضيق والإنقباض ، فقد يحل دورى بعد حين وتبدأ أعراض الإصابة بمرض الإشعاع الذرى فى الظهور عندى ، وشعرت بالقلق على زوجتى ، ولكننى أحسست بالإطمئنان حين وجدتها جالسة فى فراشها بادية السعادة لأنها أصبحت الآن تستطيع الذهاب إلى المرحاض بنفسها .

فى المساء زارنى بعض الأصدقاء وجلسنا نتحدث حتى ساعة متأخرة من الليل .

١٢ سبتمبر ١٩٤٥

طقس غائم مع تساقط الأمطار بين حين وآخر .

عاد المطر يتساقط من جديد بعد أن استمتعنا بيوم أو يومين تميزا بالطقس اللطيف ، فجلب لنا معه الضيق والضجر ، وكنت أستيقظ كل صباح تقريباً لأجد البطانيات مبللة ، فتنشرها السيدة سائيكى العجوز فى الممر حتى تجف . وعلمت منها هذا الصباح أنها ستطلب من السيد ميزوجوتشى أن يسد النوافذ بقطع من الخشب لتقينى شر البرد . وبعد تناول الأفطار جلست أرتشف كوباً من الماتشا مع الجدة سائيكى ، وكم كنت أتمنى أن يشاركنى الدكتور تاماجاوا تلك الجلسة ، ولكنه كان مشغولا جداً ، فقد توفر لديه عدد من جثث المرضى

الذين يتوفون كل يوم ، وكان عليه أن يقضى معظم الوقت فى المشرحة ، فبدا وكأنه فى صراع مع الموتى يعاونه فى هذا العمل الدكتور هيياشو الذى سرح من خدمة الجيش مؤخراً ، وطالب الطب المتطوع السيد أوجاوا ، ورغم ذلك كان ثلاثتهم عاجزين عن تغطية حجم العمل الملقى على عاتقهم ، وأضاف المطر المزيد إلى المتاعب التى كانوا يعانون منها فبدوا كل يوم مثل الفئران المبتلة .

بعد الظهر أحضر السيد ماتسو موتو الجريدة التى نشرت مقالى وقد أفردت له صفحة كاملة ونشرت صورتى ، وحمل المقال عنواناً يقول : « القنبلة الذرية ومرض الإشعاع الذرى » . وتحته عناوين فرعية تقول أنه من الممكن أن يعيش الناس حول مركز التفجير ، وأن مرض الإشعاع الذرى يمكن أن يشفى بالطعام الجيد . وكمقدمة للموضوع ذكرت الجريدة إننى أصبت إصابات بالغة وإضطررت أن أجرى أبحاثى وأنا مقيد معزول ، فبدأت من الصفر دون أن ألقى بالا إلى المعلومات السابقة . وفيما عدا ذلك نشر المقال بنصه الحرفى ، وأضيف فى نهايته نص الإعلان الذى كنت قد ألصقته على جدران المستشفى حول مرض الإشعاع الذرى . وجملة القول أن الجريدة عالجت مقالى بصورة جيدة واهتمت به اهتماما يفوق ما يستحق . وقد سررت لرؤية الجريدة ، ولكنى اكتشفت أننى نسيت أن أذكر شيئا عن تناقص صفائح الدم ، كما أغفلت استخدام بعض المصطلحات الطبية، وكانت استنتاجاتى أحيانا أكثر جرأة مما يجب .

قررت أن أستحم اليوم لأتخلص من الأقذار العالقة بجسدى ، دون أن ألقى بالا لجرح فخذى ، فانتهزت فرصة توقف المطر نحو الساعة التاسعة مساء وذهبت إلى المطبخ حيث خلعت ملابسى ، وكان الجو بارداً ، وإتجهت إلى الحمام عارى القدمين ولكنى وجدت الماء حارا داخل المغطس ، فصببت فيه سطلين أو ثلاثة من الماء البارد ثم اغتسلت ، وجلست داخل المغطس على الطريقة اليابانية والدخان يتصاعد من حولى فيسيل دموعى .

لقد كان هذا أول حمام كامل أستمتع به منذ البيكا ، فرأيت أن أستمتع به إلى أقصى حد وأرخيت جسدى قليلا داخل المغطس حتى يبلغ الماء ذقنى ، ففاض الماء ، وأطفأ النار تحت المغطس ، وخيم على الحمام ظلام دامس أتاح لى فرصة الانفراد بالمكان دون أن يزعجنى أحد[١] .

ذهبت إلى فراشى شاعرا بالدفء والراحة ، ونمت نوما عميقاً ، ولم يقطع المطر الغزير متعة النوم لأن النافذة أصبحت مغطاة بملاءة من القماش .

١٢ سبتمبر ١٩٤٥

طقس غائم ممطر بين حين وآخر .

زارنى هذا الصباح طبيب شاب ، أحضر معه مجهراً ، وطلب منى أن أسمح له بفحص بعض الحالات الموجودة بالمستشفى ، فرحبت به وتمنيت لو كنا قد حصلنا على مثل هذه المعاونة فى وقت مبكر ، ولو كان بعض كبار الأطباء الذين زاروا هيروشيما قد بقوا معنا لمساعدتنا عند بداية الحوادث عندما كنا نناضل دون أن تتوفر لدينا المعرفة أو المعدات الكافية لخفف ذلك عنا بعض العبء ، ولكن المسألة اتضحت الآن ، ولا أظنه يستطيع أن يستكشف أبعد مما توصلنا إليه ، غير أنى لم أبخل عليه بالتشجيع . وعندما أبلغته بموافقتى كان سعيداً غاية السعادة ، وكأنه نال كنزا ثمينا .

---

(١) يلعب الحمام دوراً بارزاً فى الحياة اليومية لليابانيين ، فارتفاع درجة الرطوبة على مدار السنة ، وانخفاض درجة الحرارة فى الشتاء يجعل الحمام الساخن أمراً ضرورياً للأسرة اليابانية ويعد ضمن روتينها اليومى ، وكان الحمام فى ذلك العصر عبارة عن مغطس مكون من إناء معدنى كبير يتسع لشخصين أو أكثر توقد تحته النار ، ويغتسل الشخص خارجه ، ثم يجلس القرفصاء داخله بضع دقائق يغادر الحمام بعدها لينام مباشرة . وفى البيت اليابانى يخضع استخدامه لتقاليد خاصة ، فيستخدمه الأب أو رب الأسرة أولا ، يليه الأولاد الذكور ، ثم الأم وبناتها .

بلغتنا إشاعة اليوم مؤداها أن قوات الحلفاء نزلت الأراضي اليابانية ، فانزعج الكثير من سكان هيروشيما ، وإنعكس هذا الانزعاج على المستشفى ففر بعض المرضى . وعندما تفقدت عنابر المستشفى بعد الظهر كانت تكاد تخلو من المرضى ، حتى السيدة سوسوكيدا التي لم تشف حروقها بعد غادرت المستشفى دون إذن . وبصفة عامة كانت النساء أكثر خوفا من الرجال لأن البعض أشاع أن جنود الاحتلال يغتصبون النساء، ولم أعرف الدافع وراء ترويج مثل هذه الإشاعات الآن ، فقد شوهد الأمريكان والانجليز يتجولون وسط خرائب هيروشيما منذ بداية سبتمبر ، ولم أكن أعتقد أن هناك ما يدعو إلى القلق ، فالغربيون أناس محتضرين ، وليس من طباعهم السلب والنهب والإغتصاب ، ولكني رأيت أن من واجبي أن أكتب كلمات بالانجليزية تثبت على حوائط المستشفى عند المدخل تشير إلى نوعية المكان، وأن أرفع علم الصليب الأحمر على الشرفة حتى إذا رأوه قدروا مسئولياتنا وتجنبوا إزعاج المرضى .

ورغم إنشغالي بالمستشفى والمرضى ، لم أنس انني زوج ، فبدأت أفكر في زوجتي ، كم كنت أتمنى أن أبعدها عن هيروشيما في أقرب وقت ممكن لتلحق بولدنا ، كما انتابني القلق على الممرضات اللاتي يعملن بالمستشفى وخشيت أن يلحقهن الأذى. أما زوجتي فكانت تبدى عدم الاكتراث بالأمر، وكلما تعمقت في التفكير كلما ازددت قلقاً عليهن ، ودخنت العديد من السجاير ، وقطع على التفكير وصول السيد ياسودا أحد موظفي الشئون العامة بمصلحة المواصلات وكانت تقع على عاتقه مسئولية حماية صورة الامبراطور في حالة الطوارىء وكان راكباً الترام في الطريق إلى مبنى المصلحة عندما سقطت القنبلة، وتوقف الترام عند محطة هاكوشيما ، غير أنه أستطاع الوصول إلى المصلحة فوق أنقاض المنازل وعبر النيران المشتعلة ، وما كاد يصل إلى مبنى المصلحة حتى صعد الى الطابق الرابع حيث كانت صورة الامبراطور معلقة هناك داخل

حجرة محصنة بباب حديدى ، فاستعان بثلاثة من زملائه وحمل الصورة الى مكتب رئيس المصلحة حيث تناقش الجميع حول ايجاد وسيلة لانقاذ الصورة من التلف ، واستقر رأيهم على حملها الى قلعة هيروشيما ، فحمل السيد ياسودا الصورة فـــوق ظهره ، وتولى السيد كاجى هيرا حراسة المقدمة ، وقام السيد أوشيو بحراسة المؤخرة ، أما السيد آياوا والسيد أوتشى فقد توليا حراسة الجانبين . واتجهوا عبر الحديقة الداخلية لمبنى المصلحة وهما يعلنان للناس أنهما يحملان صورة الامبراطور صائحين : « صورة الامبراطور ينقلها رئيس الشئون العامة الى ساحة التدريب الغربية ! » فما كاد الموظفون والمرضى يسمعون ذلك حتى ركعوا احتراماً للموكب الذى اتجه الى الباب الخلفى للمبنى . ثم تذكر رئيس الشئون العامة أنه نسى احضار علم مصلحة المواصلات ليتقدم موكب صـــورة الامبراطور حيث تقضى التقاليد بضرورة وجود العلم عندما تنقل صورة الامبراطور من مكان الى آخر ، فعاد السيد آوايا لاحضار العلم وقبل أن يعود إلى رفاقه أحاطت بهم النيران ، فواصلوا السير دونه حتى بلغوا مدخـل القلعة ، وحين شرحوا للجنود الغرض من مقدمهم نصحوهم بالبحث عن مكان آخر غير ساحة التدريب الغربية لأن المـكان مهدد بالنيران ، فغيروا طريقهم واتجهوا صوب حديقة آسانو سنتاى حتى بلغوا ضفاف نهر أوتا .

وخلال الطريق مر الموكب بالكثير من الموتى والجرحى والجنود المصابين ، وكان عددهم يتزايد كلما اقتربوا من ضفاف النهر حتى أصبحت الطريق مزدحمة بالناس فتعذر عليهم المرور فأخذوا يصيحون فى الناس : « صورة الامبراطور — صـورة الامبراطور » فأفسح الناس الطريق وأحني من استطاع منهم الوقوف هامته احتراماً للصورة حتى بلغ الموكب

ضفة النهـــر سالماً[١] .

روى لى السيد ياسودا هذه القصة بزهو شديد ، فذكر لى أنهم عندما بلغوا ضفة النهر أنزلوا الصورة بأحد القوارب ، واستل أحد الضباط سيفه مؤديا التحية العسكرية لها ، وأصدر الأوامر لجنوده للابحار بها بينما اصطف الجنود على ضفة النهر يؤدون التحية العسكرية وأحنى المدنيون هاماتهم احتراما وتبجيلا .

وقلت للسيد ياسودا معقبا على قصته هذه : « لقد فعلت شيئا عظيما كنت فيه رمزاً للشعب اليابانى » ، فاحمر وجهه خجلا وأبدى أسفه لأن اليابان خسرت الحرب ، ولكنى أكدت له أنه باشتراكه فى إنقاذ صورة الامبراطور كان جنديا باسلا ، وأنه فى رأيي يستحق وساما ومكافأة على هذا العمل الجليل .

بينما كنا نتناول طعام العشاء وصلت إلى أنوفنا رائحة حرق إحدى الجثث وكانت تلك الرائحة تشبه رائحة شى السردين فذكرتنى بالأيام التى أعقبت البيكا ، غير أننا تناولنا العشاء دون اكتراث ، فقد تعودنا على استنشاق هذه الرائحة الكريهة ، ولم تعد شهيتنا تتأثر برائحة الموت . وبعد العشاء رويت قصة إنقاذ صورة الامبراطور للسيد ميزوجوتشى والسيدة سايكى العجوز وزوجتى والآنسة كادو .

---

(١) كان الامبراطور يعبد فى اليابان حتى نهاية الحرب العالمية الثانية باعتباره إلـها من سلالة الربة الشمس التى تعد أصل البيت الامبراطورى ، ولذلك لا نعجب لهذا رأينا صورة الامبراطور تعامل بمثل هذا الاجلال والاكبار . وكان من بين التطورات التى أدخلها الأمريكيون الى اليابان بعد الهزيمة إجبار الامبراطور على اعلان أنه لا ينحدر من سلالة الآلهة وأنه ليس سوى بشر مثل بقية الناس لايجب أن يعبد . فألغيت عبادة الامبراطور بصفة نهائية فى عام ١٩٤٦

١٤ سبتمبر ١٩٤٥

طقس غائم وأمطار متفرقة .

كان الدكتور تاماجاوا غائبا فى زيارة لأوكاياما عندما ماتت مريضة الأمس الآنسة تا كاتا ، ولذلك لم تشرح جثتها ، ووفاتها كانت الحالة الوحيدة خلال بضعة أيام مرت دون أن تحدث فيها حالة وفاة ، وتطور مرض الآنسة تا كاتا كان مسجلا على النحو التالى :

تا كاتا ، أنثى ، العمر ٢٨ عاما .

تاريخ الدخول : ٢٨ أغسطس ١٩٤٥

الشكوى العامة : اعياء تام .

تاريخ المرض : غير محدد .

الحالة الحالية : أصيبت عند شركة توزيع الأدوية فى هاتشو بورى على بعد ٧٠٠ متر من مركز التفجير ، شعرت بعدها بالضعف والغثيان والقىء والاعياء التام والإسهال لمدة يومين ، ثم استعادت صحتها وشهيتها بعد ذلك تدريجيا وزاولت أعمالا خفيفة ، ولكنها فقدت حاسة الذوق ، وكانت تشعر بالتعب لأقل جهد ، ورغم فقدانها لحاسة الذوق فانها كانت تأكل جيداً ، وبدأت تفقد شعرها بعد الإصابة بثلاثة أيام ، ثم تزايد سقوط الشعر اعتبارا من ٢٥ أغسطس وجاءت إلى المستشفى يوم ٢٨ أغسطس لإجراء الفحوص .

تحسنت حالتها ببطء ولكن ضعفت شهيتها للطعام وأصابها وهن شديد وفقدت نحو ثلثى شعر رأسها ، النبض طبيعى ، والتنفس منتظم ، الوجه شاحب تبدو أعراض الأنيميا فى عينيها ، حالة الفم طبيعية ، لا يوجد أى أعراض

غير طبيعية فى الصدر والبطن ، البول طبيعى ، نقص شديد فى كرات الدم البيضاء .

أول سبتمبر ١٩٤٥ : ظهرت بثور على الصدر تشكو من ضعف شديد .

٥ سبتمبر ١٩٤٥ : ازداد حجم البثور كما ازداد عددها وأصبح الكثير منها فى حجم بصمة أصبع الإبهام ، درجة الحرارة ٤٠ ، النبض ضعيف قليلا ، تشكو من الوهن وفقدان الشهية ، تقضى حاجتها ثلاث مرات يوميا .

٩ سبتمبر ١٩٤٥ : النبض ضعيف ، ازداد عدد البثور وتحول حجمها من مثل حجم رأس الدبوس إلى مثل حجم الإبهام ولونها مابين الأرجوانى والبنى .

١٣ سبتمبر ١٩٤٥ : توفيت .

وتمثل حالة هذه المريضة وتطور المرض عندها نموذجا لأعراض وتطورات مرض الإشعاع الذرى .

توجهت بعد الافطار إلى مبنى المصلحة بحثا عن السيد أويشى لأعرف منه بقية قصة إنقاذ صورة الامبراطور ، فبحثت عنه هناك دون جدوى ، ولكنى التقيت ببعض العاملين بمخزن المصلحة الذين أصيبوا خلال البيكا ، وكان يبدو عليهم الارهاق والتعب واليأس ، وأخبرنى أحدهم أنه أصبح من الصعب الحصول على الطعام الكافى لاطعام الموظفين والمرضى وعائلاتهم الذين يبلغ عددهم جميعا نحو الثلاثمائة ، إذ يصعب الحصول على الأسماك والخضروات الطازجة بسبب ارتفاع الأسعار ، وقد أزعجنى هذا فذهبت إلى السيد إيماتشى رئيس قسم التوريدات بمصلحة المواصلات بهيروشيما ، واتجهنا معا إلى غرفة الطعام بالمستشفى روى لى الصعوبات التى تواجه قسم التوريدات لتوفير الأرز والخضروات لعدم توافر المال لدى المصلحة بسبب احتراق الخزانة الحديدية خلال الحوادث ، وذكر لى أن التجار والفلاحين أصبحوا لا يفرطون فى المواد

التموينية بسهولة ، وأطلعنى على أحد السجلات التى تبين الأسعار التى يشترى بها المواد التموينية ، وكانت هذه أول مرة أرى فيها مدى الارتفاع الجنونى للأسعار . وخلال حديثه معى تعلمت مصطلحا جديداً ذكره لى يجرى على ألسنة الناس فى المدينة هو الحفر فى « مناجم المدينة » ، فقد درج الناس على التجول وسط الخرائب بحثا عما قد يقع تحت أيديهم من أشياء نافعة يبادلون بها الطعام ، فشعرت بالخجل لذلك ، ولكنى التمست العذر للناس .

عاد الدكتور تاماجاوا من أوكاياما فى ساعة متأخرة من الليل ، وأحضر معه علبة من الماتشا أعطاها له صديق قديم يدعى نا كامورا ، وذكر لى الدكتور تاماجاوا أن أهالى أوكاياما لا يقلون معاناة عن مواطنى هيروشيما ، وأن مستشفانا يعد بالمقارنة بغيره جنة مليئة بالخيرات ، فلم يستطع الدكتور تاماجاوا أن يجد سيجارة يدخنها خلال اليومين اللذان قضاهما فى أوكاياما . وحين قدمت له علبة كاملة من السجاير لامنى على ذلك بقوله : « انك تعيش هنا ياهاتشيا عيشة مترفة » وأخذ يدخن بنهم شديد .

١٥ سبتمبر ١٩٤٥

جو غائم ممطر بين الحين والآخر .

زارنى بعد الافطار بعض موظفى مكتب بريد كورى ، وعلمت منهم للمرة الأولى أن جيش الاحتلال قد نزل هناك . حتى كلمة « جيش الاحتلال » كانت تبدو غريبة بالنسبة لى ، وشعرت بالحزن العميق لاحتلال قوات الحلفاء هذه القاعدة البحرية الكبيرة التى تعلمت منذ طفولتى أنها من أهم قواعد الأسطول الامبراطورى . وعلمت من أصدقائى أن ميناء هيروشيما فى أوجينا سيحتل بدوره ، وأن الناس قد بدأوا يقيمون أسوارا حول بيوتهم ويضعون أقفالا على الأبواب والنوافذ لأنهم سمعوا أن جنود الحلفاء لا يدخلون مكانا تحيطه

الأسوار ولا يقتحمون بيتا موصد الأبواب ، كما علمت منهم أن جنود الحلفاء مغرمون بالنساء ويتوددون اليهن ، وأن جنود الحلفاء يظهرون بين الحين والآخر حول محطة سكك حديد هيروشيما .

بدأ البريد ينتظم فى الوصول منذ أول سبتمبر وتلقيت ٢٤ أو ٢٥ خطاباً دفعة واحدة أرسلت معظمها من أصدقاء قرأوا مقالى فى جريدة سانجيو كيزاى امتدحوا فيها المقال وهنأونى بالنجاة من الموت ، وبعض هذه الخطابات تحمل تواريخ تقع حول العاشر من أغسطس أرسلها بعض الأصدقاء يسألون عن سلامتى .

أخذ تعداد المقيمين فى المستشفى يتناقص فلم يبق فيها إلا غير القادرين على الحركة ، أما الآخرين فقد فروا ملتمسين النجاة قبل وصول جنود الاحتلال ، ومعظم من بقوا لدينا كانوا أطفالا يتامى لم يغادروا المستشفى لعدم ادراكهم لما يدور حولهم .

بعد الغـذاء علمت أن قوات الاحتلال موجودة عند محطة هيروشيما وأنه من الممكن مشاهدتهم هناك ، فدفعنى الفضول إلى الذهاب إلى المكان لرؤيتهم ، وفى الطريق إلى المحطـة أدهشنى رؤية بعض الشباب ذوى الشعر المسترسـل والرؤوس العارية الذين يسيرون هنا وهناك بزهو وخيلاء وبالقرب من المحطة رأيت الكثير من هؤلاء الشباب ذوى الشعر المسترسل ، وحين سألت عن سر هذه الظاهرة قيل لى أنه آخر طراز فى تصفيف الشعر . لقـد خسرنا الحرب وكسبنا طول الشعر ! ، كنا نعاقب أيام التلمذة بحلق رءوسنا إذا خسرت مدرستنا مباراة لعبتها ضد مدرسة أخرى ، وكان الشعر القصير أمرا مألوفا خلال سنى الحرب ، أما الآن فقد أرسل هؤلاء الشباب شعورهم حتى لا يظنهم الحلفاء من الجنود المسرحين فيعتقلونهم .

أما المحطة ، أو ما بقى من المحطة ، فكان يعج بالناس الذين كانوا يتحركون

هنا وهناك على غير هدى ، ولكنى لم أشاهد جنوداً ، وحول المحطة كانت هناك عشش صغيرة يجاور بعضها بعضا تبيع ألوانا متعددة من الطعام الردىء ، ورغم قذارة تلك العشش كان الاقبال على بضاعتها شديدا .

ومعظم الذين رأيتهم كانوا يرتدون بزات عسكرية حتى البنات كن يرتدينها ، أما الذين كانوا يرتدون ملابس البحرية فكانوا أفرادا قلائل . وهزنى منظر سيدة عجوز ترتدى كيمونو زفافها وتحمل على ظهرها سلة بها بعض ثمار البطاطا ، ويبدو أنها افتقدت كل ملابسها فلم تجد ما ترتديه سوى هذا الكيمونو التذكارى الذى تمكنت من إنقاذه من الحريق .

أما المحطة فقد أقيم عليها مكتب متواضع لصرف التذاكر وسقيفة صغيرة ينتظر تحتها الركاب ، فتوقفت قليلا أرقب الناس يروحون ويغدون ، جنود مسرحون يحملون خيامهم الكبيرة فوق ظهورهم جنباً إلى جنب مع المدنيين من ضحايا الحرب ، وشاهدت طفلا صغيراً عارى الجسد إلا من سروال قذر يستجدى الطعام ممن يأكلون على الرصيف ، ولايكاد يتحرك إلا إذا قدم له بعضهم فضل من طعامه ، وذكرنى منظر هذا الطفل الحزين بالأطفال الذين رأيتهم فى منشوريا وكوريا بعد أن اجتاحتهما قواتنا منذ ثمانية عشر عاماً ، فقد كان أطفال منشوريا وكوريا عندئذ يستجدون الطعام منا ، ولاشىء يمثل الهزيمة مثل هؤلاء البؤساء المتشردين .

ولم أستطع متابعة المشاهد المؤلمة المحيطة بالمحطة ففضلت أن أعود أدراجى إلى المستشفى ، وفى طريق العودة مررت بموقع القيادة الغربية لفرق الفرسان وهزنى السكون المطبق المخيم على المكان ، وتذكرت أولئك الضباط والجنود الذين كانوا موضع فخارنا ، ترى ماذا يخبىء المستقبل لهم ؟ فقد شاهدت عند المحطة ضابطاً عجوزاً يستجدى الطعام . ومر فى مخيلتى شريط كامل للمأساة : ضحايا الحــــرب المنهكون ، الجنود المسرحون ، العجائز الذين يستندون إلى

الأعمدة المحترقة ، الناس الذين يسيرون بلا هدف ، الشحاذون . إن هذه الظواهر التى ابتلينا بها هى التى انتصرت علينا ، وعمقت وقع الهزيمة فى نفوسنا .

بعد تناول العشاء شرد ذهنى إلى المناظر التى رأيتها عند محطة هيروشيما ، كم كانت الأنانية تسيطر على الناس ، ترى أى مجتمع تعس ذلك الذى نعيش فيه؟ كان كرام الناس يستجدون ويرتدون الأسمال ، أما الذين بدت على وجوههم سمات الشر وفاضت ألسنتهم ببذىء القول فكانوا يرتدون أحسن الثياب . كان الذين يلبسون بزات الطيارين يبدون مثل رجال العصابات ويطاردون الفتيات البائسات عند المحطة بوقاحة لم نعهدها من قبل ، إن البلاد تنحدر إلى الوضاعة والخسة ، شعرت بالكراهية لهم ، وتألمت عندما قفز إلى ذهنى احتمال وصول أمثالهم غداً إلى السلطة . كم تغيرت الأحوال ؟ ترى ماذا يخبىء القدر لذلك الضابط العجوز الذى رأيته يستجدى الطعام ؟

١٦ سبتمبر ١٩٤٥

يوم ممطر ملبد بالغيوم .

زارنى الدكتور آكى ياما على غير عادته وقد ارتسمت على وجهه علامات الفزع ونصحنى بالهرب قبل وصول قوات الحلفاء حتى لا أعرض زوجتى للخطر ، مؤكداً أنهم لن يبقوا على شىء ، وطلب منى أن أسمح له بنقل زوجتى بعيداً عن المدينة إذا كنت مصراً على البقاء فيها . فتأثرت لموقف الدكتور آكى ياما ، فقد سبق له الخدمة فى الصين ، وكان يخشى أن يحدث لنا مثلما حدث فى شمال الصين ، فشكرته على نصيحته ، ووعدته بإبلاغ زوجتى وجهة نظره ، وطلبت منه أن يمهلنى حتى أفكر فى الموضوع . وعندما قمت بتفقد المرضى اليوم سمعت إشاعتان جديدتان تقول إحداهما أن من جاءوا إلى هيروشيما بعد

البيكا قد أصابهم مرض الإشعاع الذرى ، أما الأخرى فتقول أن من بقوا فى هيروشيما بعد حادث القنبلة سيصيبهم الصرع ويموتوا خلال عام واحد ، وكان عدد المرضى لايزال آخذاً فى التناقص ، أما من بقوا بالمستشفى فقد كانت حالتهم تميل إلى الثبات أو التحسن .

وعندما عدت إلى حجرتى وجدت زوجتى تضحك مع السيدة سائيكى العجوز وكانت العمـــة شيما قد أحضرت لزوجتى هاوزى (بالطو من الصوف يلبس فوق الكيمونو) وكانت زوجتى تريه للسيدة سائيكى ، كما تلقيت هدية من المصلحة عبارة عن بدلة ومعطف من الصوف ، وبذلك أصبح لدينا ملابس تقينا برد الشتاء . وعندما رأى السيد ميزوجوتشى هذه الملابس الجديدة أيقن أن شحنة جديدة من المعونة فى طريقها إلى المستشفى ، وسعى إلى إدارة المدينة للحصول على نصيب منها للمرضى ، وأكد لى بعد عودته أنه سيوفر للمرضى وللعاملين ما يكفيهم من الملابس الشتوية .

بعد العشاء تناقشنا فى موضوع التسليم للحلفاء بلا قيد ولا شرط وحل الجيش والبحرية مصادرة الأسلحة والذخائر ، وترددت أشاعة حول احتلال الجيش الوطنى الصينى لجزيرة شيكوكو ، وأن المخازن العسكرية بما فيها من ملابس ستصبح من نصيب جيش الاحتلال الصينى . ورأينا فى هذه الإشاعة تفسيراً لتوفر الملابس التى كان مصدرها مخازن الجيش الموجودة فى الجبال ، وكانت القطارات التى تمر بهيروشيما تعج بالمواطنين الذين يحملون الملابس العسكرية المنهوبة من مخازن الجيش بحجة أن دافعى الضرائب اليابانيين أحق بها من جيوش الحلفاء ، وامتلأت المدينة بالناهبين الذين كان بعضهم يتحلى بصفات أخلاقية فكانوا يسرقون ليعطوا ما يسرقونه للفقراء والمحتاجين ، ولكن غالبيتهم كانوا يبيعون حصيلة ما ينهبون ويتحولوا بين عشية وضحاها إلى أثرياء . لم يكن أحد يفكر فى السرقة خلال الحرب ، وكانت الممتلكات والبضائع تترك فى العراء دون حاجة إلى حراسة، أما اليوم فلا وجود للأمن بين ربوع البلاد.

وكنا كلما استغرقنا فى الحديث كلما ازددنا فلسفة وتفاؤلا ، فقد كنا ندفع نحو ٨٠٪ من دخولنا كضرائب للإنفاق على الخدمات العسكرية ، فهذه الأشياء هى فى نهاية الأمر ملك للشعب الذى اشتراها بأمواله فهو أحق بها من المحتلين الأجانب . وانتهت المناقشات فى ساعة متأخرة من الليل بالتفاؤل فى مستقبل أحسن فى ظل السلام ، وقدر أقل من الضرائب ، وبعض الحرية فى مجتمع لا توجد فيه شرطة عسكرية تتحكم فينا .

١٧ سبتمبر ١٩٤٥

أمطار غزيرة ثم عاصفة شديدة .

عندما استيقظت فى الصباح كانت السماء تمطر ، وبعد تناول الإفطار تلقيت بريد اليوم الذى تضمن خطاباً من الدكتور مورى يا بداخله بعض الصور التى التقطها لنا خلال زيارته للمدينة ، فعكفت على دراستها ، وأدهشنى أن أرى آثار الجروح قد أضفت على ملامحنا مظهراً بائساً ، وكان بجسدى ١٥٠ أثراً للجراح على أقل تقدير ، أما وجه الدكتور ساسادا فكان محترقاً ، وكانت هناك خمسة عشر ندبة بجسد زوجتى ، أما الدكتور كوياما فكان مجروحاً فى رأسه . ورغم أن هذه الندبات لا تكاد تظهر فى الصور فقد تحسست موضع الجراح فى وجهى ، وتمنيت أن تتلاشى كما تكاد تتلاشى فى الصور لأن بقائها يجعلنى مثل يوسا المحتال الأسطورى الذى كان يعاقب على ما يفعل بجراح فى وجهه حتى بدا مثل قاطع الطريق . ولم أكن أتصور أن الدكتور ساسادا قد فقد إلى الأبد ملامح البراءة التى كانت تميز وجهه بعد هذه الإصابات ، أما وجه زوجتى الذى كان خالياً من الندبات أصبح اليوم مليئاً بها . ترى كيف نستطيع أن نواجه الناس بوجوه مشوهة ؟ وكانت الصور توضح الضمادات والأسرة المتهالكة والملاط المتساقط والأسلاك الكهربائية المقطعة أنها تعد سجلا قيما لما حدث وأسعدنى الحصول عليها فكتبت للدكتور مورى يا شاكراً .

شعرت بآلام فى المعدة ، وعندما حان وقت الغذاء لم أستطع تناول الطعام ، واكتفيت بارتشاف كوب من الماتشا ، وبينما كنت أفكر فى محل الشاى الذى يملكه صديقى ناكومورا فى أوكاياما هبت الرياح فجأة ، وما هى إلا لحظات حتى اشتدت سرعتها وارتفعت حــــرارتها ، فخشيت أن يعقبها مطر غزير ، واتجهت إلى غرفتى لأتأكد من تثبيت حاجز النافذة ، وحاولت أن أبعد الأسرة عن النوافذ بقدر الإمكان حتى إذا سقط المطر كنا بمنجاة من البلل إلى حد ما ، وأخبرت زوجتى باستعداد الدكتور آكى ياما المساعدة فى ترحيلها خارج المدينـة ، ولـكنها ضحكت ولم تعلق على كلامى ، واستمرت تعاوننى فى إزاحة الأسرة بهدوء .

وبعد تناول العشاء سكنت الرياح فجأة ثم انهمر سيل جارف من المطر، لم تـكن هذه عاصفة عادية ولـكنها كانت تيفونا ، وما هى إلا لحظات كانت المياه تملأ الحجرة وتبدو كالأمواج فى عرض البحر ، وتمزقت الملاءة التى كانت مثبتة على النافذة المجـاورة لسريرى ، وأخذت الناموسيات ترفرف كالأعلام ، وأصبحنا وكأننا ننام فى عرض الطريق . وعادت الرياح تهب بسرعة شديدة نحو الساعة التاسعة ، فاندفع الناس من المدينة إلى المستشفى ومبنى المصلحة يلتمسون ملجأ ، وقليل من أولئك الذين استطاعوا النجاة بأنفسهم قبل أن تنهار فوق رؤوسهم الأكـــواخ التى يعيشون فيها ، وارتفعت المياه حتى خشينا أن تتحول إلى فيضان ، وأصبح كل فرد منا مبتلا حتى الجلد . وما كاد يحل منتصف الليل حتى أصبح كل شىء فى المستشفى يبدو وكأنه متروك فى العراء . وتوقفت الرياح بعد منتصف الليل بقليل ، وأعقبها توقف المطر ، ولـكننا لم نذق للنوم طعماً ، فقد كنا جميعاً مبللين ومتوترين لدرجة جعلت النوم يذايل جفوننا . ولـكننا غفونا قليلا قبيل الصباح .

١٨ سبتمبر ١٩٤٥

سماء ملبدة بالسحب التى مالبثت أن انقشعت .

استيقظت لأجد العاصفة قد مرت ، ولكن أكتافى وفخذى كانت تؤلمنى ، وأصبح أنفى مسدوداً بسبب الزكام ، وحين خرجت إلى الشرفة وجدت بحيرة كبيرة أصبحت موجودة أمام المستشفى ، ولم يعد هناك وجود للأكواخ الصغيرة التى أقيمت، حول المستشفى ليأوى الناس إليها . أما الخطابات فكانت مبعثرة بين مبنى المصاحة ومبنى المستشفى ، فنزلت إلى هناك وحاولت أن أجمع منها ما استطعت جمعه وكانت معظمها خطابات مسجلة .

ذهبت إلى مكتب العمل لأسأل السيد سيرا والسيد كيتاو عن حجم الدمار الذى سببه التيفون ، فعلمت منهما أن المستشفى لم يفتقد شيئاً سوى بعض البطانيات ، ويبدو أن الناس الذين لجأوا إلى المستشفى من الخارج خلال التيفون يلتمسون ملجأ قد أخذوها معهم ، ولكنى التمست لهم العذر ، فهم لاشك فى حاجة إليها بعدما دمرت أكواخهم .

وكان المرضى يشكون من الإصابة بالبرد ولكن اصاباتهم كانت عادية ، أما الفتاة الجميلة التى كانت ترقد وسط بركة من القيح والقذارة فقد أصبحت الآن قادرة على الحركة دون مساعدة أحد .

مرت فترة الصباح دون وقوع حوادث سوى قدوم رسول من عند صديق الأستاذ هاتا يطلب منى الذهاب إلى جزيرة مياجيما لأوقع الكشف الطبى على مدير بنك اليابان بهيروشيما ، فأجبت بأننى لا أشعر بالقدرة على القيام بمثل هذه الرحلة الآن .

تحسن الجو بعد الظهر فقررت أن أتمشى قليلا ، فما أجمل طلوع الشمس بعد

انقضاء المطر ! وأخذت أتجول حتى وصلت إلى الخندق الممتلىء بالماء المحيط بقلعة هيروشيما ، ودهشت حين رأيت رجلا يصطاد الضفادع بطريقة خاصة ويبيعها للناس ، الصغير منها مقابل خمسين ينا والكبير منها مقابل مائة ين ، فدهشت لارتفاع الأسعار بصورة خيالية ولكن الناس كانوا يتهافتون على شراء مايصطاده الرجل أولا بأول .

بعد تناول العشاء أخبرت رفاقي بقصة صياد الضفادع ، واندهشوا بدورهم للتغير الكبير فى الأحوال ، وآويت إلى فراشي منهكا بسبب ما لاقيناه ليلة الأمس ، وغرقت فى سبات عميق لم يقطعه سوى صراخ سمعته فى الليل : « اللص .. اللص » ، فاستيقظت فزعا ولكنه كان حلماً مفزعاً أصاب الدكتور تاماجاوا فاعتذر لنا عن ازعاجنا وواصلنا النوم حتى الصباح .

١٩ سبتمبر ١٩٤٥

طقس لطيف .

كانت السماء صافية فى الصباح ، والجو جميل ، والشمس ساطعة ، ولما كنت قد استمتعت بنوم عميق ليلة الأمس ، فقدت عقدت العزم على الذهاب إلى مياجيما للكشف على مدير البنك المريض تلبية لطلب الأستاذ هاتا الذى تلقيته بالأمس ، فطلبت السيدة سايكى العجوز أن تعــد لى (بلتو) وجبة خفيفة أتناولها أثناء الرحلة ، وبدأت السير عن طريق كونى عبر جسر ميساسا وشاهدت رجلا يدفع عربة فوق الجسر تحمل لحم البقر ، ولم أكن قد شاهدت اللحم منذ عهد بعيد ، وكان منظر اللحم الطازج فيما مضى يثير تقززى ، أما اليوم فقد سال لعابى عند رؤية اللحم . وبلغت محطة كونى عند الظهيرة ، وتمكنت من الحصول علي مقعد في عربة الترام المزدحمة المتجهة إلي مرفأ

مياجيما . وفى الطريق إلى وجهتى أخذت أرقب المنطقة التى يمر بها الترام ، فكانت المنازل فيما بين كوئى وتاكوسا عارية السقوف محطمة النوافذ والحوائط تبدو وكأن زلزالا قد أصابها ، أما المنطقة الواقعة وراء كوساتسو[1] فقد كانت منازلها أحسن حالا أما نوافذها فكانت محطمة ، وكانت علامات الدمار واضحة حتى ايتسوكا اتشى وتختفى آثار الدمار تماماً عند هاتسوكا اتشى، وبالقرب من جى جوزن بدأت جزيرة مياجيما تلوح فى الأفق ، وإلى يمين الطريق ركزت نظراتى على المنازل الصيفية الجميلة المسماة (بسو) التى يقضى فيها الصيف أثرياء الناس .

وقد أدهشنى أن أرى بعض المنازل عند مرفأ ميجيما وقد فقدت نوافذها لأن المنطقة تبعد كثيراً عن هيروشيما . وتوقفت عند محل لصناعة الفخار تربطنى بصاحبه صداقة قديمة حيث تناولت طعام الغذاء ، ثم ركبت العبارة فى الطريق إلى مياجيما ، واستغرقت الرحلة البحرية نحو نصف ساعة وصلت بعدها إلى الجزيرة الجميلة . وقصدت هناك فندقاً صغيراً أعرفه يديره بعض الأصدقاء لتحيتهم ، ثم تابعت السير إلى فندق بائى رنيو الذى يقيم فيه مدير البنك ، وكان هذا الفندق يقع فوق قمة تل صغير تحيط به منازل قديمة من مختلف الجهات وتطل نوافذه على منظر الجزيرة كلها وتلوح فى الأفق هيروشيما من بعيد . كم تمنيت أن أقيم فى هذا المكان الجميل ، واستقبلتنى زوجة المدير ، وقادتنى إلى حجرته حيث علمت أنه كان يمارس العمل بالبنك عند ما سقطت القنبلة ، ولما كان البنك يقع على مسافة ٤٠٠ — ٥٠٠ متر من مركز التفجير اعتقدت أنه قد أصيب إصابة بالغة ، ولكن زوجته ذكرت لى انه يعانى من الضعف وفقدان الشهية . وبعد أن فحصت الرجل أيقنت أن فرصته فى الشفاء كبيرة ، فعلى الرغم من أنه كان بالبنك عند وقوع الحادث إلا أن بناء البنك

---

(١) كوساتسو تقع على بعد ٥ كيلومترات من مركز التفجير .

المتين كفل له الحماية من الإصابة بالإشعاع الذرى ، وذكرت له أن البنك قد تحول الآن إلى مركز استعلامات تغطي جدرانه نشرات تحمل أسماء المفقودين والموتى والمصابين ، وأوصيته بأن يكثر من تناول الطعام الجيد كوسيلة للعلاج وعدت أدراجى إلى الفندق الذى يديره أصدقائى حيث تناولت الطعام عندهم واسترحت قليلا ثم ودعتهم بعد إن حملونى بأنواع شتى من الهدايا . ووصلت إلى مرفأ مياجيما نحو الرابعة مساء ، فألقيت التحية على صاحب محل الفخار ، وركبت الترام قاصداً هيروشيما . وفى الطريق سمعت حديثاً يدور بين الركاب حول فتاة كانت لأحدهم رأوها تسير مع جنود الإحتلال وتردد على لسان البعض ضرورة إلقائها فى البحر عقاباً لها على ذلك .

وبعد أن غادرنا محطة إيتسوكا اتشى بقايل توقفت عربة الترام فجأة ، واتضح أن هناك ثلاثة من السكارى وقفوا على الخط الحديدى فأجبروا السائق على التوقف ودفعوا المحصل جانباً ثم ركبوا الترام ، وأخذوا يسبون المحصل والسائق بألفاظ بذيئة ويعربدون فى العربة ويهددون الناس جميعاً وهم يرددون أغنية غراميـــة كورية ثم يصيحون بين الحين والآخر : « باتراى » (يعيش) ، وقبل أن تصل العربة إلى كوئى أجبروا السائق على التوقف مرة أخرى وغادروها ، ولم يدفع أحدهم الأجرة ، ولم يستطع أحد أن يجبرهم على دفعها ، فاستأت لتصرف هؤلاء السكارى وساءلت نفسى إلى متى تستمر قيم الحرب ؟ لقد كان الناس يلقنون مبدأ يقول « القوة هى العدالة ، والعدالة هى القوة » ، ويبدو أن هؤلاء السكارى كانوا لا يزالوا متمسكين بقيم ما قبل الهزيمة .

وصلت إلى المستشفى منهكا مكتئباً لما شاهدته فى عربة الترام ، ورويت ما حدث لأصدقائى بصعوبة بالغة ، ثم استحممت وآويت إلى فراشى دون أن أتناول طعام العشاء .

٢٠ سبتمبر ١٩٤٥

سماء صافية مع ظهور بعض السحب أحياناً .

كانت رحلتي إلى مياجيما فوق طاقتي البدنية ، فقد كنت منهكا ليلة الأمس، ولم أستطع النوم إلا لماما ، وعندما استيقظت هذا الصباح كانت أرجلي تؤلمني ، ونهضت بصعوبة من فراشي لتناول الإفطار ثم عدت إلى الفراش لأستريح ، وعندئذ حضر صديق قديم كان يملك محلا تجارياً يحمل اسم (إيريين) ، وكان مغتما حزيناً ، وما لبث أن انفجر بالبكاء قائلا : « يا دكتور ، لقد ماتت أويوني ولا أدرى أين أو متى حدث ذلك ، فقد غادرت زوجتي المسكينة البيت صباح يوم البيكا لتنضم إلى إحدى فرق العمل ، وكانت هذه هي النهاية فلم أسمع وابنتي عنها شيئاً حتى الآن » . فسألته عن إبنته ماساو فأخبرني أن ذراعها كسرت عندما دمر التيفون البيت . وكان حديثه لا يكاد يسمع وسط النحيب ، كما أنه كان جريحاً وكانت رأسه مغطاة بضمادة من القماش المتسخ ، وحالته تدعو للرثاء ، فحاولت أن أهدىء من روعه ، ولكنني انفجرت باكياً وجاءت السيدة سائيكي لتجدنا على هذه الحال ، فأخذت تنقل نظراتها بيننا ، وحاولت أن تطيب خاطر الرجل العجوز المسكين ، وعرضت عليه أن يحضر هو وإبنته ليقيما معنا فغادر المستشفى وهو يشعر بالارتياح .

كنت مستلقياً فوق السرير بعد الغذاء أحملق في الفضاء عبر النافذة عندما اندفع السيد سيرا إلى الحجرة متقطع الأنفاس وهمس فى أذنى قائلا : « يا دكتور هناك ضابط أمريكى بالخارج » ، وفزعت عند سماعى هذه الكلمات، غير أنى لم أحر جواباً للحظات ثم تملكنى الخوف والغضب ، وتغلبت على شعور العداء ، واستجمعت قواى وقلت بصوت مقتضب ، « يا سيد سيرا لا تهتم بأمره » فأجاب بارتياع : « يا دكتور لا تقل مثل هذا الكلام إن الرجل يقف عند مدخل المستشفى الآن ، أرجوك أن تقابله» . وبدأ شعور العداء عندي

يفسح المجال لشعور بالرهبة ، إذ كنت أعرف أنه لاخيار أمامى ، وأن علىّ أن أقابل هذا الضابط . كان بنطلونى متسخاً ، ولم يكن قيصى أحسن منه حالا ، غير أنى لم أهتم بمظهرى هذا عندما اتجهت لمقابلة هذا الأجنبى . وبعد لحظات سمعت وقع أقدام الضابط على الدرج ، فإذا به رجل مهيب خلفه حارس أسود يتمنطق بمسدس ، ويبدو أنه جاء ليلعب دور المترجم بيننا وبين الضابط ، فأخبرتهما أنى مدير مستشفى المواصلات بهيروشيما ، وبعد أن قمت بتحيتهما ، عرضت عليهما أن يتفقدا عنابر المرضى ، وكان الضابط مهتماً بمعرفة الأضرار التى ترتبت على التيفون ، ولم يكن يلقى بالا لحديثى عن نتائج الإصابة بالقنبلة الذرية ، واكتشفت أن المترجم لايعرف من اليابانية إلا قليلا ، ولذلك لم أطمئن إلى مقدرته على نقل مادار بينى وبين الضابط من حديث ، وبعد أن قمنا بالجولة التفقدية وصلنا عند زوجتى ،وسألنى الضابط عما إذا كانت قد أصيبت ، فقلت له أنها تشكو من الأنيميا ، كما أن بعض الجراح قد أصابتها ، وشمرت أكمامها لأكشف له عن آثار تلك الجراح ، فهز رأسه قليلا ثم غادر المكان .

وبعد أن تركنا أخذ قلبى يدق بعنف ، وعادت أرجلى تؤلمنى من جديد ونسيت فى غمرة الانزعاج أن أصحبه حتى مدخل المستشفى .

تغير جو الهدوء الذى كان يخيم على المستشفى بمجرد ظهور هذا الضابط الأمريكى ، فانزعج الموظفين ، كما أن زوجتى التى لم يبد عليها التبرم حتى الآن ظهرت عليها علامات القلق،وبدأت الآنسة ياما تفكر فى الفرار وتجمع حاجياتها، وشعرت بالقلق بدورى ، فإذا كان باستطاعتى أن أتبادل الحديث مباشرة مع الضابط الأمريكى ربما استطعت أن أعبر له عن مخاوفنا ، ولعله كان باستطاعته أن يهدىء من روعنا . ولم يكن لدى قاموس أستعين به فى مثل تلك الحالات، فرغم إجادتى الانجليزية قراءة وكتابة لا أحسن التخاطب بها ولا أفهمها حين أسمع حديثاً يدور بها . وعقدت العزم على أن أتفاهم مع الأمريكيين الذين يزوروننا فى المستقبل بالكتابة ، فهيأت مكاناً وضعت فيه منضدة وبعض المقاعد

حتى أتخذه مقرا للحوار الكتابى مع من يزورنا من الأمريكيين فى المستقبل، وكلفت موظفى بالبحث عن قاموس يابانى — انجليزى حتى إذا زارنا ضابط لا يصحبه مترجم استطعنا التفاهم معه، ولا بد أننا سلتعرض لمثل هذه الزيارات طالما أن الجزر اليابانية أصبحت معسكر اعتقال لنا، وعلينا أن نتدرب على التعبير عن أنفسنا باللغة الإنجليزية بعد ما أصبحنا تحت رحمة العدو، طافت بمخيلتى صورة صاحب محلات ايرين الذى كان غنيا ميسور الحال بالأمس وأصبح الآن متسولا يضع على رأسه ضمادة من القماش المتسخ، إنه يرمز إلى ماضى اليابان وحاضرها.

٢١ سبتمبر ١٩٤٥

طقس غائم وزخات مطر خفيفة.

علمت صباح اليوم أن الملاحة فى خليج هيروشيما ستصبح محظورة اعتباراً من الخامس والعشرين من سبتمبر، أخبرنى بذلك السيد سوميتانى مراسل جريدة جودو الذى فقد زوجته خلال الحوادث وجاء إلى هيروشيما ليحضر إقامة شعائر اليوم التاسع والأربعين الذى يصوم فيه البوذيون احتراماً لذكرى الموتى، ويحل هذا اليوم فى الثالث والعشرين من سبتمبر هذا العام، فذكرنى بإحياء شعائر هذا اليوم احتراماً لأرواح أصدقائى من ضحايا هيروشيما.

قررت زوجتى أخيراً أن تذهب إلى بلدتنا بالقرب من أوكاياما وأعددنا لها عدة الرحيل فى الرابع والعشرين من هذا الشهر، أما الآنسة ياما فستغادرنا اليوم عندما تحضر أختها لمرافقتها. وكنت فى بداية الأمر أتردد فى السماح للمرضى بمغادرة المستشفى وخاصة أولئك الذين كانت حالتهم خطيرة، ولكن الخوف نصب شباكه حول الناس جميعاً منذ وصول قوات الاحتلال، ولذلك أصبحت أشعر بالارتياح عندما يغادرون المستشفى، فكلما قل عدد المرضى

كلما أصبحت مسئولياتنا محدودة ، وخاصة أننا لانعرف شيئاً عن نوايا قوات الاحتلال ، غير أنى بذلت أقصى الجهد فى تهدئة روع من بقى بالمستشفى من المرضى .

تناولنا فى طعام العشاء طبقاً مكوناً من أرجل الضفادع ، فرويت لأصدقائى قصة الرجل الذى شاهدته عند قلعـــة هيروشيما يصطاد الضفادع ويبيعها للناس .

٢٢ سبتمبر ١٩٤٥

جو ممطر مصحوب بالبرق والرعد .

استيقظت اليوم مبكرا على غير العادة ، وكانت السيدة سايكى العجوز تقوم بإعداد طعام الإفطار بالمطبخ ، بينما كان السيد ميزوجوتشى لايزال نائما ، وألقيت نظرة على الأسرة الخالية الموجودة بالغرفة والتى كان يشغلها الأصدقاء الذين غادروا المستشفى فشعرت بالشوق إليهم . لقد أصبحت ذكريات هذه الحجرة عزيزة على وهو أمر لم أكن أتوقعه منذ أسابيع مضت .

بعد تناول الإفطار ، طلبت من السيدة سايكى أن تنظف الحجرة وتعيد ترتيبها حتى نستطيع استخدامها كغرفة اجتماعات إذا عاد جنود العدو لزيارتنا مرة أخرى ، فنحينا السيوف والأسلحة القديمة التى عثرنا عليها بين الخرائب جانبا ، ووضعنا الأسرة فى أحد جوانب الغرفة ، ووضعنا منضدة وبعض المقاعد فى وسطها ، أما الأريكة التى أعددناها لاستراحة ضيوفنا فكانت عبارة عن لوح خشبى بأربعة أرجل وأصبحت الغرفة بذلك معدة لاجتماع أربعة أو خمسة من الضيوف .

ولما كان عدد المرضى آخذاً فى التناقص حتى أنه لم يبق منهم إلا نفر قليل، وليس لدى ما أفعله ، فقد آثرت أن أجلس مترقباً ما قد تسوقه الأقدار ، وأصبحت أتمتع لأول مرة بقدر من الهدوء جعلنى أستعيد ذكريات الماضى بشىء من الموضوعية . كانت الشرور التى بدأت تهبط على هيروشيما تثير قلقى ، كالجنود السكارى الذين يعيثون فى الأرض فسادا مثل أولئك الذين رأيتهم أثناء عودتى من مياجيما والذين يمثلون صورة الحاضر الذى نعيشه الآن . لم يعد هناك مكان للحكم المأثورة التى تقول « العدالة هى القوة » و « المرء بخلقه وليس بمولده » . وبدا لى أن نظام التعليم كان بالغ الأثر زمن السلم عندما كان هناك قانون ونظام ، إن الأخلاق لا يمكن أن يصقلها التعليم فإنها تثبت وجودها فى أحسن صورة عندما لا يكون هناك شرطة تحفظ النظام ، وسواء كان الرجل متعلماً أو غير متعلم فإن باستطاعته أن يبرز خلقه فى وقت الشدة ، والنصر دائماً فى جانب الخلق المتين . لقد اختفت هذه الحكم الغالية وأصبحت القوة هى العدالة ، وأصبح المولد أكثر أهميـــة من الخلق ، ولابد أن تحكم القوة هذا البلد .

٢٣ سبتمبر ١٩٤٥

طقس غائم فى أول النهار ، ثم ما لبث أن أصبح صحواً بعد ذلك .

اليوم هو التاسع والأربعين الذى تكرم فيه أرواح الموتى ، وعندما استيقظت اليوم فكرت فى إقامة صلاة بوذية على أرواح أصدقائى الذين قتلوا خلال البيكا ، وبعد تناول الافطار ذهبت السيدة سانيكى العجوز لتصلى من أجل أبنائها الثلاثة الذين فقدتهم فى الحرب ، وبينما كنت أتأهب للخروج جاءنى صديقان هما السـيدة كانيكو وزوجة ولدها ، وما كادت ترانى حتى انفجرت باكية لتقول أن ولدها قد مات وراحت تقص علىّ قصته : « فى

اليوم التالى للبيكا عدت وزوجة إبنى إلى المدينة لنبحث عنه بين حطام منزلنا ، وبينما كان زوجى يفحص الجثث المسجاة هنا وهناك بالقرب من ساحة التدريب وجد شخصاً ميتاً وهو واقف ، وقد واصلت البحث بين حطام البيت غير أنى لم أجد شيئاً ، ثم ما لبثت أن وجدت عظام إنسان محترقة لا زال الدخان يتصاعد منها غير أنى لم أستطع الجزم بأنها لولدى . وعدت فى اليوم التالى لأجد أنها عظامه فقد تأكدت من وجود بكلة حزامه فوق الهيكل العظمى » . ثم استطردت تقول : « أرجوك أن تحضر لزيارتنا فى فوكاوا ، فإن زوجى المسكين قابع هناك ، ولا شىء يدخل السرور على قلبه إلا حين يراك . لقد كنت فى طريقى إلى المعبد حين خطر لى أن أزورك ، سايونارا (إلى اللقاء) » .

فقلت لها : «سايونارا» رداً على تحية الوداع بينما رسمت على شفتى ظلال ابتسامة وأحنيت هامتى لهذه السيدة المسكينة وأرملة ولدها ، ثم انطلقت لأصلى على أرواح أصدقائى من الضحايا مبتدئاً بالجيران ، فوقفت أمام حطام كل منزل أصلى من أجل سكانه الراحلين مغمض العينين . وكان يخيل لى عند كل صلاة أنهم ماثلون أمامى وعلى وجوههم ابتسامة عريضة ، واستعرت دراجة أخذت أطوف بها أرجاء المدينة أصلى من أجل بقية الأصدقاء ، فعبرت جسر ميساسا وجسر يوكوجاوا ، وسرت بالدراجة على شاطىء نهر أوتا أفكر فى هؤلاء الأصدقاء ، ثم عبرت منطقة تيرا ماتشى حتى وصلت إلى حى سورا زاياتشو فبلغت المكان الذى مات فيه الدكتور مورى سوجى وزوجته ، فصليت هناك من أجلهما ، واتجهت بعد ذلك إلى مكان بالقرب من مركز التفجير حيث كانت رائحة البخور تعبق فى الجو وجمع غفير من الناس يصلون من أجل أحبائهم ، ثم عبرت جسر أيوئى مخترقاً مركز التفجير فكانت خرائب متحف العلوم والصناعة تقع على جانب الطريق وأمامها خرائب المبانى الأخرى ، وعبرت هذه المنطقة حتى بلغت موقع مكتب بريد هيروشيما ، وهناك وجدت شاهداً حجرياً كتب عليه « مات جميع العاملين بالمكتب فى ساحة الشرف » ، وبعد

أن صليت من أجل أصدقائى الذين ماتوا هناك ، أخذت أفكر فى حجم الخسارة التى نزلت بنا ، وبعد ذلك عبرت وسط خرائب مستشفى الدكتور شيما حيث ماتت عائلته وسائر العاملين معه وجميع المرضى ، أما هو فقد نجا من الموت لوجوده خارج المدينة عندما وقع الحادث ، وتذكرت الصديقان : الدكتور كورا كاوا ، والدكتور تينا كا اللذان كانا يعملان معه ولقيا مصرعهما فى الحادث . وبعد أن تجولت بعض الوقت وزرت الأماكن التى مات فيها أصدقائى الآخرين عدت إلى المستشفى فى وقت متأخر متعباً مكتئباً .

وجدت فى انتظارى عشاء من السوكى يا كى[٢] أعده السيد ميزوجوتشى احتفالا بسفر زوجتى ، وضمت مائدة العشـــاء الآنسة كادو والسيدة سائيكى والسيد ميزوجوتشى بالإضافة إلىّ وزوجتى ، وبعد العشاء لبثنا نتحدث طويلا ، كان هذا هو العشاء الأخير لزوجتى بالمستشفى ، تناوله معها أصدقاء اشتركوا معاً فى كل الحوادث التى حلت بنا منذ وقع البيكا ، وستغادر زوجتى المستشفى غداً فلا غرو أنها تبدو سعيدة كطفل صغير .

٢٤ سبتمبر ١٩٤٥

جو صحو بصورة عامة تتخلله بعض السحب أحياناً تصحبها أمطار خفيفة .

تحددت الساعة السادسة صباحاً موعداً لرحيل زوجتى ، فأعدت السيارة أمام باب المستشفى قبل أن ننتهى من تناول الإفطار ، وتولى السيد إيجوتشى قيادة السيارة الحكومية التى كانت تستخدم للمرة الأولى منذ البيكا . واشتركت مجموعة كبيرة من الأصدقاء فى توديع زوجتى ساعة الرحيل .

---

(١) السوكى يا كى طبق يابانى مكون من شرائح اللحم وبعض الأعشاب والكرات يضاف إليها صفار البيض الطازج ، وتعد من أزكى الأكلات عند اليابانيين .

غفوت قليلا بعد رحيل زوجتى واستيقظت فجأة على شعور بالمغص ورغبة فى التبرز ، واكتشفت أننى أعانى من الإسهال ، فظننت أن السبب يرجع إلى وجبة العشاء التى تناولناها بالأمس ، ولكن تكرر ذهابى إلى المرحاض عدة مرات . وعندما عدت إلى غرفتى تناولت كوباً من الشاى ولم أعبأ بتناول الغذاء ، وطلبت من السيدة سائيكى أن تحضر لى دواء قابضاً من الصيدلية ، وعندما علم الدكتور هينوئى بحالتى جاء إلى مسرعاً وأعطانى دواء السلفا جوانيدين مع دواء للمعدة وألقى على محاضرة حول ضرورة الاهتمام بصحتى مؤكداً أن الكثير من المرضى ماتوا بعد البيكا ممن كانوا يعانون من الإسهال بسبب عدم اتباعهم التعليمات الخاصة بالعلاج .

وأخذ الشك يتسرب إلى نفسى ، ترى هل استنشقت ذلك (الغاز السام) الذى تحدث الناس عنه أثناء تجولى وسط الخرائب بالأمس ولكن مرات ترددى على المرحاض ازدادت عدداً وشعرت بأعراض تشبه الدوسنطاريا ، ثم أصبحت عاجزاً عن الذهاب إلى المرحاض ، فدبرت لى السيدة سائيكى قصرية فراش وعاونتنى على استخدامها ، وازددت وهناً على وهن ، فطلبت منها أن تعد لى كيس من الرمل الساخن لأضعه فوق بطنى ، فأعدت لى زجاجة من الماء الساخن استخدمتها لهذا الغرض ، وعادنى الدكتور كوياما والدكتور كاتسوبى ولكنهما لم يستطيعا أن يفعلا شيئاً لتخفيف آلامى ، غير أن زجاجة الماء الساخن جعلتنى أشعر ببعض الراحة . ومنعت السيدة سائيكى الزوار من دخول الغرفة ، وضربت ستاراً حول سريرى لتتيح لى قدراً من الحرية . وفى المساء شعرت بالعطش الشديد ورغبت فى تناول الماء البارد ولكنى خشيت أن تزداد رغبتى فى التبرز ففضلت تحمل العطش على تناول الماء ، وتمكنت السيدة سائيكى بعد ذلك من إحضار كيس من الرمل الساخن ووضعته فوق بطنى ، واتخذت لنفسها فراشاً بجوارى وأخذت تتحدث معى حتى استغرقت فى النوم غير أنها كانت تستيقظ بمجرد أن تشعر بحركتى

حين أشعر بالحاجة لاستخدام القصرية فتهب لمعاونتى ، ولم أستطع النوم إلا لماما طيلة الليل .

٢٥ سبتمبر ١٩٤٥

جو صحو .

شربت بعض الشاى بالملح ، وطلبت بعض بذور الخل لرغبتى فى أن أتناول شيئاً مراً ، وطلبت قليلا من حساء الأرز ، ولكن حالة المرض استمرت على ما هى عليه بالإضافة إلى الدم والمخاط ، ولم أشعر بحياتى بالضعف وقلة الحيلة مثلما شعرت اليوم . وتناولت فى المساء طبق من حساء الأرز مع قليل من الملح ثم تجرعت الدواء ، فتناولت جرعة كبيرة من السلفا جوانيدين ، غير أن حالتى لم تتحسن .

٢٦ سبتمبر ١٩٤٥

جو صحو ما لبث أن تلبد بالغيوم وتساقط المطر .

حالتى اليوم لا تزيد عما كانت عليه بالأمس مع استمرار الإسهال الدموى والألم والضعف العام ، وأضيف الكودين إلى الدواء الذى أستخدمه ، ولم أذق الطعام طوال اليوم فيما عدا ثلاث أطباق من حساء الأرز ، وعند المساء جعلنى الكودين أحس ببعض الراحة فلم أشعر بالحاجة لاستخدام القصرية إلا مرات قليلة خلال الليل .

٢٧ سبتمبر ١٩٤٥

جو ممطر ملبد بالغيوم .

استيقظت فى الصباح معانياً من جفاف الحلق ، فتناولت كوباً من الماء الساخن بالسكر بالإضافة إلى طبق من حساء الأرز التى أصبحت أمج طعمها ، وتحسنت حالتى بعض الشىء ربما كان الفضل يرجع للكودين فتناولت جرعة أكبر منه شعرت بالتحسن بعض الشىء فى المساء ونمت طوال الليل .

٢٨ سبتمبر ١٩٤٥

طقس متقلب بين الغائم والصحو .

تحسنت شهيتى اليوم ، فتناولت فى الصباح طبقان من حساء الأرز بالإضافة إلى كوب من الماء الساخن بالسكر ، وأكدت لى السيدة سائيكى أن كل شىء سيصبح على مايرام ، وأن السيد ميزوجوتشى قد عاد بأخبار عن رحلة زوجتى.

لقد نسيت خلال الأيام الأربعة أو الخمسة الماضية كل شىء عن زوجتى وولدى ، وبعدما تحسنت حالتى الآن أخذت أفكر فى أمى ومدى سعادتها عندما وصلت زوجتى ، ولكنى صرفت التفكير فى هذا الموضوع مفضلا التركيز على حالتى ، فشفائى مهم بالنسبة لهم لأتولى رعايتهم .

بدأت أستقبل بعض الزوار وكان من بينهم السيد ياما شيتا الذى أطلعنى على مذكراته التى كتبها حول حادث البيكا وعجبت لعبارات التفاؤل بالنصر التى وردت فى مذكراته والتى تتناقض مع الهزيمة التى وقعت بالفعل . ترى كيف يفكر الناس بالنصر ويرغبون فى تحمل الصعاب من أجل تحقيقه غير مصدقين أن الهزيمة قد حلت بهم بالفعل ؟!

شعرت بالتحسن وبالعافية تدب فى بدنى ، وأصبحت أستطيع النهوض من الفراش والذهاب إلى غـــرفة الطعام حيث تناولت بعض الأوراق وقلم رصاص وسجلت وقائع الأيام التى مضت من يومياتى حتى لا أنسى شيئاً ، وفى العشاء تناولت حساء الأرز والدواء . ورغم تحسن حالتى كان لا يزال بينى وبين الشفاء التام مراحل طويلة ، فـــلم أستطع النوم طوال الليل إلا قليلا ، واعتقدت أننى أسرع الخطى نحو الموت حين تذكرت الإشاعات التى ترددت حول أولئك الذين لقوا حتفهم بعد أن تجولوا وسط خرائب المدينة .

٢٩ سبتمبر ١٩٤٥

جو صحو تتخلله السحب أحياناً .

مكثت فى الفراش هذا الصباح ، فلم أستطع الذهاب إلى غرفة الطعام ، وحاولت ازدراد طبقين من حساء الأرز رغم فقدانى الشهية ، ثم ذهبت إلى مرحاضى المفضل خارج المستشفى ، وبعد قضاء الحاجة اكتشفت وجود أكياس فى البراز ، فاطمأننت إلى أن ما أعانى منه نزلة معوية وليس مرض الإشعاع الذرى ، وعدت مرة أخرى إلى فراشى وأنا أشعر بالراحة وتابعت تناول العلاج .

زارنى ضابطان من جيش الاحـتلال بعد ظهر اليوم ورغم أننى لم أكن أشعر بالراحة فقد حاولت أن أكون كريماً معهما فلففت كوفية حول بطنى لأدفىء معدتى ، وصحبتهما فى جولة داخل عنابر المرضى ولم يستطع كل منا فهم ما يقوله الآخر رغم أننى شعرت بنبرات الصداقة فى حديث الضابطين الشابين ، فاستجمعت أطراف شجاعتى وقلت لهما باللغـــة الإنجليزية : « كيف حالكم ؟ How are you » فأجابا على تحيتى بمنحى سيجارة قبلتها شاكراً وأشعلها أحدهما لى ، وحاولت خلال الجولة أن أطلعهما على أحوال المستشفى بقدر

المستطاع رغم ما أشعر به من وهن ، وبعد أن انتهت جولتنا ووصلنا إلى باب المستشفى صافحانى وقالا لى باليابانية «كون نى تى وا (كيف حالك)» بدلا من عبارة «سـايونارا (إلى اللقاء)» ، فانفجر من كانوا معى فى الضحك ، وضحكت بدورى ، كما ضحك الضابطان الشابان ، وركبا سيارتهما وقد ارتسمت على وجهيهما ابتسامة عريضة ، وظلا يلوحان لنا بأيديهما حتى اختفت سيارتهما عن الأنظار ، وقد تركت زيارتهما شعوراً بالطمأنينة فى نفوس الجميع ، وأصبحت عبارة التحية التى ألقياها علينا قبل انصرافهما موضوعاً لتندرنا .

وضعت اليوم السيدة هى ياما التى كانت تعمل بالمستشفى منذ سقوط القنبلة طفلا فى بيتها بكا كوماتشى ، وكانت تؤدى واجبها حتى ليلة الأمس ، وسعدت حين علمت أن الطفل فى حالة طبيعية وأن الأم بصحة جيدة ، وكانت هذه هى حالة الولادة الوحيدة بين المقيمين بالمستشفى منذ وقع البيكا .

آويت إلى فراشى مبكراً واستغرقت فى نوم عميق .

٣٠ سبتمبر ١٩٤٥

أمطار غزيرة وغيوم كثيفة .

استيقظت قبل الفجر بقليل ، وقد شعرت بتحسن ملحوظ ، وأصبحت معدتى أحسن حالا ، وتناولت طبقان من حساء الأرز فى وجبة الإفطار ، وجاء السيد ميزوجوتشى أثناء تناولى الإفطار بنبأ وصول زوجتى إلى بلدتنا بسلام ، وحمل إلى أنباء الرحلة وتعليقات والدتى على ما حدث لنا وللبلاد .

بعد الظهر زارتنا مجموعتان من جنود الاحتلال ، أما أفراد المجموعة الأولى فقد تفقدوا الأحوال فى المستشفى بصاحبتى ، واهتموا بالوقوف على تفاصيل كل شىء ، ويبدو أن أحد أفراد هذه المجموعة كان مدرساً ، لأنه كان يحرص على ترميم صدع انجليزيتى ويصحح لى طريقة النطق ، أما المجموعة الثانية فكان معها مترجم أمريكى من أصل يابانى ينحدر من أسرة تقيم فى «تنـنّا» ، وجلست

مع هذه المجموعة فى المكان الذى أعددته للاجتماعات ، ووقف أحدهم ينظر إلى الخرائب عبر النافذة ثم قال من خلال المترجم : «لا بد أن تكون هناك بعض الجثث بين هذه الخرائب ويخيل لى أنه إذا لم يتم إزاحة تلك الأنقاض فإن هذه الجثث المتعفنة وهذا الدمار سيظل سبباً فى سوء العلاقة بين بلادينا ، فما رأيك؟» .

فأجبت : « إننى موافق على رأيك تمام الموافقة ، فقد سمعت أنكم استخدمتم فى كورى آلة جديدة لإزاحة الخرائب تسمونها على ما أظن (البلدوزر) فلماذا لا ترسلون واحدة منها إلى هنا لمعاونتنا على إزالة تلك الأنقاض وإلا فإننى على يقين أن أولئك الذين جرحوا أو فقدوا أقاربهم وأصدقاءهم سيظلوا يذكرون يوم سقوط القنبلة ويحقدون عليكم ويكرهون بلادكم كلما رأوا حال المدينة » .

فأجاب الضابط : « إن هذا الموضوع غير قابل للمناقشة ، فإن أمريكا لا تستطيع إرسال أى معدات إلى هنا فى الوقت الراهن ، ولكن ما رأيك فى حادث قصف هيروشيما بالقنبلة الذرية ؟ » .

فأجبت بقولى : « إننى رجل بوذى ، وقد تعلمت منذ نعومة أظفارى أن ألزم السكينة فى مواجهة المصائب ، لقد فقدت بيتى وثروتى وجرحت ، ولكن بغض النظر عن ذلك كله أعد نفسى محظوظاً لأنى نجوت وزوجتى من الموت بينما لم يخل بيت من فقد عزيز أو قريب » فرد الضابط بصلف وكبرياء : «إننى لا أستطيع مشاركتك هذا الشعور فلو كنت مكانك لقاضيت البلاد » .

ووقف الضابط مرة أخرى يحملق عبر النافذة ثم رحل مع جماعته . وبعد أن غادروا المستشفى رويت لأصدقائى هذا الحديث ، وأخذت أردد بينى وبين نفسى عبارة : « أقاضى البلاد! أقاضى البلاد !. » ولا أدرى كم مرة رددت هذه العبارة وكيف كان وقعها على نفسى ، لقد كان الموقف كله أكثر من أن يحتمل.

ملحق

شهادات بعض الضحايا

(١)

فوتايا كيتا ياما

زوجة ، تبلغ ٣٣ عاماً من عمرها .

أصيبت على بعد ١٫٧ كيلومتر من مركز التفجير .

* * *

كان ذلك في صبـــاح السادس من أغسطس ١٩٤٥ ، انقضت ليـلة طويلة مرعبة قمت خلالها بالتردد مراراً على ملجأ الوقاية من الغارات الجوية مدفوعة بصفارات الإنذار التى بدت أصواتها منذرة بالسوء ، والتى جعلتنى أشعر كأن قلبى تهزه أيدى الشيطان .

كان اليوم شديد الحرارة منذ الصباح وكنت أقيم بحى داى‌ياشو وكان على أن أتوجه فى ذلك اليوم إلى « جمعية الجيرة » لأقوم بنوبتى فى التبرع بالعمل فى حفر خنادق الوقاية من الغارات الجوية . لم يكن زوجى الذى يعمل موظفاً بجريدة تشوجوك قد عاد إلى البيت منذ هرع فى الليلة السابقة إلى مقر الجريدة حين سمع صفارات الإنذار . فقدت شهيتى للطعام غير أنى أرغمت نفسى على تناول إفطار سريع ، وانطلقت بعد أن أعددت وجبة لزوجى الذى قد يعود أثناء غيابى تركتها على المنضدة .

عقدت مجموعتنا اجتماعها فى السابعة والنصف صباحاً ، كانت غالبيتها من النساء بما فى ذلك سيدات تجاوزن سن الستين . كان التحذير من الغارات الجوية مستمراً منذ الصباح غير أنه كان أمراً يومياً تعودنا عليه فلم أكن أشعر

بخوف معين وأنا أمضى فى الطريق مع جارتى السيدة ياماجوتشى ، سمعنـــا صفارات الإنذار بوضوح طوال الطريق وكانت مهمتنا أن نزيح أنقاض المبانى التى تهدمت بمنطقة تسورومى تشو لنقيم محلها خنادق الوقاية من الغارات .

بدأ العمل فى الثامنة واصطففنا لعبور جسر تسورومى ، لن أنسى ماحييت مجرى الماء الذى كنت أرقبه تحت الجسر مقارنة بالمجتمع البشرى الذى كان يلهث فى الصراع الدموى للموت والحياة ، ما أجمله من منظر طبيعى هادىء ! أنني أتذكر بوضوح مجرى الماء الصافى الذى يجرى فى سلام ودعة منـذ الأزل .

وبعد أن خطوت نحو ثلاثين متراً فوق الجسر سمعت فجأة وبوضوح صوت محرك طائرة . وكان من الغريب حقاً بعد أن سمعنا إشارة واضحة أن نجد طائرة معادية فوق رؤوسنا ولـكنها ظاهرة كانت تحدث مراراً حتى اعتدناها واستطعت بصعوبة أن أقدر مدى ارتفاع الطائرة ،كانت أجنحتها الفضية تتألق بوضوح تحت ضوء الشمس . وبدت الطائرة صغيرة الحجم بالقدر الذى يجعلنى أستطيع حملها بين يدى .

همست إلى السيدة ياما جوتشى قائلة : « ياله من منظر جميل أنها تبدو مثـل الصورة ! » فأجابتنى قائلة : « لعـلك أصبحت شاعرة ،كيف تواردت هـذه الفـكرة إلى ذهنك فى مثل هذا الوقت ؟ » غير أنه كان منظراً جميلا حقاً . كانت الطائرة الجميلة تبدو كقطعة زينة فضية تتألق فى كبد السماء الزرقاء الصافية تطير ببطء من الشرق إلى الغرب بأزيز خافت فأخذت أنظر إلى السماء بعض الوقت مأخوذة بالمنظر .

وصاحت إحدى السيدات : « تلك مظلة . . . مظلة تهبط ! » . فاتجهت ببصرى نحو الجهة التى أشارت إليها ، وفى تلك اللحظة بالذات أضاءت

السماء، لا أستطيع وصف ذلك الضوء شعرت كأن ناراً أوقدت فى عينى .. كان اللون أرجوانياً ذا وميض يفوق الوميض الذى يصدر عن عربة الترام فى الليل الدامس بلايين المرات .

ولا أتذكر أيهما كان الأسبق : الضوء، أم صوت الانفجار الذى زلزل هديره رحمى . على كل فقـــد سقطت بعد برهة طريحة الأرض، وبدأت الأشياء من حولى تتساقط على النور حول رأسى وكواهلى . ولم أعد أرى شيئاً فقد صارت الدنيا حالكة الظلام ، فظننت أن لحظة المصير النهائى قد حانت .

ثم فجأة رأيت فى المنام بوضوح أطفالى الثلاثة الذين كانوا قد هجروا إلى الريف، وحاولت النهوض بغتة موقنة بدافع غريزى أنه ليس من الحكمة أن أظل راقدة هناك، غير أننى لم أستطع التحرك بسبب الأنقاض الخشبية وقرميد السقوف التى لم تتوقف عن السقوط على جسدى . وقلت لنفسى : « لا يمكن أن أموت هنا، ليس ثمة من يرعى أولادى إذا مت فربما يكون زوجى قد مات.. لا بد أن أحاول النجاة بقدر المستطاع » . وبعدما تخلصت من حالة الارتباك التى ألمت بى استطعت أن أزحف من تحت الأنقاض .

وما لبثت أن أدركت أن رائحة الهواء أصبحت كريهة فتناولت منديلى من الحزام لأحك أنفى وفمى بقوة ظناً منى أن ما ألقى علينا قد يكون قنابل الفسفور الأصفر الحارقة ، ولكنى صدمت حين وجدت جلد وجهى قد تساقط على المنديل، آه .. لقد حدث نفس الشىء ليدىّ وأرجلى أيضا وتدلى جلد يدى اليمنى من المرفق إلى أطراف الأصابع ببشاعة ، وكذلك كان الحال بالنسبة ليدى اليسرى وأصابعها الخمسة .

وتأوهت قائلة : « ياللعنة .. لقد جرحت ! » وظننت أن وجهى قد أصبح

مثل يدى رغم أننى لم أتمكن من رؤيته ، لابد أن أكون قد ألحقت الضرر بوجهى ويدى أثناء محاولتى إزاحة الأنقاض عنى بعصبية ، وشملتنى الحيرة ، فجلست هناك ، ومالبثت أن اكتشفت أن ليس ثمة أحد من حولى ، ترى ماذا حدث لجيرانى ؟ أين السيدة ياماجوتشى ؟ ونهضت يتملكنى رعب دفعنى إلى الأمام حيث أخذت أجرى بعصبية ولكن إلى أين ؟ أين أجد الطريق ؟ لقد اكتست الأرض بأخشاب الأنقاض وقرميد السقوف ، ولم أعد أتبين معالم الطريق .

ماذا حدث للسماء التى كانت زرقاء صافية منذ قليل؟ أنها الآن مظلمة وكأنما قد حل الغسق . كان كل شىء من حولى غامضاً غائماً وكأن الضباب قد خيم على عينى ، وظننت أننى قد فقدت حاسة البصر ، وأمعنت النظر من حولى لأتبين ماحدث ، فرأيت على الجسر مايبدو كإنسان يعدو . أجل أنه جسر تسورومى لابد أن أسرع بعبوره وإلافلن أجد سبيلا للفرار . وجريت كالمجنونة نحو الجسر وأنا أقفز كالمجنونة فوق الأنقاض .

وما رأيته خلف الجسر صدمنى فقد كان المئات من البشر يتلوون فى مجرى النهر ، ولم أستطع أن أتبين ما إذا كانوا رجالا أم نساء فقد كانوا جميعــاً متشابهين: وجوههم متورمة رمادية اللون ، شعرهم منتصب ، وكان الناس يندفعون إلى النهر رافعين أيديهم إلى أعلى يئنون من الألم ، وأحسست بنفس الرغبة مدفوعة بالألم الذى استشرى فى جسدى بعد تعرضه لإشعاع حرارى على درجة من القوة كانت كافية لحرق سراويلى وكنت على وشك القفز إلى النهر لولا أننى تذكرت أنى لاأستطيع العوم .

عدت أدراجى إلى الجسر ، وهناك رأيت تلميذات يمشين شبه نائمات ، يتجولن هنا وهناك فى حالة ذهول ، فشجعتهن على عبور الجسر قائلة : « أسرعن أسرعن » ، وما كدن يعبرن النهر حتى نظرت ورائى فوجدت منطقة تاكيا

تشو — ها تشو بورى قد شبت فيها النيران فجأة . كنت أظن أن القنبلة قد أصابت المنطقة التى كنت فيها إصابة مباشرة .

وبينما كنت أجرى ناديت أطفالى بأسمائهم قائلة : « لن أموت يا أعزائى شأشى »، وفى الحقيقة إنما كنت أشجع نفسى بمثل هذا الكلام . وحاولت تكرار ذلك ولكنى لم أستطع تكرار النداء ، وبينما كنت أجرى كان بصرى يقع على كثير من المناظر التى تدعو إلى الإشفاق أثناء الطريق ، ولاتزال هذه المناظر ماثلة أمام عينى حتى الآن .

رأيت أما وقد تلطخ وجهها بالدماء حتى كتفيها تصرخ :«ابنى حبيبى»، تندفع بجنون نحو بيت يحترق بينما كان رجل يمسك بها يمنعها بالقوة من دخول البيت ولكنها ظلت تصيح بجنون : « دعنى أذهب دعنى أذهب ابنى سيموت حرقاً » وكانت تبدو كالجن فى ثورة الغضب وكان ذلك المنظر تنفطر له القلوب ويبدو أننى سلكت طريق ماتوبا أثناء فرارى وهو طريق يؤدى إلى شرق ساحة العرض العسكرى فأذكر أننى سلكت طريقاً يقع فيه خط الترام .

وعندما عبرت جسر كوجن لم أستطع التعرف عليه فقد كان سوره المقام من الحديد المسلح لاوجود له وأصبح الجسر آيلا للسقوط غير مأمون الاجتياز، وكانت تطفو تحته الكثير من الجثث التى تبدو كأنها جيف كلاب أو قطط عارية تماماً من الثياب إلا من بعض الخرق البالية ، وكان ثمة جثة امرأة ترقد فى المياه الضحلة القريبة من الشاطىء وجهها للسماء ، وقد تمزق ثدياها وانبثق منها الدماء . ياله من منظر مريع ! كيف يحدث مثل هذا الشىء الفظيع فى العالم ؟ إن الحكايات الخيالية المفزعة التى كانت تقصها على جدتى بدت متواضعة بجانب ما أراه ماثلا أمام عينى فى دنيا الواقع .

ووجدتنى أجلس القرفصاء وسط ساحة العرض العسكرى ، ولابد أننى قد استغرقت ساعتين للخروج من منطقة تسوزومي — تشو حتى بلغت شرق ساحة

العرض العسكرى ولست أدرى كم ظللت أحوم حول المكان ، فقد بدأ الظلام الذى اكتسبت به السماء ينقشع قليلا ، ولكن الشمس كانت لاتزال محتجبة خلف السحب الكثيفة فأضفت على الجو لوناً من الكآبة .

وبدأت جروحى تؤلمنى ، ولكن الألم كان يختلف كثيراً عن الألم الذى ينتج من الجروح العادية ، كان ألماً فظيعاً يفوق الاحتمال ، وأخذت يداى تنضح بإفراز أصفر وتصورت أن وجهى لابد أن يكون قد أصبح فى حالة يرثى لها ، وإلى جانبى كان هناك الكثير من تلاميذ المرحلة الإعدادية من الأولاد والبنات الذين كانوا يشكلون فرق المتطوعين يئنون فى حالة احتضار ويصرخون بلا وعى « أماه ! أماه ! » كانت حروقهم بالغة ودماؤهم تنزف حتى أن المرء لايطيق النظر إليهم وما كدت أرى هذا المشهد الفظيع حتى وجدتنى أتساءل : لماذا يحدث كل هذا لهؤلاء الأطفال الأبرياء ؟ ، ولكن لم أكن أدرى إلى من أتوجه بهذا السؤال . لم أستطع أن أفعل شيئاً من أجلهم سوى أن أرقبهم وهم يموتون الواحد تلو الآخر يبحثون عبثاً عن أمهاتهم .

وواصلت السير من جديد أتبع الناس المتجهين نحو سفح التل وكان على أن أشجع جسدى وروحى على متابعة السير ، فقد كنت أحس كأنهما يهويان إلى الأرض . وقدرت أن الساعة كانت الثالثة بعد الظهر إذ يبدو أننى مكثت بساحة العرض العسكرى وقتاً طويلا فى حالة ذهول تام وبقـــدر ما استطاعت قوة إبصارى التى أخذت تتداعى أن تمكننى من الرؤية تبينت أن محطة سكك حديد هيروشيما وكذلك منطقة آتاجو — تشو تحترقان . آه كيف استطعت أن أقطع كل هذه المسافة الطويلة .

وأخذ وجهى يصبح جامداً وتحسست خدودى بيدى بحرص شديد لأتبين ماصار إليه الحال فبدا وجهى متورماً حتى أصبح حجمه مضاعفاً ، وأصبحت قوة إبصارى الآن تقل شيئاً فشيئاً ياللخسارة ! لن أستطيع أن أرى بعد حين

هل سيكون مصيرى الموت بعد كل هذا العناء ؟ وتابعت المشى بجوار سفح التل حتى بلغت قرية هيسا كا وطوال الطريق رأيت الكثير من الضحايا ينقلون على المحفـــات ، ومرت بجانبي الكثير من العربات والشاحنات المحملة بالجثث وبالجرحى المشوهين ، وعلى جانبي الطريق كان هناك الكثير من الناس يمشون على غير هدى وكأنهم نيام .

وفكرت فى البحث عن ملجأ يعصمنى من الشاحنات التى تقطع الطريق بسرعة بالغة قبل أن أفقد البصر تماماً ، وفى مثل هذا الملجأ أستطيع أن أنتظر مصيرى المحتوم بهدوء . وكنت أتلفت هنا وهناك ببصرى المكدود وفجأة وقعت عيناى على أختى التى كانت تجلس القرفصاء بالقرب منى فصحت :

« النجدة يا أختاه » .

واندفعت نحوها فحملقت فى وجهى فى بداية الأمر مندهشة ثم مالبثت أن عرفتنى — « آه ، أنت فوتابا ياللهول ! » .

ونهضت ثم احتضنتنى .

-- يا أختاه ، أنى أكاد أن أعجز عن الرؤية أرجو أن تأخذينى إلى أطفالى» .

فقالت وقد انفجرت باكية :

— « لن أتركك تموتين أعدك بأن آخذك إليهم » .

وفحصت جروحى ثم قالت :

— « يالك من مسكينة لقد أصبح شكلك يبعث على الرثاء » .

واستمرت فى البكاء ومددت جسدى فوق الحشائش ولم أحس يوماً ما بقوة حب الأسرة مثلما أحسست تلك الساعة فلو لم أقابل أختى لكنت هالكة لامحالة . وكانت أختى تعانى من بعض الجراح البسيطة برأسها وقدميها ولكن جراحها كانت طفيفة ، وعندما كنت نائمة على الأرض بجوار أختى أحسست

بالراحة لأننى فقدت القدرة على الرؤية تماماً ، كما لم يعد باستطاعتى أن أقف على قدماى ويبدو أن الظلام كان قد حل ، فقد شعرت بقشعريرة إذا لم يكن يكسو جسدى سوى سراويل محترقة ممزقة .

وعثرت أختى على عربة لنقل الخضروات متروكة فى مكان ما وقالت لى أنها تستطيع نقلى بهذه العربة إلى مركز الإسعاف بمدرسة « ياجاجرام مار » التى تقع على بعد أربعة كيلومترات . وأخذ الوهن يدب فى جسدى ولكنى تمنيت من أعماق قلبى أن أعيش « إنى لا أريد أن أموت هنا لا أريد أن أموت قبل أن أرى أطفالى » وبلغنا مدرسة ياجا فى الليل كما علمت بعد ذلك لأننى فقدت الذاكرة عندئذ فلم أعد أعى شيئاً . وفى مركز الإسعاف كان هناك العديد من الجرحى وجثث الموتى ، ويبدو أنه كان على أختى أن تنتظر ليلتين معى فى طابور طويل أمام المركز ، وقالت لى أختى فيما بعد أننى كنت فاقدة الوعى ورغم ذلك كنت أصيح طول الوقت « خذونى إلى أطفالى بسرعة » .

ورغم اعتراض الأطباء فقد أيقنت أختى أنه إذا كنت سأموت فيجب أن أموت بين أطفالى وتوسلت إلى الطبيب أن يوافق على خروجى من المركز ونقلتنى بواسطة إحدى المحفات بالقطار إلى أقاربنا بقرية « كامى سوجى » فى الثامن من أغسطس وبعدما فحصنى طبيب القرية أكد أن حالتى ميئوس منها أما أطفالى الذين كانوا قد تم إجلاءهم عن المدينة وظلوا عند أقاربنا فى مكان يبعد ثمانى كيلومترات فقد حضروا إلى فى تلك الليلة ، وعندما سمعتهم ينادوننى «أماه» شعرت أن روحى قد عادت من الجحيم السحيق .

— « أننى بخير يا أعزائى، جروحى طفيفة » .

كنت فقط أشم رائحة أطفالى الأعزاء الذين كانوا يحيطون بى باكين ، ومنذ تلك الليلة لم تتركنى ابنتى الكبرى التى كان عمرها عندئذ أربعة عشر عاماً وظلت قابعة بجوارى وكنت نائمة بصفة مستديمة وقد أحيط وجهى ويداى بالضمادات .

وفى ١١ أغسطس بعد نقلى إلى هناك بثلاثة أيام حضر زوجى وتعلق به الأولاد وهم يطلقون صيحات الابتهاج وكانت حالتى عندئذ بالغة السوء، وشعرت نحوه بالعرفان « آه شكراً للسماء ، إن لهم الآن على الأقل أباً إذا ماقدر لى أن أموت ! » .

ولم تعمر سعادتنا طويلا على أية حال ، فإن زوجى الذى كان لا يكاد يبدو مصاباً أمضى الأيام الثلاثة التالية يتقيأ دماً ، ورحل عنا تاركاً زوجاً على شفا الموت وثلاثة من الأطفال الأحياء . لقد انقضت ستة عشر عاماً على زواجنا ولكننى لم أستطع حتى أن أرتب وسادته عند الموت ، أننى أحس بالأسى عندما أشعر أننى لم أستطع ذلك . لقد أحب عمله وكان يبدو وكأنه جاء إلى هذه الدنيا ليعمل ، ولكنه مات تاركاً الكثير مما يحب عمله . وجاء ابنى وجلس بجانب فراشى باكياً « أماه » يالها من مأساة جعلتنى أشعر بالتمزق حتى الآن .

— « آه ياأطفالى المساكين أننى الآن لاأستطيع أن أموت ، لاأستطيع أن أتركـكم لليتم » .

وأخذت أصلى على روح زوجى ، وظلت حالتى ميئوس من شفائها ولكنى عشت أخيراً بمعجزة ، عادت إلى قوة الإبصار خلال عشرين يوماً ، فأصبحت قادرة على رؤية وجوه أطفالى كخيالات باهتة ، ولكن حروق وجهى ويداى لم تبرأ ، انقضى الصيف وجاء الخريف ولكن الجروح كانت لاتزال تبدو كثمرة الطماطم المتعفنة . وفى أوائل أكتوبر استطعت أن اجلس فى الفراش قليلا ولم أستطع أن أمشى بعض الشىء قبل ديسمبر وبعد يناير استطعت أخيراً ان اتخلص من الضمادات لأكتشف ان وجهى ويداى لن يعودا إلى طبيعتهما مرة أخرى .

لقد تقلص صوان اذنى اليسرى إلى نصف حجمه ، وكان هناك تشوه فى بشرتى يقع فيما بين ذقنى وحنجرتى ، كما كانت يدى اليمنى تعانى نفس الشىء ،

والتصقت أصابع يدى اليسرى ببعضها البعض عند الكف ، واصبحت عاجزة غير متوقعة ترى كيف أستطيع أن أعيش وأولادى الأطفال الثلاثة وخاصة أن الحياة أصبحت لاتطاق مع ارتفاع أسعار السلع التى صاحبت التضخم بعد الحرب ؟ . وفى أبريل ١٩٤٧ بينما كنا قد أوشكنا على التسول مدت جريدة تشوجوك شيمبون التى كان يعمل بها زوجى يدها إلينا وأنقذتنا ، فمنحتنى عملا بها . ولن أنسى ماحييت الفرحة التى غمرتنى ساعتئذ ، وقد مرت حتى الآن خمس سنوات ومازلت أعمل وأعانى من الخجل بسبب عجزى وتشوه جسدى أعمل فقط من أجل أطفالى المساكين .

(٢)

ها كوزو أياموتو .

سائق ، كان عمره عندئذ ٤٦ عاما .

أصيب على بعد كيلو متر واحد من مركز التفجير .

مات فى ١٩٦٤ .

* * *

بدأ التطوع فى العمل بالمجهود الحربى فى مكان عملى فى أغسطس ، وكان على أن استمر فى خدمة المجهود الحربى منذ ذلك الحين ، فكلفت فى الثانى من أغسطس بالإشتراك فى إزالة أنقاض البيوت بمنطقة كوك تاى جى، تشو التى كانت تقع جنوب دار البلدية لإفساح الطريق أمام سيارات الاطفاء .

وفى صبـــاح ٦ أغسطس لم نكن قد بدأنا العمل وكنا ننتظر تحت السقيفة ، وأعلن الراديو القريب منا أن كل شىء على مايرام ، ولذلك لم نعد نخشى من الغارات الجوية فاستغرقت فى التدخين ثم حدث بعد الساعة الثامنة والربع صباحا أن سقط عمود من النار الكهربائية يبلغ عرضه قدمان وطوله نحو ثلاثة أقدام فى موقع يقع على بعد ثلاثه أقدام على يسار أشجار الحديقة ، وكان هذا العمود النارى فظيعاً ينبعث منه وميض غريب ، وهالنى أن أرى ناره التى تشبه البرق ، فوجدتنى أجلس فجأة وسط حجرة لا أدرى هل قفزت إليها متعمداً ، أم أن قوة الإنفجار قذفت بى إليها ، وبعد دوى انفجار قوى أعتقد أنني سمعته تحطم سور الشرفة ، وتهاوت أرض الغرفة تحت قدماى ،

ووجدتنى أهوى على الأرض ، ووقع جانب من السور على أم رأسى مباشرة وكان وقعه عنيفاً حتى ظننت أننى قد هلكت .

ورفعت رأسى بطريقة آلية دون أن أنبس بكلمة من هول ماحدث ، ولبثت مكانى نحو خمس دقائق ، وحين فتحت عيناى كان هناك شيء يشبه العرق يغرقها ويسبب لى ألما فمسحتها بيداى كما أفعـــل عندما أغسل وجهى ، وحاولت أن أنهض وأنا مغمض العينين ، واكتشفت أن باستطاعتى النهوض ، ثم استعدت الوعى فأحسست أننى لازلت حياً . فتحت عيناى لأكتشف أننى لا أستطيع الرؤية بوضوح فقد كان هناك ضباب أسود أو بنى اللون يحيط بالمكان وكان ثمة من يصيح : «لقد فعلوها» فصرخت: «لقد أصبت» وشعرت بألم حاد فى رأسى ثم هبت نسمة انقشع على أثرها الضباب شيئاً فشيئاً .

وشعرت أن هذه النسمة نجدة من السماء ، فبدأت الزحف إلى الخارج ورأيت شخصاً يستنجد وقد سقط عليه أحد أعمدة السقف وهناك بعض موظفى البلدية الذين لم يلحقهم الأذى يقفون حولنا ، فطلبت منهم أن ينقذوا الرجل ، وجلست القرفصاء ماسكا رأسى بيدى . وقام الرجال برفع الأعمدة الواحد تلو الآخر فعثروا على زميل لهم على عمق نحو قدمين من سطح الركام ، وكان الرجل مصابا فى جميع أجزاء جسده ولكنه لا يزال متماسكا . كانت رأسى تؤلمنى فنزعت المنديل من حول رقبتى وربطت به رأسى واكتشفت أن ماظننته عرقا كان دما ، وأن وجهى جميعه كان مكسوا بالدم الذى ينزف من رأسى . عندئذ تبينت أن ماظننته ضبابا كان ترابا نتج عن سقوط ملاط الحائط الذى تحطم تماما وكان التراب يختلط بالدم على وجهى ثم مالبث هذا الطين الأحمر أن جف فوق وجهى بصورة جعلتنى أحس بالضيق ووجدت قميصى قد أصبح ملطخاً بالدماء وممزقاً فخلعته لأصبح نصف عار .

واتجهت نحو منزلى ، وبعد أن قطعت بضع مئات الأمتار فوق أسقف

١

العديد من المنازل المنهارة ، وصلت إلى محطة ترام تاكانوباشى ، ورأيت الكثير من الناس يصرخون طلباً للنجدة داخل منزل منهار ، فتلفت حولى بحثاً عن أناس غير مصابين ليساعدوهم ولكن الجميع كانوا قد وقعوا فى الفخ فلم أستطع نجدتهم لأن الدعائم التى سقطت فوقهم كانت أثقل من أن يرفعها ستة رجال ، فطالبت من الضحايا أن ينتظروا حتى أحضر لهم فرقة من عمال الإنقاذ ، ووقفت على طريق تاكانوباشى ونظرت حولى لأجد جميع المنازل التى تقع على مدى كيلو مترين إلى الشرق والغرب وكيلومتر ونصف إلى الشمال والجنوب قد تحطمت جميعاً وأصبحت ركاما فوق الأرض فيما عدا المبانى الخرسانية ، وأحسست أن العدو قد استخدم سلاحا جديدا ، كان المنظر فظيعاً لدرجة لا تصدق .

وكانت جموع القادمين من منطقة البلدية كالأشباح ، أصبحت وجوههم المحترقة سوداء ، وملابسهم ممزقة ، وشعرهم منتصباً ، واكتست أجسادهم بالطين الملطخ بالدماء ، وحاولت العودة إلى المنزل عبر ميدان البلدية ، وفى الطريق إلى منزلى وجدت الشارع الذى كان يمر منه الترام قد اكتسى بأعمدة التيار الكهربائى والأسلاك المتداعية حتى أصبح يبدو مثل بيت العنكبوت ،سلكت طريقى قفزا فوق هذه الغابة من الحطام حتى بلغت ميدان البلدية ، وهناك كان العديد من الناس يرقدون على الطريق المرصوف بالأحجار قرب حديقة البلدية وقد احترقت وجوههم وملابسهم يعانون سكرات الموت ، والدم يتدفق من أفواههم ، ياله من منظر لا يستطيع المرؤ أن يواجهه ! إتجهت غرباً حتى بلغت مدخل أوهتى ماتشى حيث كان يقع منزلى ، ولكنى رأيت على البعد أن منزلى قد تحطم تماما ولم أستطع الوصول إليه لأن الطريق كان مكسوا بأنقاض البيوت المنهارة ، ونظرت حولى لأجد النار وقد اشتعلت فى المدينة المحطمة ، وأيقنت أننى إذا خاطرت بمحاولة الوصول إلى بيتى سأموت حرقا لا محالة ، فعدلت عن المحاولة

ملتمسا الفرار عبر ساحة كبيرة نتجت عن انهيار قاعة الاجتماعات العامة التى تقع شمال دار البلدية . وفى الطريق تبعنى صبى يبلغ نحو العاشرة من عمره وقد احترق وجهه وتعرى جسده تماما إلا من الدماء المتجمدة يصرخ فى : «النجدة ياسيدى .. النجدة ! » ولكنى كنت أعجز من أن أنجده ، وبينما كنت أتجول حول المكان اختفى عن ناظرى لعله مات هنا أو هناك ، وازدادت النار اشتعالا حتى باتت المدينة كلها كتلة من الحريق ، واحترقت مدرسة أوه تى ماتشى الابتدائية التى كانت على الجانب الآخر من دار البلدية ، ثم امتدت النار إلى بعض الشاحنات التى كانت واقفة أمام دار البلدية ، وانفجرت صهاريج البنزين التى كانت تحملها تلك الشاحنات ، ثم انفجرت اطاراتها مخلفة أصواتا فظيعة ، وحول الميدان تراكمت كتل الخشب والألواح التى كانت من قبل تشكل مبنى قاعة الاجتماعات العامة فوق بعضها البعض، ثم مالبثت أن اندلعت فيها النار، ولم أستطع المكوث هناك لأن الحرارة كانت فوق كل احتمال ، ثم إلى الجنوب من هذا الموقع بدأت النار تندلع فى مبنى البلدية من الداخل ، وارتفعت ألسنة اللهب من النوافذ بالطوابق الثلاثة ، وازدادت النار استعارا ، ثم سقط مطر أسود اللون ولكنه مالبث أن توقف ، وظننت أننى قد مت حرقا ، ولكن لحسن الحظ وجدت بركة ماء خلف موقع حديقة الاجتماعات العامة فقفزت اليها مع نحو خمسين أو ستين شخصا وكان عمق هذه البركة نحو نصف متر تبدو مثل حقل الأرز الممتلىء بالطين مياهها راكدة ويطفو على سطحها الحشائش المائية .

ثم هبت ريح شمالية فجأة فحولت ألسنة اللهب إلى زوبعة من النيران أخذت تصول هنا وهناك تحرق أوراق الأشجار عند حافة البركة ، وتلتهم الأشجار الصغيرة وتنتزع بعضها وتقذف به من السماء ثم تعود تلك الأشجار إلى السقوط فى البركة .

وكانت زوبعة النيران هذه تبلغ المتر اتساعا والستة أمتار ارتفاعا واتجهت

نحوى مزمجرة ولكنها كانت على بعد مترين منى فأغلقت عيناى فزعا . وشعرت بدنو أجلى ، فاستغرقت فى الصلاة مرات عديدة ، وسألتنى بعض السيدات اللاتى كن بجوارى « هل تعتقد أننا سننجو ؟ هل باستطاعتنا أن نظل أحياء ؟» ثم أخذن يتلون الصلوات ، وأحسست أن زوبعة اللهب تكاد تقتلع رأسى وتقذف به فى الهواء .

احترق جميع الناس فى البركة وتمزقت أشلاءهم ، وكانت زوبعة النار تهبط فوق البحيرة تلتهمهم فيعلوا صراخهم ، لقد كان جحيما فوق الأرض ولحسن الحظ خمدت زوبعة النيران بعد خمسة عشر أو عشرين دقيقة ولكن النار كانت تطوق الساحة وتلبدت السماء فوق المدينة بسحب داكنة من الدخان ، ولما لم تكن معى ساعة فقد عجزت عن تحديد الزمن ولعلى مكثت داخل البركة نحو ساعة ثم أخذت النيران تخبو فخرجت من البركة واستعدت رباطة جأشى .

لقد نجوت وجلست لأستريح قليلا ، وكانت هناك منطقة جافة تحت الجسر المقوس فوق البركة ، فاسترحت هناك قليلا وشعرت بالجوع ، وقدرت أن الساعة تبلغ نحو الثانية بعد الظهر ، وكانت النيران قد خمدت بعد أن قضت على كل المنطقة المحيطة بدار البلدية ، فأخذت أجوب الشارع المتجه إلى دار البلدية بحثا عن ماء وكان صنبور اطفاء الحرائق الذى يقع أمام المبنى محطماً وتندفع المياه منه فشربت منه بيدى ، وكانت هناك جثة شرطى فى ملابسه الرسمية بالقرب من صنبور إطفاء الحريق وقد احترق وجهه تماما ، فبحثت فى حقيبته عن طعام وعثرت على صندوق غذائه المصنوع من الألمنيوم ، ورغم أن الصندوق كان قد احترق إلا أننى وجدته ممتلئاً بالأرز وبقطع صغيرة من السمك ، وكان سطح الطعام جافاً ولكنى تناولته وأنا جالس على درج قاعة الاجتماعات العامة ، وبعد أن شبعت اتجهت إلى مدخل الموقع الذى كان فيه منزلى ، ولكن الدخان الأبيض كان يكسو المنطقة التى كانت لاتزال تحترق ، وبينما كنت أرقبها بلا حيلة اتجه إلى شخص من غير المصابين قائلا : « إنه

شىء فظيع أليس كذلك ؟ إننى أعمل فى يوجينا حيث ترسانة بناء السفن ، وأمى وزوجتى يعيشان فى هذا الموقع من أوه تى ماتشى ، وقد جئت إلى هنا سيراً على الأقدام لأبحث عنهما ، ولكن ما أراه أمامى يدعو إلى اليأس ، أعتقد أن هذا الدخان سام ، ولذلك سأعود إلى يوجينا ، ألا ترغب فى المجىء معى ، إن برأسك جرح بالغ فاذا ذهبت معى إلى مدرسة كوريو الإعدادية بيوجينا فإن وحدة الإسعاف التابعة للجيش هناك قد تضمد جرحك » . ولما كانت رأسى تؤلمنى فقد تبعته ، وما كدت أصل إلى المدرسة حتى عالجت وحدة الإسعاف العسكرية رأسى ، ومكثت ساعة فى حجرة الإستقبال ، ثم أخذت أفكر فيما أفعله بعد ذلك ؛ ولكنى وجدت نفسى مرة أخرى أمام مدخل أوه تى ماتشى حيث كنت أسكن . »

كانت النار لاتزال مشتعلة هنا وهناك ، وشعرت أن حذائى المصنوع من المطاط يكاد يشتعل ، ولكنى تحملت حرارته وتوغلت داخل أوه تى ماتشى متجهاً إلى الشمال .

رأيت هناك جثة محترقة تماما لشخص يجلس فى الشارع وكفاه ملتصقتان تحت ذقنه فى وضع الصلاة ، وفتاه محترقة تماما ترقد جثتها أمام مدخل الشارع ، كما رأيت رجلا وقد احترق تماما فوق كرسى الحلاق حتى أننى حين لمسته أخذ جسده يتفتت بين يدى ، واستطعت أن أتعرف على أصحاب الجثث الثلاث فقد كانوا جميعاً جيرانى ، ووصلت إلى موقع بيتى فوجدت إحدى العربات محترقة أمامه ، وقد سقط الحصان ميتا بعد أن احترقت بطنه وانفجرت أحشاؤه تاركة حفرة كبيرة بالمكان . ووجدت زوجتى ملقاه فى الطريق متقطعة الأنفاس ، وقالت لى بصعوبة بالغة أن مفصل فخذها قد كسر حين تهدم المنزل فوقها ، وأنها لم تستطع أن تمشى على قدميها فزحفت عبر حفرة مملوءة بالميـــاه بجوار بيتنا ومكثت هناك حتى احترق البيت تماما ، وكان عمق الحفرة نحو نصف متر وقد امتلأت بمياه الأمطار وترسب في قاعها بعض قطع من الزجاج المحطم والآنية

المكسورة ، ولما كان لهيب النيران قويا ، فقد تعمدت زوجتى أن تغطس فى قاع الحفرة فتمزق ظهرها ، وكانت رأسها محترقة ، وعاجزة تماما ، عن السير ، واستطاعت أن تترك الحفرة بعناء شديد قبل وصولى بقليل ، وكانت عارية من الثياب تماما .

أعطيتها سراويلى وشجعتها على ماكانت عليه من سوء الحال ، ثم حملتها فوق ظهرى وتلفت حولى على مدى البصر فلم أجد شيئاً سوى الدمار اللانهائى فى جميع أنحاء المنطقة ، وأيقنت أننى الشخص الوحيد الذى بقى على قيد الحياة ولازال يسير فى الطريق وجعلنى ذلك أحس بالإرتياح ، ولكننى كنت كمن يعيش فى جبانة ، لقد شملنى احساس شديد بالوحدة . وألقيت نظرة على مستودع المياه لأجد ست جثث محترقة تطفو على سطحه ، فاستجمعت قواى وواصلت السير حاملا زوجتى فوق ظهرى وهى تبدو كالميتة ، واتجهت بها نحو مبنى قاعة الاجتماعات العامة القديم واضطررت أن أستريح فى الطريق ثلاث مرات رغم أننى قطعت مسافة لاتزيد على ٣٠٠ متر وكانت زوجتى تطلب منى ماء طوال الوقت وعثرت على كوب مكسور فى الشارع فملأته ماء من طلمبة الحريق وسقيتها ، وأخيراً وصلت إلى درج قاعة الاجتماعات فمددت جسد زوجتى على الدرج ، وبينما كنا نستريح هناك أحضر أحد موظفى البلدية خبزا جافا داخل سطل وأعطانا حفنة منه فالتهمناها .

ورغم أن إصابة زوجتى كانت بالغة فقد تم إنقاذها ، وبدأت منذ الآن الاهتمام بموضوع ابنى شيرو غير أنى أرجأت مهمة البحث عنه إلى اليوم التالى فقد كان الظلام قد حل ، وبحثت عن مكان ننام فيه فوجدت مأوى بالقرب من دار البلدية كانت أرض المكان ترشح مياه غير أنها كانت مغطاة بطبقات من الألواح الخشبية ، فحملت زوجتى إليه لتنام ، ولحق بنا نحو ست أو سبع أشخاص ، ولما كان المأوى مليئاً بالبعوض فقد فضلت أن أقضى الليل على

السطح . وحول المأوى كان هناك أربعة أو خمسة من الضحايا يبحثون عبثا عن الماء ولفظوا أنفاسهم صباح اليوم التالى . وقبل طلوع الفجر بدا أن شركات البترول فى منطقة يوكوجاوا قد بدأت تحترق فكانت صفائح البترول تنفجر من حين لآخر وترتفع ألسنة اللهب إلى عنان السماء ، حضر بعض الجنود فى حوالى التاسعة من صباح اليوم التالى لنقل المصابين إلى المستشفى على الأبواب التى أخذت من بين الأنقاض ، فطلبت منهم أن يعتنوا بزوجتى التى نقلت على لوح من الخشب إلى مستشفى الصليب الأحمر القريب من المكان ، ورغم أن المستشفى نجا من الحريق إلا أن حوائطه كانت متهدمة ، وكان الطين يكسو أرضية الحجرات فبدت وكأنها قد أصابها زلزال ، وقد رقدت زوجتى هناك فوق حصير من القش وبطانية ولم يكن هناك طبيب إذ يبدو أن جميع الأطباء قد لقوا حتفهم .

وكان يفحص المرضى معاون صحى شاب فى العقد الثالث من عمره بمساعدة بعض الممرضات وقد شمل زوجتى برعايته فوضع المراهم على حروقها ، وأحسست ببعض الراحة فأخبرت زوجتى أننى ذاهب للبحث عن ابننا ، كنت متأكدا تماما أنه لابد أن يكون قد مات حرقا ، ولكن على أية حال فهو صبى فى السابعة من عمره لذلك واصلت البحث عن جثة أو هيكل عظمى يشبه ولدى ، وبجوار سور معبد كومبرا وجدت طفلان ميتان يبلغ كل منهما نحو السادسة أو السابعة من العمر وكانا قد احترقا فوق دراجتيهما ، ورغم أنه كان من الصعب التعرف عليهما ، فقد كانت ملامح أحدهما تشبه ابنى فأمسكت برأسه وتفحصتها جيداً ولكننى وجدت أنه من العبث أن أحمل عظام طفل قد لا يكون ابنى ، ولذلك تركت الجثة مكانها ، وعدت إلى المستشفى حيث أخبرت زوجتى بالحادث ، وبعد نصف ساعة عاودنى التفكير فى البحث عن عظام ابنى فاستأنفت البحث من جديد .

وعندما اقتربت من منزلى إلتقيت بتلميذ فى المدرسة الاعدادية من أبناء

جيراننا ذكر لى أن ولدى شيرو قد نجا ، ولم أستطع تصديقه غير أنه ذكر لى أن شيرو كان فى بيت محترق بالقرب من شن باشى ، فذهبت إلى هناك لأجد ابنى جالساً وقد تعرى جسده تماماً يتطلع حوله وكانت هناك سيدة ترعاه ذكرت لى أن أحد الرجال أحضر ولدى إلى نهر موتويسو قبل أن تنتشر النيران فى كل مكان ، وأنه بقى معهم فى النهر ، ولذلك نجا ، ولم تكن حروقه بالغة ، وفحصته فوجدت أن يده اليسرى قد احترقت من الكوع حتى أطراف الأصابع وكذلك الجانب الأيسر من رأسه حتى أنفـــه ولكنى أيقنت أنه سيشفى قريباً ، فشكرت السيدة وحملت ولدى على ظهرى إلى المستشفى وكان ذلك حوالى السادسة من مساء يوم ٧ أغسطس .

كانت حال زوجتى سيئة للغاية فلم تكن تستطيع أن تزدرد أى شىء حتى حساء الأرز كان من الصعب عليها ابتلاعه ، فأيقنت أن حالتها تبعث على اليأس وشعرت بالجوع لأننى لم أذق طعاماً سوى طبق من الأرز قدمته لى المستشفى فى ذلك اليوم ، فذهبت إلى مكان عملى وطلبت من وكيل الادارة بعض الطعام فأعطانى قدحا من الأرز والميسو وعدت أدراجى إلى مستشفى الصليب الأحمر حيث أشعلت نارا وطهوت الأرز . وفى اليوم التالى نقلت زوجتى وابنى إلى مأوى بجوار المستشفى ولم تقدم المستشفى لابنى سوى المرهم علاجا لجروحه ، وأصابته الحمى صباح التاسع من أغسطس فطلبت من الممرضة أن تعطيه دواء مضاداً للحمى ، ولكنها قالت لى أن الدواء قد نفذ ، فلم يكن باستطاعتى أن أصنع شيئاً سوى النظر اليه . وكان معنا فى نفس المأوى عشرون من الجنود الجرحى الذين كانوا يعالجون بمستشفى الصليب الأحمر ، وحوالى الرابعة بعد الظهر تقيأ شيرو شيئاً جافا بنيا داكن اللون بضع مرات ثم أسلم الروح خلال دقيقتين .

وبعد وفاة ابنى بساعة واحدة أيقنت أنه ليس من الصواب الاحتفاظ

بجثته فى المأوى وسط رفاقنا الجرحى ، وكانت هناك عند باب المستشفى فرقة من الجنود تتولى حرق الجثث ، فلففت جسد ابنى فى ثوب (كيمونو) ملوث بالدماء كان بعض الناس قد ألقى به بالقرب من باب المستشفى ، وطلبت من الضابط الذى كان يشرف على حرق الجثث أن يحرق جثة ابنى . سجل الضابط اسم ولدى وعمره ومحل إقامتنا ثم أصدر أوامره إلى الجنود بحرق الجثة فقام جندى بصب بعض البترول على بطن ولدى ثم قذف جنديان بالجثة إلى النار ياله من أمر يمزق نياط القلوب !

وفى اليوم التالى جمعت بعض الرماد من المكان الذى حرق فيه جثمان ولدى وعدت إلى المستشفى ، فأمنت مكانا لزوجتى فى أحد أركان غرفة كبيرة، وكانت ممرات المستشفى مملوءة بأشخاص يعانون من حروق بالغة كانوا يتصايحون فى المساء « نريد ماء . . نريد ماء » فلم أذق للنوم طعما بسبب صياحهم وملأ الضحايا الأرض المحيطة بالمستشفى وكانوا يلفظون الأنفاس جماعات جماعات كل يوم .

وفى صباح ١٤ أغسطس ذهبت إلى منزلنا المحترق لأبحث عما تبقى فيه من مواد تموينية كنا نحتفظ بها فى إحدى الغرف التى خصصناها لذلك ، وفكرت فى أن أحفر الحطام المحترق بحثاً عن هذا المكان ، ولكنى وجدت جميع المواد التموينية التى اختزناها قد احترقت لأن المكان الذى خصصناه لها كانت به فتحة ساعدت على امتداد النار إليه فعدت إلى المستشفى بخفى حنين لأجد زوجتى قد لفظت آخر أنفاسها .

(٣)

توشى فوجينو

زوجة كان عمرها عندئذ ٤١ عاماً

أصيبت على بعد ١٫٣ كيلو متر من مركز التفجير

* * *

إرتفعت الأعلام الوطنية الجديدة على أبواب المنازل بمناسبة عيد البالغين فى ١٥ يناير هذا العام (١٩٥٤)، وذهب الشباب من جيراننا لحضور الاحتفال الذى يقام بهذه المناسبة كل عام مؤذنا ببلوغهم مرحلة جديدة من العمر، فأخذت أقدر عمر ولدى المفقود منذ حدثت مأساة هيروشيما. فاذا كان فقيدى لايزال حياً لأصبح الآن طالباً بالجامعة، ترى هل كان يدخن التبغ؟ لعله كان قد وقع فى حب فتاة جميلة! ومع مثل هذه الأفكار قضيت معظم النهار مع الذكريات. وحين أعود إلى رشدى أعتقد أننى ربما أصبت بازدواج فى الشخصية وإلا لما حدث لى ذلك، فقد كان على أن أقتنع بالواقع وأتعايش معه عندئذ تختفى هذه الأفكار، وقبل أن أنهض من فراشى كل صباح أفكر فى ولدى قليلا وأغسل وجهى بالدموع، وأحيانا أنسى أن أغسل وجهى كبقية الناس، وكثيرا ما سألت نفسى ألست أشعر بالسعادة عندما أعيش مع الذكريات.

لقد كان ولدى هيروهيسا منذ نعومة أظفاره يختلف عن الأطفال الآخرين كان ممتعاً حقاً، وعندما بلغت قامته إرتفاع المنضدة، كان باستطاعته أن يدرك

أن الملعقة التى توضع فى كوب المـاء تبدو مكسورة ، ويتعجب لتلك الظاهرة ، وكان يثير ضحكنا عندما يقول إن الدجاجة تحملق فى وجهه رغم أنه لم يصنع لها شيئا .

كان عمره يقرب من عمر أختيه ولذلك كانوا يتعاركون مع بعضهم البعض ، وحينما كانت أخته الـكبرى تعلمه الرياضيات واللغة الانجليزية كان يمتثل لها ويطيعها ، ولـكن عراكا حدث ذات مرة عندما أثار هيروهيسا ملاحظة ذكية فقد طلبت منه أخته الـكبرى أن يعيد إليها كل ما علمته له فى اليوم السابق وثار بينهما شجار حول هذا الموضوع ، ولـكن حتى تلك الحوادث أصبحت مجرد ذكريات يعاودنا إليها الحنين .

وصادف اليوم يوم أحـد تماماً كاليوم السـابق على يوم الحادث المشئوم كان ثلاثتهم يقضون العطلة معاً ، وبالقرب من منزلنا كان هناك نهر يدعى كيوباشى جايا صافى المـاء واسع المجرى سبح فيه ثلاثتهم وقضوا وقتاً طيباً . ولما كنا قد عشنا خمس سنوات فى أوكاياما حيث يقع شاطىء فيزو نوكى الوعر تدرب أولادنا على السـباحة بمهارة ، ولذلك كانوا يختلفون إلى النهر يستمتعون بقضاء يوم عطلتهم فى السـباحة . وفى ذلك اليوم ، اليوم السـابق على الحادث المشئوم عادوا من النهر جميعاً وذهبت البنتان إلى الحمام العام وتركتا هيروهيسـا معى بالمنزل .

وبينما كنت أقلى بعض الحبوب تحدث معى هيروهيـسا فى أشياء شتى ، وفجأة وجدته يقول : « أماه إننى أحس أننا جميعاً سوف نموت » . فقلت له : « ربمـا كنت على حق فأنت تعلم أن فى مثل هذه الظروف التى نعيشها لا نعرف على وجه التحديد متى سنرحل عن هذا العالم ، ترى هل نعرف حقاً ؟ فانـكن إذن أقوياء » . فقال : « مادمنا نزداد شعوراً بالجوع يوماً بعد يوم ، ونعانى من متاعب العمـل ، فإن من الخير لنـا أن نموت بسرعة ألیس كذلك ؟ » .

فأجبته قائلة : « يجب ألا تقول مثل هذه الأشياء السمجة نحن لا نتصور إلى أى مـدى يعانى الجنود الذين لا يجدون ما يأكلونه سوى جـذور الأشجار وجذور الحشائش ليتابعوا القتال وأنه لمن العار علينا ألا نتحمل بعض الجوع بينما نتمتع بالحياة داخل منازلنا ، ونعيش أحراراً . صحيح أن الناس ما داموا قد ولدوا فإنهم لابد سيموتون ولـكن لماذا يحدث ذلك؟ لأن لنا حياة محدودة فأمك مثلا تريد أن تعمل عملا نافعاً من أجل الناس الذين يعيشون فى هذا العالم قبل أن تموت » . عندئذ قال هيروهيسا : « هذا صحيح . . هذا صحيح ». ووافقنى من أعماق قلبه على ما قلت .

وبعد قليل عادت إبنتاى وكذلك عاد زوجى وجلسنا حول المائدة نتناول طعامنا البسيط على الضوء الخافت الذى تفرضه علينا التعليمات الخاصة بالإظلام وبينما كنت أتحرك هنا وهناك أرفع الأطباق من على المائدة سمعته ينادينى من الطابق العلوى « أماه ، تعال هنا لحظـة » فقلت وأنا فى طريقى إلى الطابق العلوى : « كم تعلم هيروهيسا لهجة هيروشيما بسرعة ». وعندما سألته عن مكانه قال : « هنا على السطح ، احترسى حتى لا تنزلق قدمك وتقعين » ، وعبرت سقف المطبخ زحفاً على أربع فقال لى : « لقد أحضرت لك وسادة يا أماه لتجلسين عليها » فأجبته شاكرة وقلت له : « شكرا ، شكرا لك أن السماء تبدو وكأنها صندوق يحوى لآلىء تقدر بثمن باهظ يالها من سماء متألقة بالنجوم أنها تبدو جميلة وكأن البلاد لا تعانى حرباً ضروسا فقال : « لهذا دعوتك ياأماه ». وسألته : « ياهيرو أتعرف أين يقع النجم القطبى ؟ » فأجابنى « أجل أعرف ، وأشار بأصبعه إلى موقع النجم فنظرت تجاه الموضع فاذا بطائرتين تنبعث منهما إشارات ضوئية حمراء تطيران على إرتفاع شاهق متجهتين صوب الجنوب ربما كان هدفهما أوكيناوا .

شعرت عندئذ أن وجه ولدى الأكبر يواتشيرو الذى كان على وشك التخرج من كلية ضباط الطيران يطل علينا من بين النجوم ، عندئذ اعتقدت أن

ولدى سيموت وشيكا فامتلأت نفسى بالحزن ، ويبد أن هيروهيسا كان يشاركنى نفس الشعور فقد تنهد فجأة وقال : « أماه ، ان أخى الأكبر سيموت بعد حين أليس كذلك ؟ اننى أشعر بالحزن » ثم أخذ يبكى . وبعد قليل قال : « أماه يجب أن أصبح طبيبا حتى إذا عاد أخى إلينـــا مصاباً عاجزا استطعت علاجه حتى يشفى لأننا يجب أن نجعله يحس بالسعادة بقية حياته أليس كذلك؟» يا له من طفل رقيق القلب ، وشعرت بارتياح لذلك فقلت له : « نعم بكل تأكيد أن أخاك محظوظ حقاً أن يكون له أخ رقيق القلب مثلك » . واستطرد هيروهيسا : « اننى أعجب لمـاذا تشتعل نيران الحرب ، كم أتمنى أن تتوقف تلك الحرب ، ألا يمكن أن تحصل اليابان على السلع التى تحتاجها من أمريكا ، وتحصل الفاليبين على ما تحتاجه من اليابان ، ويعيش العالم فى وئام . عندئذ يتحول العالم الى أمة واحدة ونصبح نحن سكان قسم أوينياجى بقرية هيروشيما محافظة اليابان بدولة آسيا المنضوية تحت لواء العالم » . ولم تتوقف ثرثرته فقلت له: «ياهيرو يجب أن تكون يقظا عندما تكتب موضوعات الإنشاء فى المدرسة فاذا كتبت مثل هذه الأشياء سيحضر البوليس الحربى لإلقاء القبض عليك ألا تفهم ذلك » .

وكانت مدينة كورى تقصف كل ليلة قبل ذلك بأيام ، ويتناهى إلينا على البعد صوت القنابل ، وكانت السماء فوق هذه المدينة مليئة بألسنة اللهب التى أحالت الليل إلى نهار . وكان من الغريب حقيقة أن تظل هيروشيما بمنأى عن القصف ثم ذهبنا لننام ونحن ندعو من أجـــل ليلة سالمة ، فقد وضعنا حاجياتنا بجوار الوسائد وصففنا أحذيتنا فوق أوراق الصحف ولكن طوال الليل كانت صفارات الانذار تنطلق حتى كدنا لا نستطيع النوم .

وطلع فجر ٦ أغسطس ليلبىء بيوم صـــافى معتدل الجو ، فناديت أطفالى قائلة : «انتبهوا جميعا فصفارات الانذار لازلت واضحة عليكم بالنهوض

والخروج من المنزل » . فناداني هيروهيسا : « أماه تعالى لحظة » فتركت طعام افطارى وذهبت إليه فقال : « انظرى يا أماه أننى أصبحت الآن أجيد لف القماط حول ساقى » ، وكان يقول ذلك بينما يضع قدمه على عتبة الباب ويلف القماط على ساقه أمامى فشجعته قائلة : « انك بارع لاشك ولكنك تبدو كما لو كنت تلف قطعة قماش حول دبوس رفيع » . فأجاب : « اننا لا نحصل على قدر كاف من الطعام كما تعرفين » ، ومضى إلى حال سبيله . كان يبدو وسيما فى ملابس الميدان بغطاء الرأس وقماط الأرجل فقلت لزوجى « أنه يبدو ببشرته البيضاء كأمير صغير » .

كانت ابنتى الكبرى كى كو طالبة بالصف الرابع بالمدرسة الثانوية للبنات وتعمل بأحد المصانع ضمن برنامج التعبئة العامة ، ولما كانت قد سبحت كثيراً فى اليوم السابق فانها كانت تعانى من ارتفاع فى درجة الحرارة . لذلك قررت أن أبقيها فى المنزل ذلك اليوم . أما ابنتى الثانية سوزوكو فقد خرجت مع ولدى. وكان زوجى يعمل موظفا فى إدارة التموين بمصلحة المواصلات ،ولكن أسند إليه عمل الموظف الفنى بالاضافة إلى عمله الأصلى ، ولما كان مشغولا دائما فقد غادر البيت بعد الساعة السابعة بقليل ، وما أن ودعتهم جميعا حتى طلبت من ابنتى كى كو أن تدبر أمور المنزل حتى أذهب إلى محطة هيروشيما لأرسل بعض الأشياء إلى أمى التى كانت قد هاجرت إلى كيوشو . وما كدت أضع حقيبتى تحت ابطى وأهم بالخروج حتى وقع نظرى على جريدة الصباح داخل صندوق الخطابات فقلت لنفسى لقد خرج زوجى دون أن يلق نظرة على الجريدة ثم مضيت فى طريقى عبر الحديقة . كانت شمس أغسطس حارة ونظرت إلى السماء فإذا بطائرة من طراز ب — ٢٩ وكان ثمة بريق لم أستطع معه أن أرى الطائرة بوضوح،قلت لنفسى : «حسنا لا شىء يهم مادامت الغارة الجوية قد انتهت». وما كدت أمضى حتى حدث برق شديد واصفر الجو فجأة وارتعشت كتفى اليمنى كما لو كان قد أصابها ماس كهربائى ، ولم أدر ماذا أفعل عندما سمعت

صوتاً يشبه الرعد يتردد بشكل مفزع وكأن السماء قد انطبقت على الأرض ثم فقدت الوعى فلم أعد أدرك ما يدور من حولى .

وحينما أفقت على ألم حاد فى أننى وجدت نفسى مدفونة بين تراب الحوائط المهدمة ، لا أكاد أستطيع أن أحتفظ بعينى مفتوحة بسبب التراب ، وزحفت نحو النور ، لقد نجوت . . ونظرت حولى لأرى منزلى وقد لحق التدمير نحو نصفه فتقوض الطابق الثانى وتحطمت أعمدته فتذكرت ابنتى واستجمعت كل قواى منادية عليها فسمعتها تجيب بصوت خافت ، فصفقت من الفرح أنها لازالت تعيش ، وجاءت ابنتى على صوت التصفيق ، وكانت تبدو كامرأة عجوز اشتعل رأسها شيبا ، وصحنا ونحن نحتضن بعضنا البعض أننا محظوظتان لقد نجونا . ورأيت الدم ينزف من ركبة كى كو وظلت تتقيأ ماء أصفر ، وتبينت أن قدمى قد أصيبت إصابة بالغة ، وأحسست بالألم الشديد فقلت لابنتى : « هيا بنا نذهب إلى مركز الاسعاف لنعالج جروحنا» . وعاونت ابنتى التى خارت قواها على السير حتى بلغنا الربوة التى تقع فى حديقتنا ولكننا لم نتمكن من أن ندرك مركز الاسعاف ، فعلى مدى البصر كانت مبانى مدينة هيروشيما جميعا قد تهدمت وأصبحت حطاما وارتفع التراب الأحمر أربعة أقدام فوق سطح الأرض ، ياله من حادث فظيع ! ترى ماذا حدث لزوجى وابنتى سوزوكو وولدى هيروهيسا ؟ كيف استطاعوا الهروب من هذا الجحيم ؟ وأحسست بقلبى يسقط بين ضلوعى .

ولأول مرة فى حياتى صليت باخلاص من أجل بوذا ، ونادانى جارى قائلا : « هل أنت بخير ياسيدتى ؟» فأجبته : «أجل نحن بخير جميعا وأنتم أيضا» فقال اننى سأبعد عن هذا المكان ، وأنصحك البعد عنه بسرعة فإن النيران بدأت تشتعل فى المنطقة حولنا وإذا لم تسرعى فى الهرب ستموتين حرقاً . وما كاد ينتهى من كلامه حتى أخذ يعدو هاربا ، وأخذت بيد ابنتى ، وهممت بالهرب ولكننى تذكرت أنه ليس من الحكمة أن أترك بيتى المتهدم يحترق ، فعدت

أدراجي ووضعت كميات من الماء حوله من مستودع مياه الأمطار ثم هرعت إلى ملجأ الوقاية من الغارات الجوية ، وأحضرت بطانية بللتها بماء المستودع ولففتها حولنا ، وعاونت ابنتي على الزحف فوق أنقاض المنازل المتهدمة حتى وصلنا أخيراً إلى جسر ساكاى ، ولاحظت أن النيران قد اشتعلت حول المحطة وأن ألسنة اللهب تعلوا إلى عنان السماء ، فأيقنت أنه من الأسلم أن نتخذ من مجرى النهر ملجأ حتى نتحاشى النيران فأخذت ابنتي ونزلنا إلى مجرى النهر .

كان هناك عدد من الناس فى مجرى النهر يبلغ نحو المائة ، ولمحت بينهم خادمة تعمل عند بعض جيراننا وقد تغير وجهها تماما ، وكان بين الناس من سلخت جلودهم من أكتافهم حتى ظهورهم ، فعجبت لهذا وتساءلت ترى ماذا حدث لهم ؟ وازداد لهيب النيران ، وأخذت تهب رياح حارة ثقيلة كريهة الرائحة على مجرى النهر ثم تحولت إلى زوبعة بلغت من القوة حدا جعلها تقذف بالرمال وبمياه النهر إلى ارتفاع مئات الأقدام فى السماء ثم تعود المياه والرمال إلى السقوط مرة أخرى لتعيد الكرة من جديد . فغطينا أنفسنا بالبطانية توعدونا لنتفادى الزوبعة ، وبمرور الوقت غطت ألسنة اللهب السماء ، وبدأت المنازل التى تقع على جانبي النهر فى السقوط فى مجراه بعدما اشتعلت فيها النيران ، وارتفع الماء حتى بلغ خصرنا وقلت وقد ملأنى الفزع : « لقد نجونا حتى الآن فكيف نستطيع الهرب من هذا الجحيم ترى ماذا حدث لزوجى وأطفالى ؟ إذا متنا جميعا فإن ولدى الأكبر يواتشيرو المسكين سيصبح يتيما » . وحين دارت تلك الأفكار فى رأسى انهالت الدموع من عينى دون توقف ، فقالت ابنتى : « أماه ، اننى محظوظة حقا اننى لا أشعر بالخوف لأنك معى » . وعندئذ صاح أحد الأشخاص : « أيها الناس الكثير من الأخشاب يطفو هنا » فنظرت فإذا بالألواح والأعمدة الخشبية تتجه على صفحة الماء نحونا فتعلقت باحداها قائلة إذا ازدادت الأحوال سوءا فاننا سنهبط إلى قاع النهر مع هذه الكتلة الخشبية ، ثم سمعنا صوتا يقول : « ها هم الجنود قد جاءوا ، لقد جاءوا بالقوارب » . فنظرت إلى بعيد فإذا بالجنود يتحركون بالقوارب نحونا وتوقف القارب

الأول أمام ابنتى فشعرنا بالفرح ، وقال الجنود : « اصعدوا كل أربعة أشخاص فى قارب واحد ، لاتنزعجوا » . ثم حملنا الزورق إلى الشاطىء الآخر حيث كانت النيران قد خمدت ، ولهجت ألسنتنا بعبارات الشكر ، وفكرت فى أن أعطى الجنود شيئا ، ولكنهم لم يمنحونا الفرصة ، فقد تركونا على الشاطىء وعادوا أدراجهم بالقارب ليتابعوا آداء واجبهم .

أخذت أرقب القوارب وقلبى يصلى من أجل نجاة هؤلاء التعساء ، وقد وضعت فى قدماى قبقاب خشبى لطفل وجدته فى النهر ، لذلك كنت أسير على أطراف أصابعى حتى بلغنا ساحة العرض العسكرى ، وشاهدنا فى الطريق الكثير من الجنود وقد سقطوا على الأرض ، كما رأينا ضابطا وقد تشبثت يده بسيفه بينما كان لا يكاد يلتقط أنفاسه يرسم بسمة على شفتيه ولكنها لا تعكس حقيقة شعوره ، وبدت الخيول شديدة الاحمرار بسبب ما نالها من حروق ، وكانت عيونها تنزف دماء ، بينما كان العـــديد من البشر يتلوون من آلام الحروق .

وقبعنا فى مكان آمن حيث افترشنا جميعا الأرض واستمرت ابنتى تتقيأ السائل الأصفر بلا توقف ، ولكنى كنت فى حالة لا بأس بها ، هادئة تماما . وكان الناس من حولى جميعا ينادوننى : « ياسيدتى اعطنا ماء » . ياسيدتى نريد أن نشرب ! » وعثرت على اناء صغيرة أخذت أملأه . وأسقى به الناس مرات ومرات . إن ما حدث لنا لابد أن يكون جحيما نزل إلى الأرض ، وعندما تذكرت زوجى وأولادى أصبحت لا أكاد أستطيع التنفس . وكانت هيروشيما تبدو من فوق التل فى المساء مثل عمود اللهب الذى يرتفع صوب القمر وأمضينا ليلتنا فوق الحشائش وما كاد يطلع الصباح حتى سكتت أصوات أولئك الذين كانوا يئنون حولنا فقد أسلموا الروح جميعا . وبدأت أشعر بالقلق على بيتنا عندما تذكرت أن زوجى وأولادى ربما عادوا إلى المنزل بعد رحيلنا وقد يسلموا الروح هناك ، ولذلك لم أستطع أن أمكث طويلا فوق

التل فتركت ابنتى هناك وهبطت بمفردى صوب المدينة كانت البيوت التى انهارت قد احترقت تماماً وامتلأت الشوارع بأسلاك الكهرباء والتليفونات ، وكان ثمة دخان أبيض يتصاعد من الحطام ، والناس مبعثرون هنا وهناك .

أخذت أجر قدمى الجريحة التى لففتها بقطعة حصير وجدتها فوق التل وحين وصلت إلى منزلى كان قد احترق تماماً فيما عدا الأساس الخرسانى وغرفة الحمام وكانت الحصر (التاتامى) المثبتة بالأرض لاتزال مشتعلة ، فوجدتنى أدخل ملجأ الوقاية من الغارات الجوية المجاور لمنزلى والغريب أن النيران لم تصل إليه ، وكان يبدو بارداً من الداخل، فافترشت حصيراً داخل الملجأ ، وكأن كل ماحدث بالأمس مجرد حلم مفزع . وخارت قواى تماماً لأننى لم أكن قد ذقت الطعام منذ تناولت إفطارى فى اليوم السابق .

اتجهت إلى الحديقة وقطفت ثمرة قثاء فوجدتها شديدة الاصفرار من الداخل يتصاعد منها البخار فأكلتها ووجدتها لذيذة الطعم مثل القسطل المشوى ، وكان هناك نحو ست أو سبع أشخاص راقدين بالحديقة دون أن يستطيعوا الحركة ، فحملتهم إلى الملجأ والدموع تغسل وجهى ، ترى كيف نعيش هنا الآن ؟ وكيف ستتلقى أمى المسكينة نبأ هذا الحادث المفجع عندما تسمع به ؟ وبدلا من أن أزورها بملابسى الحريرية المطرزة كيف أذهب إليها بأسمال بالية ؟ لا ، إننى لن أجعل مثل هذا الإحساس التعس يجد طريقه إلى والدتى . وبينما كانت هذه الأفكار تدور فى رأسى سمعت وقع أقدام متجهة نحوى تتوقف أمام الملجأ ، فنهضت لأرى من القادم ، فإذا به زوجى ينظر داخل الملجأ : آه ، أنك لاتزالين على قيد الحياة ، ماذا جرى لكيكو ؟ » وبدت رنة الصدمة فى صوت زوجى وهو يخاطبنى ، ولم أحر جواباً للحظات ، ثم قلت له : « أنها على قيد الحياة ، تركتها فوق التل ، ماأسعدنى أن أراك حياً ، ثلاثتنا لازلنا أحياء ،شكراً للسماء!» وجلسنا معاً فأعطانى حفنـــة من البقسماط كانت فى جيبه واستطرد قائلا :

لقد كنت أصب الماء على جسدى طوال ليلة أمس من مستودعات المياه الخاصة بالأمطار واتجهت إلى هنا ، ولكنى وجدت البيت يحترق فظننت أنكما قضيتما نحبكما ، وصليت من أجلكما ، وغادرت المكان » ثم انفجر باكياً . كانت قدمى قد تورمت بسبب الماء الذى تشبع به الجرح فقلت لزوجى أريد ماء ساخناً فبحث بين حطام المنزل حتى وجد إناء ، ثم أشعل ناراً وأعد لى الماء الساخن وتناهى الى أسماعنا من بعيد صوت ينادى : «يا أبتاه ! يا أبتاه ! » فصاح زوجى : « إنها سوزوكو ! » فملأتنى السعادة حتى أننى لم أعد أستطيع السيطرة على نفسى وهرعت خارج الملجأ حيث كانت سوزوكو تبكى وقد فتحت ذراعاها وجرت نحوى ، شكراً للسماء ! لم يحدث أى سوء ببشرتها ، فشعرت بالارتياح وجلست منهكة ، فقال زوجى : « مادمنا نحن الأربعة أحياء فكل شىء يهون إن ولدنا سريع الجرى ، ولعله التجأ إلى مكان بعيد ومن المؤكد أنه غدا صحيحاً معافى » . وعندئذ استجمعت قواى وذهبت إلى التل وأحضرت إبنتى ، وقضينا تلك الليلة جميعاً معاً داخـــل الملجأ ، وحين حل يوم الثامن من أغسطس كان الصباح مشمساً ، وذهب زوجى ليبحث عن هيروهيسا ، وبدأ جيراننا يعودون الواحد تلو الآخر ، وكان الناس يقابلون بعضهم بعضاً بالدموع مهنئين أنفسهم بالنجاة . كان المشهد يبدو مثل الروايات وهم يتبادلون الأخبار : «فلان وفلان لم يعودا ، وفلان وفلان هــربا ، فلان وفلان ماتا ، وفلان وفلان قضيا نحبهما خلال الحريق» . وبدأوا رفع الرماد من موضع الحريق فعثروا على أربع جثث لبعض الجيران الذين بقوا داخل المنازل ، أما أنا فقد تملكنى الذهول .

وعاد زوجى بعد وقت طويل ليقول يبدو أنه لا أمل ، لعل هيروهيسا كان عند مركز الانفجار ، وظلت نظرات ولدى البريئة تلوح فى مخيلتى وأحسست أنه فى مكان ما يبحث عنى ، إنه لابد أن يكون حيا ، فتوكأت على عصا حتى أستطيع السير بقدمى الجريحة التى أخذت تؤلمنى متجهة إلى موقع المدرسة الإعدادية .

كم كانت المنطقة التى تقع بين كامى ياتشو ومعبد شيرا كانى تبدو مقفرة !

موحشة! حتى رائحة الفل أصبحت كريهة، واتجهت نحو موقع المدرسة الإعدادية وقد تملكنى الخوف، وسألت كل من رأيتهم عن تلاميذ الصف الأول ، ولكن أحداً لم يكن يعرف عنهم شيئاً . وكنت على يقين أننى سأجد من يهدينى إليهم، ولكن منظر الجثث التى تملأ المكان جعلنى أشعر بالانقباض ، غير أنها كانت لصبية أكبر سناً من ولدى أو لأطفال صغار . وقلت لنفسى إن هيروهيسا وزملاءه يتمتعون بصحة جيدة ، ولعلهم فروا من المكان قبل وقوع الكارثة. واتجهت صوب البركة التى تجاور موقع المدرسة ، فشاهدت جثة صبى تفترش الأرض ، وتفحصت وجهها فوجدت اسم الصبى مطرزاً فوق قميصه ، إنه جوهارا زميل ولدى الذى كان معه فى مدرسة وا كاياما ، يا لتعاسة والديه ! لعلهم يبحثون عنه مثلما أبحث عن ولدى . وتركت المكان وقد انفجرت باكية وتذكرت أن هيروهيسا قال لى يوماً : « عندما وقعت غارة جوية ، عدونا نحو جبل هيجى حيث كنا نتدرب على الجرى هناك فى اليوم السابق على الغارة تدريباً عنيفاً » .

حينما تذكرت قوله هذا ذهبت نحو الجسر ، ولكن قدماى لم تساعدنى على السير ، فجلست القرفصاء وقد تبعثرت حولى الجثث هنا وهناك ، ولكن عددها كان قليلا ، وظننت أنه لا بد أن يكون قد عبر الجسر فى الطريق إلى الجبل ، فنهضت متحاملة على نفسى لأتابع السير إلى هناك حيث وجدت امرأة فى منتصف العقد الرابع من عمرها واقفة فى المكان ، وحين سألتها عما تبحثين قالت : «لقد رأيت الناس يجرون فى هذا الاتجاه يوم السادس من أغسطس ، وكان منظراً فظيعاً ! » فذكرت لها أن ولدى طالب بالمدرسة الإعدادية وأنه لم يعد حتى الآن ، ولذلك أبحث عنه ، فنصحتنى بأن أكف عن البحث ، فقد رأت المئات والآلاف من تلاميذ وتلميذات المدرسة الإعدادية وقد تمزقت قمصانهم كما تمزقت سراويل الأولاد فأصبحوا شبه عراة ، وسلخت جلودهم وتشابكت فى بعضها البعض وتورمت وجوههم ، وأخذوا يقفزون فى النهر فتساقطوا فوق بعضهم البعض ، وكان من بين الأطفال من ينادى : « يحيا الامبراطور ! » ثم يسقط صريعا ، بينما آخر يترنم بنشيد عسكرى ، وطفل ثالث يضحك

ضحكات هستيرية ، وآخر يصيح بكلام يشبه ما يقال عند القيام بالتمرينات الرياضية ، بينما يصيح البعض : « أماه . . يا أماه ! » واستطردت قائلة : « إن هذا المنظر لازال فى مخيلتى حتى أننى أصبحت عاجزة عن تناول أى طعام » . وعند هذا الحد من الحديث أصابنى الجنون ، وقلت لنفسى لابد أن يكون ذلك الطفل الذى كان ينادى أمه هو ولدى . وعدت أدراجى وأنا أبكى ، وفى الطريق كان هناك أناس اصطفوا من أجل الحصول على كمية من الأرز فوقفت فى الصف ، ولم يكن معى شيئا أضع فيه الأرز فاستخدمت خوذة الوقاية من الغارات الجوية كوعاء حصلت فيه على قدر من الأرز ثم عدت إلى الملجأ ، فأكلنا جميعا ولكننا لم نتناول ملحا منذ السادس من أغسطس وكان من حسن الحظ أن قدم لنا جيراننا بعض المخللات .

وفى اليوم التالى جاء أحد أقاربنا من أوكاياما لاستطلاع جلية الأمر ، وكانت سعادته بالغة حين وجدنا أحياء فأخذ البنتان معه وعاد . وبعد رحيل البنتين ازددت وزوجى حزناً ، وعند المساء أخذت أتناقش مع زوجى بحدة فقد كان من رأيى أن يهاجر هيروهيسا إلى الريف حتى تنتهى الحرب ، ولكن زوجى رفض الفكرة وقال إنه ليس من المستحسن أن يبقى الطفل على قيد الحياة إذا قدر لأبويه وأخوته أن يموتوا. تذكرت هذا فأخذت أقول لزوجى ونحن فى الملجأ : « أنت السبب لكل ما حدث لولدى ، لقد قتلته ، أنت الذى قتلته » . فرد على زوجى قائلا : « إنه القدر » . فأجبت بغضب : « لقد صنعت أنت هذا القدر ، وصنعته بنفسك ، هيأت له هذا القدر ! » كنت فاقدة العقل تقريباً ، ولكنه ظل يحاورنى قائلا : « لقد مات أحد الأمراء ، كما مات مديرنا فى المصلحة التى أعمل بها أيضاً ، حتى مدير المواصلات الشاب قضى نحبه ، وولدنا لايقاس بهؤلاء ، إن فقده ليس خسارة كبيرة». فازداد جنونى وقلت: «لايهمنى كم من المديرين قد مات ، كل مايهمنى أن يظل ولدى حياً» ، وانفجرت فى البكاء .

وأثناء الليل شعرت بقشعريرة فتحسست وجهى فإذا بضفدعة فوق جبهتى،

فقذفت بها بعيداً ، وقلت لنفسى إنها مجرد ضفدعة ولازالت تعيش ، وأصغيت السمع فإذا بصوت بكاء شديد ، ونظرت حولى فلم أجد زوجى داخل الملجأ ، فاتجهت إلى الخارج بهدوء لأجد زوجى قد ركع على ركبتيه أمام جانب من حطام البيت كان يوماً ما غرفة أطفالنا يتمتم ببعض الكلمات ويبكى بحرارة ، يبدو أنه كان يسأل روح ولدنا الغفران . وشعرت بالندم من أعماق قلبى لأن كلماتى الطائشة هى التى سببت له كل هذا العناء ، ولكننى فضلت أن أتركه يبكى حتى يشعر ببعض الراحة من الحزن العميق الذى يعانيه ، وعدت أدراجى إلى الملجأ فانخرطت فى البكاء ، وتبينت أن الحزن لم يكن نصيبنا وحدنا ، فهناك عشرات الألوف من الناس لم يعثروا على آبائهم ولا أطفالهم ، ومثلهم أيضاً من فقدوا أخوتهم وأخواتهم ، وقد اتجهت عيونهم جميعاً إلى السماء بقلوب مفعمة بالحزن . وكان أنين الناس الذين لا يربطهم بالحياة سوى خيط رفيع يملأ المكان، فتذكرت كلمات ولدى هيروهيسا التى كان يتمنى بها انتهاء الحرب بل واختفاء الحروب من الأرض ، إن مثل هذه الكلمات لم تكن كلمات طفل فى الرابعة عشر من عمره ، إنها كلمات الله ، تلك كانت قناعتى .

ومنذ ذلك الحين وأنا لا أكف عن النظر إلى السماء الممتلئة بالنجوم ، يخيل لى أن روح هيروهيسا وأصدقائه من تلاميذ المدرسة الإعدادية الذين ماتوا معه، وأرواح شعب هيروشيما الذى قضى نحبه فى ذلك اليوم ، قد صعدت إلى السماء ، وتحولت إلى نجوم تتألق كل مساء تشع نوراً على الأرض ، وكأنها تحميها من تكرار تلك المأساة .

مطبعة الجبلاوى
٢٠٢ شارع الترعة البولاقية

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٧٧/٣٩٨٥